المستقبل العربي

١١ / ٢٠٠٣

٢٩٧

26

• إفتتاحية العدد:
ادوارد سعيد: المفكر الراحل - الحيّ

المشهد الأمريكي (ملف)

• حروب جورج دبليو بوش «الوقائية»
نصير عاروري

• العراق: الغزو الذي سيلازمه العار
نعوم تشومسكي

• كيف تقصف أمريكا أبناءها بالسلاح النووي؟
آمي ورثنغتون

• رسالة الهندي الأحمر إلى شعب العراق
منير العكش

• احتلال العراق في ضوء القانون الدولي
عبد الحسين شعبان

• وثيقة: الوضع في العراق
رند رحيم فرانكي

هل المشكلة صورة أمريكا أم استراتيجيتها؟ (تقريران)

• استراتيجية لإعادة تنشيط الدبلوماسية العامة الأمريكية

• تغيير العقول... لكسب السلام

• ثمن ذهاب الأتراك إلى العراق
ستراتفور

آراء ومناقشات:

• الخطاب والقومي
الطاهر لبيب

• مستقبل الفكر القومي العربي
زياد حافظ

•كتب وقراءات:

• استهداف العراق

• الجيش والسياسة

• شرق وغرب

• يوميات الوحدة العربية

• ببليوغرافيا الوحدة العربية

• الملف الإحصائي:
إحصاءات الطاقة في الوطن العربي

يصدرها

مركز دراسات الوحدة العربية

قواعد النشر في المجلة

دعوة إلى الكتّاب والباحثين

ترحّب مجلة المستقبل العربي بإسهامات الكتّاب والمفكرين، من المدارس الفكرية المختلفة المقتنعة بقضية الوحدة العربية، ومن المهتمين بالواقع والمستقبل العربي والعلاقات العربية ـ الدولية، مع الاهتمام بشكل خاص بما يتعلق بالمشروع الحضاري النهضوي العربي وعناصره الستة: الوحدة ـ الديمقراطية ـ العدالة الاجتماعية ـ التنمية المستقلة ـ الاستقلال الوطني والقومي ـ التجدد الحضاري. وتحيطهم علماً بشروط النشر فيها:

١ ـ أن تعالج القضايا بأسلوب علمي موثّق.

٢ ـ يكون التوثيق بذكر المصادر والمراجع بأسلوب أكاديمي، يتضمن:

ـ في الكتب: اسم المؤلّف، عنوان الكتاب، مكان وتاريخ النشر، اسم الناشر.

ـ في المجلات: اسم كاتب المقال، عنوان المقال، رقم العدد وتاريخه، رقم الصفحة.

٣ ـ معيار النشر هو الموضوعية، والمستوى العلمي، والدقة، ودرجة التوثيق.

٤ ـ يفضّل أن يكون النص مطبوعاً على الحاسب الآلي ومرفقاً بالقرص تجنباً للأخطاء المحتملة، وإن تعذّر ذلك فبخط واضح.

٥ ـ أن لا يزيد حجم الدراسة أو البحث على ستة آلاف كلمة كحد أقصى، والمقال على أربعة آلاف كلمة، وأن يرفق كذلك بخلاصة للبحث أو المقال لا تتجاوز (٥٠ كلمة) تنشر معه عند نشره.

٦ ـ ترحّب المجلة بتغطية المؤتمرات والندوات عبر تقارير لا تتعدّى ٢٥٠٠ كلمة كحد أقصى، يذكر فيها مكان الندوة/ المؤتمر وزمانها وأبرز المشاركين فيها، مع رصد أبرز ما جاء في الأوراق والتعقيبات والتوصيات.

٧ ـ ترحّب المجلة بنشر مراجعات الكتب بحدود (٢٠٠٠) كلمة كحد أقصى، على أن لا يكون قد مضى على صدور الكتاب أكثر من عامين، ويدوّن في أعلى الصفحة عنوان الكتاب واسم المؤلف ومكان النشر وتاريخه وعدد الصفحات. وتتألّف المراجعة من عرض وتحليل ونقد، وأن تتضمن المراجعة خلاصة مركّزة لمحتويات الكتاب، مع الاهتمام بمناقشة طروحات المؤلف ومصداقية مصادره وصحة استنتاجاته.

٨ ـ يرفق مع كل دراسة أو بحث أو تقرير عن مؤتمر أو مراجعة كتاب تعريف بحياة الكاتب الفكرية وعمله الحالي.

٩ ـ لا تدفع المجلة أية مكافآت مالية عمّا تقبله للنشر فيها، ويعتبر ما ينشر فيها إسهاماً معنوياً من الكاتب في بثّ الفكر القومي وتنميته.

١٠ ـ يُشترط أن لا تكون المواد المرسلة للنشر في المجلة قد نُشرت أو أُرسلت للنشر في مجلات أخرى.

١١ ـ تخضع المواد الواردة لتحكيم اللجنة الاستشارية للمجلة، ولا تعاد المواد المعتذر عن نشرها إلى أصحابها.

١٢ ـ يجري إعلام الكاتب بقرار اللجنة الاستشارية خلال شهرين من تاريخ تسليم النص.

١٣ ـ تحتفظ المجلة بحقها في نشر المادة المجازة وفق خطة التحرير.

المستقبل العربي

ISSN 1024 - 9834

مجلة فكرية شهرية تعنى بقضايا الوحدة العربية ومشكلات المجتمع العربي

يصدرها

مركز دراسات الوحدة العربية

منظمة دولية غير حكومية مقرها في لبنان

(مرسوم رقم ٤١٧٤ لعام ٢٠٠٠)

- مركز متخصص في العمل الفكري المتجه رئيسياً نحو مسائل الوحدة العربية.
- يهدف إلى إيصال نداء الوحدة للجماهير العربية والأوساط الفكرية على تعدد اتجاهاتها.
- يعنى بدراسة الواقع العربي كخلفية للحالة الوحدوية المنشودة.
- لا يفرض شروطاً مسبقة على مساهمة المثقفين في نشاطاته سوى قناعتهم بالوحدة العربية.
- لا يتخذ أي مواقف سياسية مباشرة ولا يساهم في النشاط السياسي.
- لا يرتبط بأي حكومة ولا يتبنى أي نظام ولا يدخل في محاور أو تحالفات.

المراسلات: باسم المستقبل العربي

بناية «سادات تاور» شارع ليون ص.ب: ٦٠٠١ ـ ١١٣

الحمراء ـ بيروت ٢٠٩٠ ١١٠٣ ـ لبنان

تلفون: ٨٦٩١٦٤ ـ ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧ برقياً: «مرعربي» ـ بيروت

فاكس: ٨٦٥٥٤٨ (٩٦١١)

e-mail: info@caus.org.lb

Web Site: http://www.caus.org.lb

الاشتراك السنوي:

ـ الأفراد: في أقطار الوطن العربي (٦٠ دولاراً أمريكياً)، وفي البلدان الأوروبية (٨٠ دولاراً أمريكياً)، وفي أمريكا وجميع البلدان العالمية الأخرى (٩٠ دولاراً أمريكياً).

ـ المؤسسات: في أقطار الوطن العربي (١٠٠ دولار أمريكي)، وخارج الوطن العربي (١٢٠ دولاراً أمريكياً).

الاشتراك لمدى الحياة:

ـ الافراد: ٥٠٠ دولار أمريكي

ـ المؤسسات: ٧٥٠ دولاراً أمريكياً

تدفع إشتراكات الأفراد مقدماً:

(١) إمّا بشيك لأمر المركز مباشرة مسحوب على أحد المصارف الأجنبية.

(٢) أو بتحويل إلى العنوان التالي: حساب مركز دراسات الوحدة العربية رقم (٢٥٢٠٧٠١٣٥٠٩) بنك بيبلوس ـ فرع الحمرا ـ السادات ص.ب ٥٦٠٥ ـ ١١ ـ بيروت ـ لبنان ـ تلكس Bybank 44078-41601 LE ـ تلفون: ٧٣٦١٥٢ ـ ٣١/٢٥٥٦٢٠.

المستقبل العربي

وعي الوحدة العربية
وحدة الوعي العربي

السنة السادسة والعشرون العدد مئتان وسبعة وتسعون تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٣

المحتويات

□ افتتاحية العدد:
إدوارد سعيد: المفكّر الراحل ـ الحيّ ٦

المشهد الأمريكي (ملف)

■ حروب جورج دبليو بوش «الوقائية»
بين مركزية الخوف وعولمة إرهاب الدولة ..... نصير عاروري ٨

يستعرض نصير عاروري في هذه المقاله الخلفية النظرية لبوش الابن والفريق الذي يحيط به وبالتالي يكشف عن التوجهات الاستراتيجية والتي باتت على تماه شديد مع المصلحه الاسرائيليه.

■ الحرب الوقائية أو «الجريمة المطلقة»
العراق: الغزو الذي سيلازمه العار ..... نعوم تشومسكي ٣٦

يكشف تشومسكي كيف أن نظريه الحرب الوقائيه التي اعتمدتها الولايات المتحدة هي نفسها الحرب التي أدينت في محاكمات نورمبرغ، واعتبرت بمثابة الجريمه المطلقة.

■ كيف تقصف أمريكا أبناءها بالسلاح النووي؟ ..... آمي ورثنغتون ٤٣

استخدام الولايات المتحدة وبريطانيا للقذائف المزودة باليورانيوم المنضب لا يلحق الضرر بالمناطق المقصوفة في العراق وأفغانستان وغيرهما فقط، بل بالجنود الأمريكيين والبريطانيين أيضاً.

رئيس التحرير: خير الدين حسيب

■ **خلفيات رسالة الهندي الأحمر إلى شعب العراق** ..... منير العكش ٥٤

يعرض منير العكش في هذه المقالة الرسالة التي وجهها الزعيم الهندي جورج واسون إلى الشعب العراقي لمناسبة تعيين مجلس الحكم الانتقالي وفيها محاولة إسقاط بين الاستعمار الذي تعرض له الهنود والاحتلال الذي يتعرض له الشعب العراقي.

□ **المشهد العراقي الراهن:**
الاحتلال وتوابعه في ضوء القانون الدولي ..... عبد الحسين شعبان ٦٠

مقالة تبحث في المفارقات والإشكالات القانونية والسياسية التي رافقت مشهد احتلال العراق، مركزة على التشبث بالصيغ الممكنة لتأمين سيادته واستقلاله وحق الشعب العراقي في تحديد مستقبله السياسي والسيطرة على موارده.

وثيقة

□ **مراقبة الديمقراطية في العراق:**
تقرير رقم واحد عن الوضع في العراق
أيلول/سبتمبر ٢٠٠٣ ..... رند رحيم فرانكي ٧٠

تقريران

هل المشكلة صورة امريكا... أم استراتيجيتها؟ ٨٧

■ التقرير الأول: العثور على صوت لأمريكا: استراتيجية
لإعادة تنشيط الدبلوماسية العامة الأمريكية ٨٩

بيتر بيترسون ـ ديفيد إي. موري
كاتي بلومغارون ـ شبلي تلحمي
هنري غرونوالد ـ جنيفر سيغ
شيرون هيربستمان

■ التقرير الثاني: تغيير العقول.. لكسب السلام:
توجه استراتيجي جديد للدبلوماسية العامة الأمريكية
في العالم العربي والاسلامي ..... إدوارد جيرجيان ١٠٣

تحليل استراتيجي

□ سيطرة بالمشاركة: ثمن ذهاب الجيش التركي إلى العراق ..مؤسسة ستراتفور ١٠٦

آراء ومناقشات

□ الخطاب والقومي .....الطاهر لبيب ١١٢

□ مستقبل الفكر القومي العربي ..... زياد حافظ ١١٧

كتب وقراءات: تحرير نيفين عبد المنعم مسعد

☐ استهداف العراق: العقوبات والغارات
في السياسة الأمريكية (جيف سيمونز) ..... أحمد منيسي ١٢٩

☐ الجيش والسياسة والسلطة في الوطن العربي (ندوة) ..... ولاء علي البحيري ١٣٦

☐ شرق وغرب: الشرخ الاسطوري (جورج قرم) ..... مسعود ضاهر ١٤١

☐ كتب مختارة (موجز) ١٤٩

مؤتمرات

☐ تقرير عن: المؤتمر السنوي السادس عشر للبحوث السياسية
بعنوان «إسرائيل من الداخل: خريطة الواقع وسيناريوهات المستقبل»
القاهرة، ٢٨ ـ ٣١ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٢ ..... نادية محمود مصطفى ١٥٧

* موجز يوميات الوحدة العربية ١٦٨

* ببليوغرافيا الوحدة العربية ١٧٨

* الملف الإحصائي:
(١٠١) إحصاءات الطاقة في الوطن العربي .....إعداد: ربيع كسروان ١٨٩

آراء الكتّاب لا تُعبِّر بالضرورة عن اتجاهات يتبنّاها
«مركز دراسات الوحدة العربية» أو «المستقبل العربي»

المدير المسؤول: كمال فضل الله

إدوارد سعيد: المفكّر الراحل ـ الحيّ(*)

لم تكن أعمال إدوارد سعيد الفكرية تفصيلاً في تاريخ الثقافة العربية المعاصرة، ولا هي أطلّت على هموم هذه الثقافة وإشكالياتها «من خارج»؛ وإنما كانت مَفْصَلاً رئيساً في هيكلها، وإضافةً متميزة في باب الجواب عن أسئلتها فَتَحَتْ أمام مغامرتها الإبداعية آفاقاً رحبةَ المدى. وإذا كان مما صَنَعَ لتلك المساهمة فرادتَها ونَوعيتَها ما انطوت عليه ثقافةُ إدوارد سعيد من موسوعيةٍ وثراء عَزَّت لها النظائر ـ عربيّاً وعالميّاً ـ فإن ممّا صَنَعَ لها حرارتَها وصِدْقَها التزامَ الرجل قضيةَ شعبه ووطنه وأمته في كل الظروف وفي سائر الأمكنة التي استقبلَتْ لجوءَه الاضطراري إليها: هو المُقْتَلَع ـ شأن شعبه ـ من أرضه ووطنه.

وإذ يُذْكَر إدوارد سعيد، وهو في رقدته الأخيرة، تتداعى إلى الذهن تلك الكوكبة من الأعمال الفكرية الرائعة والنادرة التي خلّفها، وذلك الشريط الطويل من المواقف الباسلة والجريئة التي اتخذها، لتكوّنَ في جملتها سِفْراً كبيراً ستقرأ فيه أجيال قادمة دروساً من البذل العلمي تشهد للعربيّ بقدرته على ولوج الكونية المعرفية من أوسع أبوابها، إن كان لديه من الطموح ما يَحْفُزُه على ذلك وما يحمله على كَسْرِ الشعور بالنقص والدونية، وعلى الإقدام على المنافسة النِّدّية في معترك المعرفة والعلم. وستقرأ فيه دروساً من الالتزام الثقافي والوطني للقلم في مواجهة السلطان والعدوان. وإذا لم يكن في وُسْع افتتاحيةِ مجلّةٍ أن تُلَخِّص فكراً غنيّاً وتقدِّم، فلا أقل من أن تُعَنْوِنَ وتذكّر:

١ ـ نَقَل إدوار سعيد نظرة الفكر العربي إلى الاستشراق نقْلةً نوعية: إن كان على

(*) يعد مركز دراسات الوحدة العربية كتاباً تكريمياً عن المفكر الراحل إضافة إلى حلقة نقاشية حول أعماله وكتاباته.

صعيد أدوات التحليل والمُقَارَبَة، أو على صعيد تقنيات النقد، أو على صعيد مساحة النصوص الاستشراقية التي غطاها التحليل والنقد ذَاتِك. يشهد على هذا كتابه الموسوعي: **الاستشراق**. لقد وَسَّع إدوارد سعيد دائرة الكتابات الغربية الاستشراقية لتشمل نصوصاً لم يتناولها الباحثون العرب المشتغلون على الاستشراف قبله؛ وأدخل في تحليل النص الاستشراقي أدوات ومفاهيم مستقاة من السيميولوجيا والانثروبولوجيا والنقد الأدبي والأدب المقارن على نحوٍ أغنى ذلك التحليل وأخرجه من نطاق المساجلة؛ ثم إنه ذهب بعيداً في نقد فرضيات الخطاب الاستشراقي ومفاهيمه وصوره النمطية عن الإسلام والعرب إلى حدِّ نَسْفِ المنطلقات التي قام عليها. ويمكن القطع بأن مساهمته في نقد الاستشراق فتحت أمام المعرفة العربية المعاصرة بالفكر الغَرْبي آفاقاً جديدة لم تكن لتُفْتَح لولا كتابه المنوّه به.

٢ ـ كما دشّن إدوارد سعيد حقلاً من النظر الفكري إلى الغرب جديداً في كتابه: **الثقافة والامبريالية**، رَفَع فيه درجةَ الانتباه إلى الأدوات الجديدة التي تَتَوَسَّل بها الامبريالية لتحقيق السيطرة على الصعيد الكوني، ومنها أدوات الهيمنة الثقافية. ومرة أخرى أخرج إدوارد سعيد إلى القارئ أحشاء النظرة الاستعلائية الامبريالية إلى العالم، بكل بشاعاتها العنصرية وبكل عجرفتها وادعاءاتها بالتفوق، كما عَرَضَتْ نفسها في نصوص كثيرة، ليفضح مزاعمها ويقف على فقرها وضحالتها، ويكشف عن نوع منظومات القيم والمعايير التي تؤسّس نظرتَها إلى «الآخَر». وهو كان ـ بذلك ـ من أهم مَن سَدَّد ضربة للقراءة الاقتصادوية للامبريالية التي كانت تتوسل بعوامل الهيمنة والتبعية والتبادل اللامتكافئ لفهم آلياتها بمعزل عن عوامل الثقافة.

٣ ـ ثم إن إدوارد سعيد من قلة قليلة من عرب أمريكا أصبحت أسماؤها قرينة على فلسطين، في مخيالنا العربي المعاصر، من شدة التزامها القضية ودفاعها المستميت عن حقوق شعبها في أحلك الظروف. ويكفي بياناً لأهمية ذلك أن الرجل أتى فِعْل ذلك الدفاع في عقر دار الصهيونية وفي وكْرٍ من أوكارها هي نيويورك، وتحمَّل ـ لقاء ذلك كلِّه ـ متاعب كثيرة وحملاتِ تحريضٍ ضدّه لم تتوقف حتى بعد رحيله. ومع دفاعه ذاك، لم يتوانَ عن ممارسة حقه في نقد ما رآهُ أخطاء في عمل الحركة الوطنية الفلسطينية. لم يفعل ذلك من خارج مؤسسات هذه الحركة، بل من داخلها (حيث كان عضواً في المجلس الوطني الفلسطيني). وقد يكون نقده لـ «اتفاق أوسلو» مثالاً دالاً على ذلك. غير أنه النقد الذي تَسَلَّح برؤية استراتيجية لحل القضية الفلسطينية قوامها الدولة الواحدة الديمقراطية على أرض فلسطين التاريخية: رؤية لم تَعُد تجد في فكرة دولة فلسطينية مستقلة حلاً صحيحاً ونهائياً للصراع.

رَحَلَ إدوارد سعيد في ظرف ما أحوجنا إليه فيه. لكن العزاء الوحيد أنه شقَّ أمام الفكر العربي طريقاً للإبداع كان وعراً □

المستقبل العربي

حروب جورج دبليو بوش «الوقائية» بين مركزية الخوف وعولمة إرهاب الدولة

نصير عاروري

قسم العلوم السياسية، جامعة ماساشوستس ـ دارتموث، الولايات المتحدة الأمريكية.

«يواجه العالم اليوم رجلاً فرداً مدججاً باسلحة الدمار الشامل، ويتصرف بسلوك عدواني معربد، لعله إذا لم يحسن حساباته سيغرق العالم بالدم ويودي به إلى فوضى مطلقة. هذا الرجل الفظ المتعجرف المهووس بالقتل والقتال هو حقاً أخطر شخص على وجه الأرض. والمشكلة أن اسم هذا الرجل هو جورج دبليو بوش وانه رئيسنا».

ـ جاك م. بالكين (Jack M. Balkin) أستاذ القانون الدستوري والتعديل الأول [للدستور الأمريكي] في كلية الحقوق بجامعة يال (أيلول/سبتمبر ٢٠٠٢).

مقدمة

يقدم هذا الفصل مراجعة نقدية لحرب جورج دبليو بوش على الإرهاب ولعقيدة سياسته الخارجية في الحرب الوقائية/الاستباقية، وذلك بهدف وضع سياق يساعد على فهم كيف ولماذا صار التركيز «القانوني» السلبي على العرب والمسلمين الأمريكيين والمقيمين إجراء يسيراً سهلاً على الحكومة الأمريكية سواء بالنسبة الى السلطة التشريعية أو التنفيذية. بهذا نوضح كيف تمكن التحالف الثلاثي الحاكم المؤلف من المحافظين الجدد، واليمينيين الإنجيليين، وأنصار إسرائيل (سياسيين ومؤسسات أبحاث «Think Tanks» ومنظمات) من صياغة السياسة الخارجية الأمريكية، ولماذا كانت جهودهم الجماعية بالضرورة تمييزية ضد المتحدرين من أصول عربية أو إسلامية.

بوش وأسلافه: الأهداف الاستراتيجية

منذ انهيار الاتحاد السوفياتي في أوائل التسعينيات، وجدت نخب السياسة

الخارجية الأمريكية نفسها أمام مهمة وضع واعتناق رؤيا نظام عالمي جديد، وتحديد دور الولايات المتحدة في هذا النظام في القرن الجديد. لقد كان من الضروري استبدال عقيدة الأمن القومي القائمة على معاداة الشيوعية. فمع غياب المواجهة مع الاتحاد السوفياتي أو الشيوعية، فقدت سياسة الاحتواء القائمة على الردع العسكري المتفوق مبرراتها[١] ومن هنا، فإن الردع والتعاون المتعدد الأطراف استبدلا في ظل جورج دبليو بوش بسياسة الحروب الاستباقية، بل الوقائية أيضاً، مما همّش دور الدبلوماسية. إن الهجوم غير المسبوق يوم ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ [لاحقاً: ٩/١١] ادى بسياسة الرئيس القصير النظر إلى تقزيم كل المجالات الأخرى في السياسة العامة. ومع ذلك، فإن السياسة الخارجية لجورج بوش قد تختلف عن سياسة الرئيسين السابقين في الوسائل والتوجّه، وليس في الجوهر والأهداف الاستراتيجية، وخاصة بالنسبة الى التطوير والحفاظ على هيمنة سياسية واقتصادية شاملة.

بوش الثاني أقرب إلى رونالد ريغان منه إلى أي رئيس سابق بخصوص سياسته الخارجية ووسائل تحقيقها. فجأة صار «الإرهاب» بؤرة سياسة بوش الخارجية تماماً كما كانت العولمة المبدأ الطاغي في سياسة كلينتون الخارجية.

دشّن بوش (الأب) نظام ما بعد الحرب العالمية الباردة، وخلاصته أن «ما نقوله لا مرد له»، ماضياً بذلك على خطى السياسة الخارجية المتبعة منذ فورد وكيسنجر. وقد ركز بوش الأب نظامه العالمي الجديد على مسائل ذات تأثير في الموارد الاستراتيجية كما حصل في حرب الخليج الأولى. إن حكاماً طموحين من مثل صدام حسين، لا بد من إعطائهم درساً: وقد استهل بذلك عرفاً استراتيجياً تحتكره بامتياز القوة العظمى الوحيدة الباقية. وعلى رغم أن هذا الدرس يتضمن استخدام القوة الماحقة، فإن بوش الأول أكد على هيمنة الولايات المتحدة عالمياً من خلال تشكيل تحالف وتسخير الأمم المتحدة من أجل توفير مظلة دبلوماسية لحروب استعمارية جديدة ضد العراق وباناما وغيرهما من الأمم العاقة. وعلى خلاف ابنه، فإنه لم يتخلّ عن الدبلوماسية وينصرف إلى حروب غير شرعية، ولم يذهب في حربه إلى نهاية الشوط ليقوّض نظام صدام حسين ويغزو العراق. إن بوش الأول وكلينتون كليهما استخدم الدبلوماسية التعسفية، كما استخدم القوة. فكلينتون قصف يوغسلافيا السابقة وغزا الصومال وهاييتي واستمر في قصف العراق مرة بعد الأخرى.

مسعى كلينتون للحفاظ على التفوق في فترة ما بعد الحرب الباردة كان يركز على العولمة الاقتصادية كوسيلة أيديولوجية قوية ربما تستطيع احتواء الحركات الوطنية

---

(١) أول من قال بسياسة الاحتواء هو جورج ف. كنان الذي يكتب باسم مستعار هو X، انظر: «The Sources of Soviet Conduct,» *Foreign Affairs* (July 1947).

والمعارضة حول العالم. وقد استعاض من السلاح ضد السوفيات بسلاح برّاق المظهر هو «التجارة الحرة»[٢] بذلك كان الاختراق لا يقتصر على الموارد الطبيعية لعالم الجنوب، بل يتعدّاه إلى الأسواق والموارد البشرية والزبائن الجدد الذين يزدادون يوماً بعد يوم. إن أطروحات كلينتون حول العولمة لما بعد الحرب الباردة قامت على ثنوية: إما الاندماج والتكامل، أو التفتيت والتقسيم. أما الأول، فينطبق على الولايات المتحدة وحلفائها، وعلى آليات العولمة الاقتصادية والسياسية التي تتضمن «الدول الاقتصادية» الثماني الكبار (G-8)، ومنظمة التجارة العالمية، و«منظمة» التعاون الاقتصادي فيما بين دول آسيا المطلة على المحيط الهادي ((Asia-Pacific Economic Cooperation (APEC))، وصندوق النقد الدولي وغير ذلك من المنظمات. ولم يكن هذا التوجه الليبرالي الحديث لكلينتون يمثل انقطاعاً عن عهد ريغان ـ ثاتشر الذي امتدت فيه عملية «التحرر من القواعد» على المستوى الوطني إلى الحلبة الدولية. فصندوق النقد الدولي وغيره من هذه المؤسسات صار عملياً سلاح كلينتون للتسلط العولمي في عالم وحيد القطب. وقد كانت ثنوية كلينتون أكثر حنكة من ثنوية بوش الخاصة بالخير والشر. إن قوى التقسيم والتفتيت كانت تتمثل بالخوارج العالميين الذين لم يفتنوا بالتجارة الحرة ولم يعجبوا بترويج كلينتون لـ«ديمقراطيات السوق» أو «التوسع الاقتصادي»[٣]. بذلك تمّ التمييز بين قوى الخير التي تسعى إلى الاندماج والتكامل وقوى الشر التي تروّج للتفتيت والتقسيم.

ولطالما نظر بوش ومستشاروه إلى كلينتون باحتقار، تماماً كما كانت حلقة ريغان تعتبر كارتر «رعديداً». ومع ذلك، فإن نظرة كلينتون إلى العالم لم تفترق جوهرياً عن نظرة بوش الثاني، لكنها كانت أكثر حنكة ورهافة. فالبشر في مختلف أرجاء العالم لم يعرفوا [في عهد كلينتون] تهديداً مستمراً بأن يكونوا «معنا» أو «ضدنا»، ولا أنذروا بالعواقب المترتبة على عدم وقوفهم «معنا»، أو وصفوا باللاأخلاقية لأنهم وضعوا رِجلاً هنا ورِجلاً هناك.

بوش الثاني أقرب إلى رونالد ريغان منه إلى أي رئيس سابق بخصوص سياسته الخارجية ووسائل تحقيق هذه الأهداف، بل حتى في أسلوب بيانه الموظف لشيطنة خصومه وضحاياه المستهدفين. فجأة صار «الإرهاب» بؤرة سياسة بوش الخارجية تماماً كما كانت العولمة المبدأ الطاغي في سياسة كلينتون الخارجية، وكانت حرب الخليج الحدث الأبرز للرئيس الأب[٤]. وعلى كل حال، فإن الحرب على الإرهاب ليست تصوراً مستمداً من [أحداث] ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، فهي تعود إلى أكثر من عقدين عندما كان المحافظون الجدد الذين يحكمون اليوم مع اليمين الإنجيلي والليكوديين يتركون بصماتهم

---

(٢) انظر مقالة نصير عاروري Naseer Aruri, «Globalization or Global Hegemony: The United States Versus the World,» *Mideast Mirror*, 12/3/1998.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) Nicholas Lemann, «The Next World Order: The Bush Administration May have a Brand New Doctrine of Power,» *New Yorker* (1 April 2002).

على إدارة ريغان. إن حرب ريغان على الإرهاب حاولت أن تقنع الجمهور في الثمانينيات بمزاعم باطلة ادعت أن فرقة ليبية ضاربة دخلت الولايات المتحدة وحاولت أن تتعقب الرئيس خلال فترة رئاسته الأولى(٥).

أحداث ١١ أيلول/سبتمبر وتأثيرها في أبعاد السياسة الخارجية للرئيس بوش

الهلع الذي أصاب أمريكا في ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ كان يقرع أجراس الإنذار بأخطار المستقبل، وكان أيضاً يزوّد جورج بوش بفرصة نادرة يترصد من خلالها منطلَقاً الى سياسته الخارجية ومجالاً لدور أمريكي جديد في القرن الحادي والعشرين. لقد أعطت هذه الأحداث إدارة بوش صبغتها المميزة ومحور اهتمامها وأهابت بالأمريكيين أن يلتفوا حول رايتهم. كما زودت الرئيس بمعنى رسالي يقفز فوق المحرمات الدستورية ويستهين بميثاق جنيف الرابع الخاص بالمدنيين وحقوق الأسرى في زمن الحرب(٦). فالمشتبهون إرهابياً، وهم مبدئياً أفغان وباكستانيون (وقد انضم إليهم العراقيون اليوم أيضاً) يُعتقلون روتينياً، ويرسلون إلى قاعدة باغرام العسكرية في أفغانستان وفي جزيرة دييغو غارسيا في المحيط الهندي حيث يُحتجزون هناك، لا على أنهم «أسرى حرب» يحق لهم الحماية بموجب ميثاق جنيف الرابع، بل كـ«مقاتلين خارجين على القانون» في وضع بائس يجردهم من أية حماية، بل إنه سهّل أمر تعذيبهم على أرض غير أمريكية.

كذلك فقد تمّ استثناء مأساة ١١ أيلول/سبتمبر من تحقيقات الكونغرس لتمهيد الطريق إلى ردّ مفتوح ولانهائي. وكما يقول غور فيدال «فإن أول ما فعله بوش بعد أن ضُربنا أنه اتصل بالسناتور[توم] داشل وتوسل إليه عدم إجراء أي تحقيق من النوع الذي يجري عادة في أي بلد عادي»(٧). أما بالنسبة الى مستشاري بوش فإن ١١ أيلول/سبتمبر كان مناسبة للاضطلاع بخططهم. ففي خضم هذه الفاجعة غير المسبوقة، لن يتردد الجمهور المروَّعُ الحانق في الاستجابة لدعوة بوش بالالتفاف حول «القائد العام»

---

(٥) المصدر نفسه؛ Naseer H. Aruri and John J. Carroll, «The Anti- Terrorist Crusade,» *Arab Studies Quarterly*, vol. 9, no. 2 (Spring 1987), p. 186, and *New York Times*, 17/3/1986

(٦) في رده على تهديد جورج بوش بأن سيعامل «الناس الذي يسيئون إلى الأسرى» وكأنهم «مجرمو حرب» كتب بول نوكس في تورونتو غلوب (٢٠٠٢/٣/٢٦) ما يلي: لكن بوش لم يأت على ذكر معاهدة جنيف ولا على المستوى القانوني الدولي، وهذا ما لن يقنع أحداً.. فقد شن أشنع اعتداء على القانون الدولي في تاريخ كل من نتذكر من الرؤساء الأمريكيين. إنه مزق اتفاقية الرقابة على السلاح وعمل على تخريب محكمة الجرائم الدولية. وفي حملته ضد الإرهاب لم يكتف بتحقير اتفاقيات جنيف بل إنه سعى إلى حرمان المتهمين من الحقوق التي يمنحهم إياها القانون الذي أقسم بأن يحافظ عليه. انظر: <http://www.globeandmail.com/backgrounder/iraqcrisis/pages/c_geneva.html>.

(٧) Marc Cooper, «An Interview with Gore Vidal: The Last Defender of the American Republic,» *LA Weekly* (5 July 2002).

بلا سؤال ولا جواب ولا تحفظات حول حربه المقدسة الأخيرة[٨]. وعملياً، فإن نشر القوة الامبراطورية سوف يصبح بديلاً من الدبلوماسية وفن إدارة الدولة، باعتبار أن الجمهور المصدوم المذهول متعطش للانتقام وغير هيّاب للعواقب المحتملة المتمثلة بالرد المماثل. وقد روت أروناتي روي قصة تمثل الجندي الساعي إلى الانتقام خير تمثيل:

«في ١٢ آذار/مارس، اليوم التالي لغزو واحتلال العراق غير الشرعي من قبل القوات الأمريكية – البريطانية أجرى مراسل «سي. إن. إن.» المرافق للقوات مقابلة مع جندي أمريكي «A.J.» قال فيها: «أريد أن أصل إلى هناك وأعربد. أريد أن انتقم لأحداث ١١ أيلول/سبتمبر»[٩]. وما تزال مكافحة الإرهاب من دون تعريف أو نهاية محددة[١٠]، لكن من الواضح أن أبرز ضحاياها هم العرب/المسلمون في أمريكا. إن الحرب على الإرهاب هي حرب عنصرية في أساسها، ذلك لأن فريق بوش لم يضع لها سبباً غير هؤلاء «الأشرار». وتحديداً، فإن هذا يعني المسلمين/العرب، مهما حاول بوش التظاهر باحترام ديانتهم وثقافتهم. وبتجنب الإشارة إلى أي سبب مرتبط جذرياً بآثار السياسة الخارجية الأمريكية، فإنها تحكم غيابياً على من يؤمن بالإسلام أو ينتمي إلى الثقافة الاسلامية بأنه شرير منحرف. لهذا كان من السهل الاعتداء على الحريات المدنية للمسلمين/العرب بشكل خاص. إن حملات التخويف والترويج التي تتضمنها الإعلانات المتلاحقة عن التهديدات الإرهابية (والتي لم يثبت واحد منها حتى الآن) تبدو شكلاً من أشكال الحرب النفسية المقصودة بهدف توتير أعصاب الناس وسنّ قوانين تقوّض الحريات المدنية والحقوق الدستورية. وقد وضعت رسالة تحريرية بقلم جيل نلسون في (*USA Today*) النقاط على حروف هذا الترويج بقولها: «في خضم هذه الموسيقى العسكرية النشاز، وخفقان العلم الملون بالأبيض والأزرق والأحمر، والبلاغات الوطنية التي ميّزت الاحتفال بيوم الاستقلال وواكبت الحرب على الإرهاب، ضاع الحق في المعارضة والاختلاف في الرأي الذي يعتبر أبهى وجوه الديمقراطية وأخطرها. فكأننا منذ ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ لا نعاني إرهاب الإرهابيين وحدهم، بل أيضاً إرهاب الحكومة الأمريكية التي تطالبنا بالإذعان الأخرس تجاه كل ما تقترح عمله كجزء من حربها الضبابية وغير الفعالة على الإرهاب»[١١].

عقيدة بوش

أن تظل أمريكا في حالة هلع واحتراس هو المحور المركزي في خطاب بوش عن «حال الاتحاد» في كانون الثاني/يناير ٢٠٠٢:

---

(٨) انظر: Chalmers Johnson, *Blowback: The Costs and Consequences of American Empire* (Boston, MA: Little Brown, 2000).

(٩) Arundati Roy, «Mesopotamia. Babylon. The Tigris and Euphrates,» *Guardian*, 2/4/2003.

(١٠) Walter Laqueur, «We Can't Define Terrorism But We Can Fight It,» *Wall Street Journal*, 16/7/2002.

(١١) انظر: Jill Nelson, «America Creates its Own Terror,» *USA Today*, 4/7/2002.

«لن أنتظر على الأحداث فيما يدلهمّ الخطر، ولن أقف متفرجاً فيما تقترب منا التهلكة أكثر فأكثر... إن حربنا على الإرهاب قد بدأت فعلاً، ولكنها ما تزال في بدايتها. إن هذه الحملة قد لا تنتهي في زمننا، ولكنها يجب أن تُشَـنّ في زمننا. إننا لا نستطيع أن نتوقف فجأة... إن التاريخ يهيب بأمريكا وبحلفائنا أن نعمل، وإنه لمن مسؤوليتنا وخصيصتنا أن نحارب حرب الحرية»(١٢).

هذه الكلمات تعكس أبعاد ما يعرف في السياسة الخارجية الأمريكية بالمثالية الولسونية، ممزوجة بفكرة الدحر التي حلت محل سياسة الاحتواء في بداية الخمسينيات، ثم بعثت في عهد ريغان من قبل المحافظين الجدد المعتدّين بآرائهم. إن شنّ الحرب «في زمننا» والقول بالرسالة المرسومة تاريخياً والمترجمة إلى حملة عسكرية أكثر منها سياسة جعلت السعي من أجل الإمبراطورية يتلازم مع تآكل الحقوق الدستورية. إن الرئيس الذي يعتقد بأنه مكلف بمهمة أخلاقية، فيما تحتل سياسة الخوف نقطة مركزية في برنامج عمله، أحسّ بأنه حرّ في إعادة ترتيب الأولويات. هكذا أطلق العنان لوزير العدل للتخلص من الحقوق المدنية، وضرب الصفح عن القانون الدولي، واختراق الفضاء الخارجي بأسلحة جديدة، وغضّ النظر عن تجاوزات الشركات الكبرى، كل ذلك باسم الأمن القومي، بل إن ذلك سمح للقائد الأعلى للقوات المسلحة بالتستر على صفقات مشبوهة، وسمح لنائبه ديك تشيني بالتملص من إجراءات التدقيق العادية عند التعامل مع شركة هاليبرتن وصناعة الطاقة، أو تعامل ريتشارد بيرل مع غلوبال كروسنغ من ضمن صفقات أخرى غير أخلاقية(١٣).

---

(١٢) State of the Union Message (January 2002).

(١٣) تقول الكورب ووتش إنه منذ أن بدأت القنابل تتساقط فوق العراق يوم ١٩ آذار/مارس، كان هناك آلاف من موظفي هاليبرتون (الشركة التي كان يرأسها نائب الرئيس ديك تشيني) يعملون في الكويت وتركيا إلى جانب القوات الأمريكية في صفقة تصل قيمتها إلى مليار دولار. ووفقاً لما يقوله مصدر في الجيش الأمريكي فقد كانوا يبنون مدناً من خيام ويقدمون دعماً لوجستياً للحرب على العراق ومناطق أخرى تعمل «على خطة أمريكية لإعمار العراق. أما ستيفدورينغ سرفيس فستتولى محاربة الإرهاب». انظر: <http://www.corpwatch.org/issues/PID.jsp?articleid=6008>. وتقول أخبار الـ BBC في ٢٠٠٣/٣/٢٥ أن شركة أمريكية نالت صفقة بقيمة ٤,٨ مليون دولار لادارة ميناء أم قصر في جنوب العراق، وهو العقد الثاني الخاص بتشغيل ميناء أم قصر العميق المياه، وهو الميناء العراقي الوحيد، وذلك لاستقبال الغذاء وغير ذلك من المساعدات الإنسانية ومعدات إعادة البناء والمؤن بشكل فعال. «ولقد قيل إن الشركات البريطانية اغتاظت بما نالته الشركات الأمريكية من المناقصات لإعادة بناء العراق. إن شركة هندسة أمريكية تابعة لهاليبرتون (الشركة التي كان يرأسها نائب الرئيس ديك تشيني) هي كيلوغ براون أند روت نالت عقداً لإطفاء حريق بئر نفط وإصلاح المرافق. انظر أيضاً مورين دود التي كتبت في: النيويورك تايمز ٢٠٠٣/٣/٢٣ ما يلي: وهذا السيد بيرل الذي حض أمريكا على أن تحارب وهي واثقة من أخلاقية حربها هو الآن عرضة للسؤال عما فعله من صواب وخطأ..لقد كتب ستيفن لاباتون في التايمز (يوم الجمعة) أن السيد بيرل كان ينصح البنتاغون بالحرب في الوقت الذي كان فيه يعمل لحساب غلوبال كروسينغ، شركة الاتصالات المفلسة، من أجل التغلب على رفض البنتاغون عرض إعطائها صفقة مشتركة =

ولقد تمّ اختلاق الكثير من «سيناريوهات» الخوف نتيجة لأحداث ١١ أيلول/سبتمبر، بحيث إن اصطلاح «الارهاب» حلّ محل الشيوعية كوصمة سائدة تلصق بكل من يناهض الهيمنة الأمريكية، بل إنه على المستوى المحلي أصبح معياراً لامتحان الولاء، والتعاون، والخير والشر وسوية النفس، كما أصبح المحك للتمييز بين العدو والصديق، بين المحسن والمسيء، بين الفاضل والمؤذي. وليست هناك منزلة وسط؛ فالحرب على البربرية واجب أخلاقي على كل إنسان متحضر.

هجمات ١١ أيلول/سبتمبر أفرزت «محور الشر»، وأضافت إلى جدول الأعمال مسألة تهديد أسلحة الدمار الشامل للأمن الأمريكي، علماً بأن بوش لم يفلح، وبشق النفس، في أن يبرهن على وجود علاقة منطقية بين دول مثل كوريا الشمالية والعراق وإيران وبين الهجوم على البرجين[١٤]. إن مشكلة بوش مع محور شره هي مشكلة ذات طبيعة سياسية ومن الصعب إدراجها مع أي مسائل جنائية تتطلب تحرك الشرطة. لكن فبركة الحقائق صارت تميز أسلوب عمل مساعدي بوش وبلير الذين لم يترددوا في أن يقدموا الى الأمم المتحدة وثائق مزوّرة ومنتحلة. وقد جاء في مقالة حديثة منشورة في **هندوستان تايمز**:

«حاولت الولايات المتحدة وحليفتها الفعالة الوحيدة بريطانيا، حاولتا إنشاء علاقة كاذبة بين صدام حسين وهجمات١١ أيلول/سبتمبر بطبخ وتلفيق «أدلة» على قيام العراق بعقد صفقة يورانيوم مع النيجر وعلى وجود شبكة إرهاب دولية تابعة له (عبر التلاعب بتقرير صحافي)»[١٥].

= مع بليونير من هونغ كونغ. وقد كان بيرل رئيس مجلس السياسة في وزارة الدفاع ويتمتع بثقة رامسفيلد وولفويتز. لهذا قبلت غلوبال كروسينغ أن تدفع لبيرل مبلغاً كبيراً هو ٧٢٥ ألف دولار. وبنية هذا المبلغ الكبير تفوح منه الرائحة. ذلك لأن ٦٠٠ ألف دولار منه مشروطة بموافقة الحكومة على إجراء الصفقة صحيح أن منصبه في مجلس السياسة التابع لوزارة الدفاع غير مدفع لكنه في كل الأحوال مجبر على التقيد بالقواعد الأخلاقية للعمل الحكومي التي تحرم الموظفين من تحصيل فوائد مالية بسبب عملهم في الحكومة». انظر: Maureen Dowd, «Perle's Plunder Blunder,» *New York Times*, 23/3/2003.

وللمزيد عن بيرل، انظر: Seymour M. Hersh, «Lunch with the Chairman: Why Was Richard Perle Meeting with Adnan Khashoggi?,» *New Yorker* (17 March 2003).

(١٤) عندما صدم أول انتحاري عراقي سيارته بحاجز أمريكي في العراق المحتل، وقتل أربعة جنود، كتب روبرت فيسك ما يلي: وأخيراً وجد ٩/١١ علاقته بالعراق بطريقة غريبة جداً. ففيما تبين أن علاقة الرئيس صدام حسين ببن لادن لا أساس لها فإن الغضب الذي أطلقته كان حقيقياً، وقد قوبل بأكثر الأسلحة التي يتخوف منها الأمريكيون. انظر: «Sergeant's Suicidal Act of War has Struck Fear into Allied Hearts,» *Independent*, 31/3/2003, <http://argument.independent.co.uk/commentators/story.jsp?story=392420>.

(١٥) Praful Bidwai, «Machinehead,» *Hindustan Times*, 22/3/2001, <http://www.hindustantimes.com/news/181_218617,00120001.htm>.

وكتب سيمور هيرش أيضاً عن قضية النيجر: «في ١٤ آذار/مارس طلب جاي روكيفلر، السناتور الديمقراطي من وست فرجينيا، وعضو لجنة الاستخبارات من روبرت موللر مدير مكتب التحقيقات =

زد على ذلك أن إيران التي تناضل حكومتها الإصلاحية منذ سنوات لإقامة علاقات طبيعية مع أوروبا وبقية العالم لا تنطبق عليها معايير الإرهاب التي وضعها بوش، بل إن إيران أسهمت بقسطها في الحرب على طالبان.

عالَم هوبسي[١٦]

في هذه «الحرب على الإرهاب، يبدو أن الرئيس قد انجر وراء شعور بأن العالم الذي نعيشه اليوم هو عالم هوبسي ذو محيط شرير، غير مستقر، ويحتاج إلى قبضة من حديد. إن مسؤوليات القوة العظمى الوحيدة في مثل هذا «المحيط القاتم» – بتعبير روبرت كابلان في كتابه **شرقاً إلى الجحيم** *(Eastward to Tartary)* واضحة من دون لبس: إنك لا تستطيع أن تبقى في الظل. يجب مواجهة هذا «المحيط القاتم» بعزم متين وتصميم أكيد[١٧]. وقد تأثر بوش كثيراً بكتاب كابلان إلى درجة أنه طلب من مساعديه دعوة المؤلف إلى البيت الأبيض لدورة تثقيفية، حيث يقوم هو وكوندوليزا رايس باضافة معنى ثقافي إلى نوازع الرئيس ومشاعره الباطنية وميوله المشوّشة. وعلى رغم كل شيء، فإن الرئيس معتاد على أن ينظر إلى الأشياء بالأبيض والأسود، ولا يتمتع بعقل قادر على العمل في إطار عالم دولي معقّد. ولربما أنه لم يستطع أن ينجو من التأثير المدوّي لتحذير كابلان من الفوضى وعدم الاستقرار، ولا من نصيحته بأن القوى العظمى تذود عن حياضها «بقادة يعرفون متى يتدخلون دونما أوهام»[١٨]. إن هذه النظرة السوداوية الى العالم التي تفاقمت بعد ١١ أيلول/سبتمبر مدّت بوش بحسّ رسالي يقيني لا يقبل الجدل. وقد خلص كابلان بعد حلقة البحث مع بوش الى ما يلي:

«إنني أعتقد أن نظرة بوش الى العالم هي أن الهيمنة الأمريكية غير واضحة ... فالعالم مكان سيىء يسكنه الأشرار الذين يستطيعون إلحاق الأذى بنا، وإن أعظم التزام أخلاقي تجاه أمريكا هو تعزيز قوتها»[١٩].

=الفدرالي أن يحقق في الوثيقة المشبوهة. وكان روكيفلر في الخريف الماضي قد صوت إلى جانب قرار استخدام القوة. وقد كتب إلى موللر «هناك احتمال أن يكون تلفيق هذه الوثيقة جزءاً من حملة تضليل أكبر، تهدف إلى خداع الرأي العام والسياسة الخارجية تجاه العراق.» وقد حض مكتب التحقيقات الفدرالي على توثيق مصدر الوثيقة. ومستوى الحنكة في التزوير، ودوافع المسؤول، ولماذا «لم تعترف لجنة الاستخبارات بأن الوثيقة مزورة». وأخبرني أحد مساعدي روكيفلر أن مكتب التحقيقات الفدرالي وعد بأن ينظر فيها Seymour M. Hersh, «Who Lied to Whom? Why did the Administration Endorse a Forgery about Iraq's Nuclear Program?,» *New Yorker* (31 March 2003).

(١٦) نسبة إلى الفيلسوف البريطاني توماس هوبس (١٥٨٨-١٦٧٩) الذي كان يرى أن السلام لا يُنال إلا بعقد اجتماعي نوافق فيه جميعاً على أن نتخلى عن جميع حقوقنا من أجل مهاجمة الآخرين وسلبهم كل حق في أن يهاجمونا. إنها بتعبيره الشهير «حرب الكل على الكل».

(١٧) Steven Mufson, «Bush's View of World Evolves,» *Washington Post*, 3/3/2002.

(١٨) المصدر نفسه.

(١٩) المصدر نفسه.

بهذا، فإن السياسة الخارجية لا يمكن إن تسترشد بـ«أوهام وجدانية» كالديمقراطية وحقوق الإنسان، أو باهتمامات مضللة حول طغيان الدولة، عندما يجب إعادة بناء النظام. وفي الواقع، فإن النظام القائم هو ما أغرى ريغان بإرسال القوات إلى لبنان عام ١٩٨٣، وبعدها إلى غرانادا. وهو السبب وراء غزو جورج بوش (الأب) لباناما، ثم للصومال. صحيح أن خطابيات بوش (الابن) الخاصة بمغامراته في أفغانستان والعراق تمزج النظام والاستقرار بالديمقراطية والحرية، لكن برنامجه لا يختلف كثيراً عن سلفه، وهو الهيمنة الشاملة على العالم.

إن مستشاري جورج دبليو بوش ومعظمهم من مخضرمي عهد ريغان، يؤمنون إيماناً لا يتزعزع باستخدام القوة وقائياً، بغضّ النظر عن الدليل أو الذريعة. إن بول ولفويتز، نائب وزير الدفاع، مثلاً الذي أضفت رؤيته للعالم على بوش مسحة رسالية لا ريب فيها قائمة على التسليم بأن الحرب لا تحتاج إلى «دليل قاطع».. فالتأكيدات يجب أن تركز على «النيات» و«القدرات»، كما يقول ولفويتز الذي كان يقرع طبول الحرب على العراق منذ أواخر السبعينيات، والذي كان أحد موقعي بيان ١٩٩٨ الموجّه إلى الرئيس كلينتون، والذي كان يحضّ على الحرب على العراق[٢٠]. فهو يرى أن لا حاجة إلى «دليل»

---

(٢٠) نص وتواقيع الرسالة التي أرسلت إلى الرئيس كلينتون كانت تطالب الرئيس بالتحول من سياسة الاحتواء إلى سياسة الإطاحة بالنظام وذلك بتجاوز [موافقة] رفاق مجلس الأمن. وفي الجواب على هذه الرسالة اقترح كلينتون ووافق الكونغرس على قانون من أجل تغيير النظام في العراق. إن الموقعين على هذه الرسالة هم المحافظون الجدد الذين يصوغون اليوم السياسة الخارجية الأمريكية. انظر: < http://www.newamericancentury.org/iraqclintonletter.htm > .

٢٩ كانون الثاني/يناير ١٩٩٨ «المحترم بيل ج. كلينتون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية واشنطن دي، سي عزيزنا السيد الرئيس، إننا نكتب إليك لأننا على قناعة بأن السياسة الأمريكية الحالية تجاه العراق لا تنجح، ولأننا ربما نواجه عما قريب تهديداً في الشرق الأوسط أخطر من كل ما رأيناه منذ نهاية الحرب الباردة. ولديك في يوم خطابك المقبل عن حال الإتحاد فرصة لكي تعلن سياسة جديدة حازمة لمواجهة هذا الخطر. وإننا لندعوك إلى انتهاز هذه الفرصة لكي تعلن عن استراتيجية جديدة تؤمّن مصالح الولايات المتحدة وأصدقائنا وحلفائنا حول العالم. تلك الاستراتيجية يجب أن تهدف، فوق كل شيء للاطاحة بنظام صدام حسين. وإننا على استعداد لأن نقدم دعمنا الكامل من أجل هذه المهمة الضرورية الشاقة .

إن سياسة «احتواء» صدام حسين تهترىء كما دلت الشهور الماضية. وإننا، كما برهنت الحوادث الحالية، لا نستطيع أن نعتمد بعد الآن على شركائنا في تحالف حرب الخليج للمضي قدماً في الحصار، أو في معاقبة صدام حسين عندما يرفض أو يتجنب تفتيش الأمم المتحدة. لهذا فإن قدرتنا على التأكد من أن صدام لا ينتج أسلحة دمار شامل قد تضاءلت كثيراً. وحتى لو أن تفتيشاً كاملاً قد استؤنف من جديد، وهو ما يبدو غير محتمل الآن، فإن التجربة قد برهنت أنه من الصعب، بل من المستحيل مراقبة إنتاج الأسلحة الكيماوية والبيولوجية في العراق. إن الفترة الطويلة التي لن يتمكن فيها المراقبون من دخول عدد من المرافق قد قللت من فرص اكتشافهم كل أسرار صدام. وكنتيجة لذلك، فإننا في المستقبل غير البعيد سوف لن نتمكن من أن نقرر بقدر معقول من الثقة ما إذا كان العراق يملك أو لا يملك مثل هذه الأسلحة. =

إذا كنا نعرف «النيات» و«القدرات». إن «الدليل القاطع هو ما نحتاج اليه في تطبيق القانون، وإنني أعتقد أننا أقرب إلى أن نكون في حالة حرب منا إلى إجراءات قضائية»[٢١]. هذا الترتيب لحسابات الحرب وتحليل ربحها وخسارتها، أصبح مقبولاً لدى حلقة الصقور المناصرين لاسرائيل الذين يُسمون أحياناً بـ «صقور دجاجية»، على اعتبار أنه ليس بينهم من خاض حرباً، وإن كان لا يجد حرجاً في أن يزجّ بالملايين من الطبقات الدنيا في الحرب.

= مثل هذه القلقلة، في حد ذاتها، ستكون عاملاً مضراً بالاستقرار في كل الشرق الأوسط، ولن يكون من الصعب أن نضيف أنه إذا كان صدام يمتلك القدرة على إطلاق أسلحة دمار شامل، كما كان دائماً يريد لو أننا مضينا على ما نحن فيه الآن، فإن أمن الجيوش الأمريكية في المنطقة، وأمن أصدقائنا وحلفائنا مثل إسرائيل والدول العربية المعتدلة وجزء كبير من إمدادات العالم من النفط سوف يتعرض للخطر.. وكما صرحت بحق أيها السيد الرئيس فإن أمن العالم في الجزء الأول من القرن الحادي والعشرين سوف يتقرر إجمالاً بالطريقة التي سنعالج بها هذا الخطر.

وعلى ضوء فظاعة هذا الخطر، فإن السياسة الحالية التي تعتمد في نجاحها على صمود تحالفنا وعلى تعاون صدام حسين هي [سياسة] غير ملائمة وتشكل خطراً. إن الاستراتيجية الوحيدة المقبولة هي التي تقضي على امكانية أن يكون العراق قادراً على أن يستعمل أو يهدد باستعمال أسلحة الدمار الشامل. وعلى المدى القريب، فهذا يعني الرغبة في القيام بعمل عسكري ما دام أن الدبلوماسية أصبحت فاشلة بشكل لا يحتمل الشك. وعلى المدى البعيد فإنها تعني الإطاحة بصدام حسين ونظامه. وهذا ما يتطلب أن يكون ذلك هو هدف السياسة الخارجية الآن. إننا نحضك على أن تضطلع بهذا الهدف، وأن تركز اهتمام إدارتك على تطبيق استراتيجية الإطاحة بنظام صدام حسين. وهذا يتطلب جهوداً إضافية في العمل الدبلوماسي والسياسي والعسكري. ومع أننا نعلم تمام العلم بالأخطار والصعوبات في تطبيق هذه السياسة فإننا نعتقد أن خطر عدم القيام بذلك هو أعظم. إننا نعتقد أن الولايات المتحدة مخولة بموجب قرارات الأمم المتحدة الحالية أن تتخذ الخطوات، بما فيها الخطوات العسكرية لحماية مصالحنا الحيوية في الخليج. وعلى كل حال، فإن السياسة الأمريكية لا يمكن أن تبقى مكبلة بعامل الإجماع المضلل في مجلس الأمن الدولي. إننا نحضك على العمل بحزم. فإذا تحركتَ الآن للقضاء على خطر أسلحة الدمار الشامل على الولايات المتحدة وحلفائها فإنك تكون تعمل من أجل أمن أمسّ مصالح الولايات المتحدة وأكثرها جوهرية. أما إذا قبلنا طريق الضعف والسير على غير هدى فإننا نضع مصالحنا ومستقبلنا في خطر. بإخلاص، إليوت أبراهام، ريتشارد ل. أميتاج، وليم ج. بنيت، جفري بيرغنر، جون بولتون، پاول دوبريانسكي، فرانسيس فوكوياما، روبرت كاغن، زالماي خليلزاد، وليم كريستول، ويتشارد پيرل، بيتر و. رودمن، دونالد رامسفيلد، وليم شنيدر جينيور، فين ويبر، بول ولفويتز، ر. جيمس ولسي، روبرت زوليك».

أما بالنسبة لدفاع ولفويتز عن الحرب ضد العراق منذ ١٩٧٩ فإن الجنرال إريك شنسكي، رئيس الأركان يشير إلى أن ولفويتز المحلل الشاب في البنتاغون وراء تقييم سري لتهديدات الخليج الفارسي تقول بأن العراق يشكل خطراً على جيرانه وعلى المصالح العراقية. وقد أخبرهم شينسكي بكل شيء سوى قرع الطبول (الحربية) منذ عام ١٩٧٩، أي قبل أكثر من عشر سنوات من عاصفة الصحراء.انظر: Bill Keller, «The Sunshine Warrior,» *New York Times Sunday Magazine* (22 September 2002).

(٢١) المصدر نفسه.

القوى التي أثرت في تفكير بوش بعد ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١

> إن مستشاري جورج دبليو بوش، ومعظمهم من مخضرمي عهد ريغان، يؤمنون إيماناً لا يتزعزع باستخدام القوة وقائياً، بغض النظر عن الدليل أو الذريعة. إن بول ولفويتز نائب وزير الدفاع مثلاً صاحب رؤية قائمة على التسليم بأن [الحرب لاتحتاج] إلى "دليل قاطع"..

إن التصريح التالي لميخائيل ليند من مؤسسة «New America Foundation» ومدير مشروعها: «الاستراتيجية الأمريكية» يكشف النقاب عن الرجال الذين صنعوا سياسة بوش الخارجية وحربه على العراق:

«نتيجة لعدد من المصادفات الغريبة وغير المتوقعة، مثل اختيار جورج بوش بدلاً من انتخابه لـ«الرئاسة» وأحداث ١١ أيلول/سبتمبر، فإن السياسة الخارجية للقوة العظمى الوحيدة صُنعت من قبل ثلة لا تمثل سكان الولايات المتحدة أو التيار السائد في مؤسسة السياسة الخارجية... فلمعظم مثقفي المحافظين الجدد في «وزارة» الدفاع جذور في اليسار، وليس في اليمين. وهم بمعظمهم من اليهود الأمريكيين المنتمين إلى حركة الثلاثينيات والأربعينيات التروتسكية التي تحولت إلى ليبرالية معادية للشيوعية بين الخمسينيات والسبعينيات، ثم أصبحت أخيراً شكلاً يمينياً ذا نزعة امبراطورية عسكرية لا سابق لها في تاريخ الثقافة السياسة الأمريكية»(٢٢).

وقد تخطى جورج بوش الرئيسين اللذين سبقاه في التأكيد على إطلاق العنان للقوة، غير عابىء بالدبلوماسية والتحالفات والعولمة الاقتصادية المتدهورة. وعلى كل حال، فإنه – بتدميره بلدين منهكي القوى، هما أفغانستان والعراق، فيما هو يهدد بتوسيع حملته وفق قائمة طويلة ممن يسميهم «محور الشر»– يكون فعلاً قد عولم إرهاب الدولة. فالهجوم الضاري الذي شنّه على العراق في ١٩ آذار/مارس ٢٠٠٣ هو علامة فعلية على التفرد بتفكيك البنية الدولية لما بعد الحرب العالمية الثانية. إن غزو العراق الذي وسمه وزير الدفاع رامسفيلد بأنه «الصعق والترويع» وصفه رالف نادر، محامي المستهلكين وأحد المرشحين السابقين للرئاسة، قائلاً: «يريد «بوش» أن «يصعق» العالم كله بالجبروت العسكري الهائل للقوة العظمى تمهيداً للهجمة التالية على بلد آخر داخل «محور الشر» أو خارجه. إن هذا زمن استثنائي حقاً في التاريخ الأمريكي. هناك حفنة من الرجال، وبينهم امرأة واحدة، يتخذون قرارات ذات عواقب خطرة، وبمنأى عن كثير من المعارضين الذين كتمت أصواتهم داخل البنتاغون ووزارة الخارجية، ووكالة الاستخبارات المركزية وغيرها من الوكالات التي حذرت الرئيس وثلته من عصبة الأيديولوجيين وأوصته بضرورة

(٢٢) Michael Lind, «The Weird Men behind George W. Bush's War,» *New Statesman* (7 April 2003).

التفكير العميق قبل الإقدام على «الحرب». إنهم يدفعون بأمتنا إلى كسب حرب سينجم عنها لاحقاً معارك قد لا يمكن كسبها – أو على الأقل – لا يمكن كسبها من دون دفع ثمن اقتصادي وبشري باهظ»(٢٣).

إن بوش لم يكتف بأن ضرب بالدستور عرض الحائط، بل إنه عطل عمل الأمم المتحدة، واختزل أعضاء مجلس الأمن إلى واحد فقط. وكان ريتشارد بيرل (أحد أبرز مستشاري بوش المحافظين الجدد، والذي كان مع شارون يحضّ على الحرب ضد العراق) قد كتب مقالة في **الغارديان** اللندنية محتفلاً بـ«موت الأمم المتحدة»: «إن فشل مجلس الأمن المزمن في تنفيذ قراراته لا ريب فيه. إنه وبكل بساطة ليس على مستوى مهمته. ولم يبق لنا إلا «تحالف الراغبين». ومن غير أن نصفهم بأنهم تهديد للنظام العالمي الجديد، فإن علينا بذلك أن نعتبرهم أفضل أمل لهذا النظام والبديل الوحيد للفوضى الناجمة عن الفشل المخزي للأمم المتحدة ... إن هذا القرن الجديد يحفز الآمال من أجل «بناء» نظام عالمي جديد بطرق جديدة. إننا لن نستطيع أن نهزم أو نحتوي إرهاباً متعصباً من دون أن نشنّ الحرب على الإرهابيين حيث ينطلقون. وهذا ما قد يتطلب أحياناً أن نستخدم القوة ضد دول تؤوي الإرهابيين، كما فعلنا في تدمير نظام طالبان في أفغانستان»(٢٤).

وقد كشفت جوقة المحافظين الجدد المحيطة ببوش عن نفسها علناً أثناء ما سمي بـ«توضيح حول حرب العراق مع فنجان قهوة سوداء» عقد في «American Enterprise Institute». خلال ذلك، سخر ريتشارد بيرل وزميله وليم كريستول (رئيس تحرير *Weekly Standard* الناطقة باسم المحافظين الجدد) من الأمم المتحدة. فبينما قال كريستول: «إنها ليست أمراً ذا بال»، رأى بيرل أن «زمنها قد ولّى» كمؤسسة أمنية، ولكنها قد تنفع في قضايا مثل الصحة وحفظ السلام(٢٥). وفي مقالة نشرت في الصحيفة الاسرائيلية **هآرتس**، قال آري شافيت، مفترضاً، أنه لو أبعد عن واشنطن هؤلاء المحافظون الجدد الخمسة والعشرون قبل سنة إلى صحراء، فإنه لن يكون هناك حرب على العراق. وكتب: في غضون السنة الماضية، ظهر اعتقاد جديد في البلد (واشنطن) بضرورة الحرب على العراق. وقد تمّ التبشير بهذا الإيمان المتعصب من قبل ٢٥ – ٣٠ من المحافظين الجدد، معظمهم يهود، ومعظمهم من المثقفين... تقوم دعاويهم الفلسفية على كتابات مكيافيللي، وهوبس وإدموند بورك(٢٦).

---

(٢٣) Ralph Nader, «Bush is Acting Like a Judicially-Selected Dictator,» <http://www.counterpunch.org/nader03252003.html>.

(٢٤) Richard Perle, «Thank God for the Death of the UN: Its Abject Failure Gave us Only Anarchy: The World Needs Order,» *Guardian*, 21/3/2003.

(٢٥) Guy Dinmore, «Ideologues Reshape World over Breakfast,» *Financial Times*, 22/3/2003, p. A1

(٢٦) إدموند بورك فيلسوف ورجل دولة بريطاني (١٧٢٩-١٧٩٧) يعتبر من مؤسسي الاتجاه المحافظ الجديد، ويعرف بحملته الشنعاء على الثورة الفرنسية.

وهم أيضاً من المولعين بونستون تشرشل وبالسياسة التي انتهجها رونالد ريغان. وقد نزعوا إلى قراءة الواقع من خلال فشل الثلاثينيات (في ميونيخ) مقابل نجاح الثمانينيات (سقوط جدار برلين)[٢٧].

الصلة الإسرائيلية

كانت إسرائيل تحضّ على غزو العراق لتحقيق ما عجزت عن تحقيقه في الأعوام ١٩٤٨، و١٩٥٦، و١٩٦٧، و١٩٧٨، و١٩٨٢، وخلال سنوات أوسلو السبع. فالحرب على العراق تشكل استراتيجية إسرائيل لما بعد أوسلو[٢٨]. وما دام بوش (الإبن) قد حاول أن يتمّ ما لم يقدم والده على إتمامه، فإن إسرائيل بدأت باستعادة [استراتيجية اجتياح لبنان عام ١٩٨٢ من جديد. لهذا لم يكن الغزو الإنكليزي الأمريكي للعراق مجرد استكمال لحربهم التي بدأت في ١٩٩٠-١٩٩١، بل كانت أيضاً حرباً تتضمن أهدافُها البعيدة إعادةَ رسم الخريطة السياسية في الشرق الأوسط ووسط آسيا. إنها حرب الصقور المدنيين في البنتاغون وحلفائهم في عدد من مراكز الدراسات (مراكز صنع القرار) اليمينية والمناصرة لإسرائيل، مثل هدسون إنستيتيوت (Hudson Institute) و أمريكان انتربرايز إنستيتيوت ((American Enterprise Institute (AEI) وجويش إنستيتيوت فور ناشيونال سيكيوريتي (Jewish Institute for National Security) (JISNA) وغيرها[٢٩]. والواقع أن نظام الإحتلال الأمريكي في عراق ما بعد الحرب قد أوكل مبدئياً إلى جاي غارنر، وهو جنرال مناصر لاسرائيل على علاقة وثيقة بـ «JISNA» أو «المعهد اليهودي للأمن

---

(٢٧) Ari Shavit, «White Man's Burden,» *Haaretz*, 4/4/2003.

(٢٨) Naseer Aruri, «Remapping the Middle East: Whose War Is It This Time?,» *Counterpunch*, 28 October 2002, <http://www.counterpunch.org/aruri1028.html - 39k>.

لمتابعة استخدام اسرائيل اتفاق أوسلو كاستراتيجية، انظر: Naseer Aruri, *Dishonest Broker: The U.S. Role in Israel and Palestine* (Cambridge, MA: South End Press, 2003), pp.167-192.

(٢٩) يقول المعهد العربي ـ الأمريكي American Arab Institute (www.aaiusa.org) إن الجنرال المتقاعد المناصر لاسرائيل جاي غارنر سوف يكون هو على الغالب من يقود السلطة في العراق بعد سقوط نظام صدام حسين. وقد اختير غارنر من قبل وزير الدفاع رامسفيلد ليترأس مكتب إعادة الإعمار والمساعدات الإنسانية المكلف بوضع خطة لإعادة بناء العراق بعد الأزمة الحالية. وفيما يطري الكثيرون إنسانية ورحمة غارنر، هناك من يضع علامات استفهام حول سياسات الجنرال. والتقرير التالي يكشف أن غارنر يقيم علاقات مع «المعهد اليهودي لقضايا الأمن القومي» وهو مؤسسة غير ربحية ملتزمة بتقوية العلاقات الاستراتيجية بين [اسرائيل والولايات المتحدة] الديمقراطيات العظيمة. وكان غارنز وحوالى ٤٠ ضابطاً أمريكياً، في رد فعل على الانتفاضة الثانية، قد وقعوا في تشرين الأول/ اكتوبر ٢٠٠٠ عريضة تلقي بمسؤولية العنف على الفلسطينيين. «إن العنف الذي أطلقه الفلسطينيون في إسرائيل يخبرنا الآن بقوة أن الفلسطينيين تنقصهم النيات الحسنة إلى حد بعيد...أن الأصدقاء لا يتخلون عن أصدقائهم في ساحة المعركة». ومن أجل النص الكامل، انظر: <http://www.jinsa.org/articles/print.html/documentid/1043>, and «US Civilian Head for Iraq Took Paid Trip to Israel,» Reuters, 25/3/2003.

القومي»[٣٠]. وأما خلفه پول بريمر، فهو مرتبط بمجموعة شركة «أمريكا» ومتعاون مع منظمة وليم بينيت اليمينية: «أمريكيون من أجل الانتصار على الإرهاب». وقد التأمت المصالح الأمريكية والإسرائيلية على أمل إعادة رسم خرائط الشرق الأوسط التي وضعت بعد الحربين الأولى والثانية. والهدف المركزي للحرب هو حلّ النزاع العربي – الإسرائيلي وفق الشروط المناسبة تماماً لحكومة الجنرال شارون، أشدّ الحكومات تطرفاً وتصلباً في تاريخ إسرائيل. وتهدف المغامرة أيضاً إلى تجريد العربية السعودية من أي نفوذ على أسعار النفط، وإلى إرهاب سوريا، وإلى التلاعب بالتوازن المحلي في إيران التي تعتبرها إسرائيل تهديداً استراتيجياً. ففي تهديد سافر لإيران، قال ريتشارد پيرل إن سقوط صدام حسين سوف يكون حافزاً للإيرانيين الباحثين عن التحرر من طغيان الملالي[٣١]. بينما قال ميخائيل ليدين (من الأمريكان انتربرايز انستيتيوت والمستشار السابق الذي عمل مع روبرت مكفرلين الضالع في تهريب السلاح الى إيران أيام فضيحة الكونترا): إن هذا الصراع هو جزء من «حرب أطول» و «إن دولاً ترعى الإرهاب مثل إيران وسوريا تعلمان ذلك»[٣٢].

ليس سراً أن زعماء الدعوة إلى الحرب في الولايات المتحدة هم من أعز أصدقاء إسرائيل والمساعدين المقربين لقادتها العسكريين والسياسيين، وفي الوقت نفسه جميعهم ممن يشهد سجلهم بدعم إجراءات شارون الوحشية في الأراضي المحتلة.

---

(٣٠) وفي ما يلي نبذة من تقرير رويتز: «إن الجنرال المتقاعد المعين كحاكم مدني للعراق المحتل قد زار إسرائيل على حساب مجموعة ضغط ترى أن الولايات المتحدة تحتاج إلى إسرائيل لنشر قواتها في الشرق الأوسط.. وكان الجنرال جاي غارنر قد وقع على عريضة يتهم فيها الفلسطينيين بتفجير العنف ويقول إن إسرائيل قوية هي ذخر أمني قوي للولايات المتحدة. وكان البيان قد رعاه «المعهد اليهودي لقضايا الأمن القومي» الذي يدفع للضباط المتقاعدين من أجل إن يزوروا إسرائيل حيث تتم توعيتهم من قبل ضباط وسياسيين إسرائيليين. إن ريتشارد پيرل أحد مهندسي الحرب على العراق هو أحد مجلس مستشاري المعهد. وقد جاء في عريضة ٢٠٠٠ التي وقعها غارنر و٤٢ ضابطاً: «إننا لنهلع إزاء قيام القيادة العسكرية والسياسية الفلسطينية بتعليم الأطفال آلية الحرب وملء رؤوسهم بالكراهية»...

(٣١) Dinmore, «Ideologues Reshape World over Breakfast,» p. A1.

(٣٢) المصدر نفسه، و William O. Beeman, «Military Might: The Man behind Total War in the Middle East,» *San Francisco* Chronicle, 14/5/2003.

ويبدأ البروفسور بيمن مقالته كما يلي: «معظم الأمريكيين لم يسمعوا بمخائيل ليدين، ولكن إذا تورطت الولايات المتحدة في حرب واسعة في الشرق الأوسط، فإن الفضل في ذلك يعود إليه». وكان ليدين قد أخبر«المعهد اليهودي لقضايا الأمن القومي» في ٣٠ نيسان/أبريل «أن وقت الدبلوماسية في نهايته. لقد أزفت ساعة إيران الحرة، وسوريا الحرة، ولبنان الحر».

في الأسبوع الأول من غزو العراق، أطلق رامسفيلد وپاول تهديدين علنيين لسوريا، وقد اختار پاول أن يطلق تهديده من منبر اللقاء السنوي لإيباك (الهيئة الإسرائيلية الأمريكية للعلاقات العامة (AIPAC)). ووفقاً لوكالة «UPI»، فإن خطة طارئة لنقل مسرح الحرب إلى سوريا قد أبطلته كوندوليزا رايس بموافقة الرئيس. وكانت الخطة قد وُضعت من قبل دوغلاس فايث، مساعد وزير الدفاع للسياسة، وبموافقة رامسفيلد وتحريض ولفويتز، وهم جميعاً من أنصار حزب الليكود الاسرائيلي[٣٣]. وتتابع الوكالة تقريرها:

«إن آخر تحريض للبنتاغون على مجابهة دمشق تعزز بزيارة مستشار الأمن القومي الاسرائيلي إفراين هاليفي إلى واشنطن بين ١٢ و ١٤ نيسان/أبريل. ووفقاً لما كتبته **هآرتس** يوم ٣١ نيسان/أبريل، فإن هاليفي، ودوف وايسغلاس، أحد كبار المساعدين لرئيس الوزراء الاسرائيلي أرييل شارون، زارا واشنطن «ليقترحا أن تتولى واشنطن أمر إيران وسوريا أيضاً بسبب دعمهما للإرهاب وتطويرهما أسلحة دمار شامل» ... وقد تمّ الاجتماع بهاليفي في قاعة اجتماعات الرئيس «بوش» مع كبار مسؤولي الأمن القومي وحضور مستشاري البيت الأبيض، كما ذكرت مصادر الإدارة. وجواباً عن توسلات هاليفي من أجل التحرك، كرّرت رايس تأكيدها بأنه لن تكون هناك مغامرة عسكرية أخرى في الفترة الأولى من رئاسة بوش»[٣٤].

وفي الوقت نفسه، عزا إريك مارغوليس (معلق السياسة الخارجية في صحيفة **تورونتو صن** (*Toronto Sun*) الحرب إلى الليكود مباشرة، منوّهاً بتقارب آرائه مع آراء المحافظين الجدد في أمريكا: «إنني أرى أن إسرائيل قد لعبت عبر المحافظين الجدد في الولايات المتحدة دوراً رئيسياً في هندسة الحرب... إنهم لا ينطقون باسم كل الاسرائيليين، وإنما ينطقون باسم حزب الليكود والعناصر الأكثر تطرفاً في إسرائيل. تذكروا أن المحافظين الجدد جميعاً كانوا متفقين في القول بأن بغداد هي الخطوة الأولى وإن إيران بعدها. ثم إن الجنرال شارون في اليوم التالي لدخول الجيش الأمريكي بغداد قال إن عليها أن تزحف إلى طهران. إن الإسرائيليين يعرفون تماماً أن العراق لا يشكل في المرحلة الحالية تهديداً كبيراً لهم، بل ربما أصبح تهديداً إذا سُمح له بأن يتطور، وإنني أعتقد أن إيران هي هدفهم الرئيسي»[٣٥].

وبالطبع، فليس لأي من هذه الأهداف علاقة بمخاوف بوش المعلنة حول تهديد أمن الولايات المتحدة. لكن أنصار إسرائيل في الإدارة ومراكز الأبحاث ووسائل الإعلام والكونغرس الذين ظلوا ينفخون أبواق الحرب رأوا في هذه الأهداف المعلنة غطاء

---

(٣٣) Richard Sale, «Rice Blocked Plan for Raids on Syria,» United Press International [UPI], 2/5/2003.

(٣٤) المصدر نفسه.

(٣٥) Lou Marano, «Voices of Dissent: Eric Margolis,» United Press International [UPI], 25/3/2003, <http://www.upi.com/view.cfm?StoryID=20030325-015143-7876r>.

لاسرائيل من أجل التعجيل بالتطهير العرقي المتصاعد (والمعروف باسم «الترحيل» في التداول الإسرائيلي) والمستمر في الأراضي المحتلة[٣٦] منذ صيف ٢٠٠٢. وقد تمّ الكشف عن هذه العلاقة الإسرائيلية خلال عام ٢٠٠٢ من قبل عدد من المحللين الإسرائيليين المعتبرين، ومنهم ميرون بنفينيستي، وكيل عمدة القدس السابق الذي عقد الصلة في صحيفة **هآرتس** بين دفاع إسرائيل عن الحرب الأمريكية ضد العراق وبين هدف إسرائيل الخاص بالتطهير العرقي في الضفة الغربية[٣٧].

زد على ذلك، أن تصرفات القيادة الاسرائيلية تأكدت من خلال الرأي العام الاسرائيلي أن استفتاء آب/أغسطس الذي أجرته **معاريف**، وهي الصحيفة اليومية الأكثر توزيعاً في إسرائيل، كشف عن أن ٥٧ بالمئة من الإسرائيليين يفضلون أن تشنّ أمريكا الحرب على العراق لإسقاط صدام حسين[٣٨]. وكتب المعلق الاسرائيلي جدعون ليفي في **هآرتس** حول انزعاج عدد كبير من الجنرالات من تأخر الغزو الأمريكي للعراق وعن جذلهم ونشوتهم العارمة عندما بدأت القنابل تتساقط فوق بغداد:

«كان من الواضح أثناء فترة الانتظار أن المطل الطويل صعب عليهم. لقد اعتبروا كل تأجيل خطأ فاحشاً، وكل نقاش حول مبررات الحرب نوعاً من الهرطقة. أما وإن القوات تتحرك الآن، فقد توقدت حماساتهم، لا بسبب اشتعال الحرب، وإنما بسبب المعدّات المعقدة التي ستستخدم. إن القنبلة الذكية والصواريخ الموجهة والأساطيل البحرية والمحركات المروحية وقاذفات الشبح والقنابل الهائلة ألهبت مخيلاتهم»[٣٩].

---

(٣٦) عن «الترحيل» في التاريخ الصهيوني، انظر: Nur Masalha, *Imperial Israel and the Palestinians: The politics of Expansion* (Sterling, VA; London: Pluto Press, 2000).

(٣٧) Meron Benvinisti, «Preemptive Warnings of Fantastic Scenarios,» *Haaretz*, 15/8/2002.

(٣٨) Jason Keyser, «Israel Urges US to Attack Iraq,» Associated Press, 16/8/2002.

(٣٩) Gideon Levy, «Smart Bombs, Obtuse Commentators,» *Haaretz*, 25/3/2003.

ويتابع ليفي: «إن بسمة مشابهة لبسمة الطفل وهو يحكي لك عن لعبه قد ارتسمت على وجوههم وهم يصفون الفتنة الساحرة لقوة الدمار الأمريكية. إن قادة سلاح الجو السابقين الذين يصعب عليهم في الغالب أن يتخلوا عن وظائفهم يصفون القصف الفظيع بالقنابل وآلات الإبادة الزاحفة أو الطائرة وكأنها تحف فنية. وكان الجنرال أرييه مزراحي قد تمالك مشاعره في إحدى هذه النقاشات اللانهائية وهو يخرج من جيبه أنموذجاً صغيراً من القنبلة العنقودية – مصنوعة في مصانع السلاح الإسرائيلية على ما يبدو (التي يتولى رئاستها). وبعينين براقتين [بالسعادة] أخبر مشاهديه أن الأمريكيين كانوا يستخدمون هذا السلاح. وشرح لهم كيف تنشطر إلى عدد هائل من القنابل الصغيرة وكيف أنها ألحقت الدمار في حرب لبنان و«سحقت» كتائب مسلحة عن بكرة أبيها، وأن كل من شاهد النتائج في لبنان صعق. ذلك أن هذه القنابل تمطر فولاذاً حقيقياً. هذه القنبلة الصغيرة الذكية التي أحضرها مزراحي مضت من يد إلى يد في المحترف بينما تأملها الجنرالات القدامى بإجلال. لقد كان عرضاً لا ينسى. وبالطبع لم يكن أحد منهم معنياً بالإشارة إلى ما يحدثه مثل هذه القنبلة من قتل ودمار بين المدنيين الأبرياء، ولا تساءل أحد منهم ماذا أصاب هذا المجتمع الذي يصاب الناطق باسمه بفرح عارم أمام الأسلحة والقتل.

ظل دور إسرائيل في غزو العراق بعيداً عن النقاش العام، باعتبار أن كثيراً من أساطين وسائل الإعلام أحجموا عن التعرض له. وقد وصف ميخائيل كنسلي من مجلة **سلايت** (*Slate*) هذا الصمت وصفاً مناسباً فقال: «مَثَلٌ عدم مناقشة الدور الإسرائيل كالمَثَلِ الشهير عن ذلك الفيل في الغرفة: يراه الكل ولكن لا يذكره أي واحد منهم»(٤٠).

وعلى كل حال، فمع انتهاء عمليات الغزو وإعلان «الانتصار»، بدا أن الاسرائيليين الرسميين وبعض الصهاينة الأمريكيين ندموا على صمتهم الذي اعتبروه موقفاً غير مشرّف، إن لم يكن إنكاراً مشيناً للجميل الذي قدمه حليف عظيم. ففي صحيفة (*Jewish World Review*) يعرض الشاهد التالي شيئاً من التلطيف لإقصاء إسرائيل المتعمد من «حلف الراغبين»:

«إن حليفنا المقتدر [إسرائيل] لم يكتف بأن زودنا بأسلحة نستخدمها في العراق، بما في ذلك بولدوزرات مصفحة وطائرات من دون طيار من صنعهم، بل إنهم ... ساعدونا في تدريب رجال المارينز على حرب المدن، وفي قيامهم بمهمات مسح سرية في صحراء العراق الغربية، وسماحهم للولايات المتحدة بأن تضع معدات حربية داخل حدودهم. كذلك فقد طلبنا نصيحة الاسرائيليين بخصوص اكتشاف مهاجم انتحاري وهو في طريقه للهجوم، وكيف نتعامل مع الحواجز والمتاريس ونتغلب على الانتحاري»(٤١).

ومع ذلك، فيبدو أن هؤلاء الذين قاموا بدور المهندسين في واشنطن قبل الغزو، لم يشعروا بضرورة الاعتراف بفضلهم، بل إن الحديث عن علاقة الكثير من اليهود الأمريكيين من حركة المحافظين الجدد بالغزو اعتبر كمعاداة للسامية. وليس سراً أن زعماء الدعوة إلى الحرب في الولايات المتحدة هم من أعز أصدقاء إسرائيل والمساعدين المقربين لقادتها العسكريين والسياسيين. وتضمّ القائمة من بين ما تضم ريتشارد بيرل، الرئيس السابق لمجلس المستشارين في وزارة الدفاع (Defence Advisory Board) والزميل في الأمريكان انتربرايز انستيتيوت (AEI)(٤٢)، كما تضم صديقه الحميم وحليفه السياسي دافيد وورمسر، من هدسون آنستيتيوت (Hudson Institute). إن زوجة وورمسر، ميراف (Meyrav)، هي التي شاركت الكولونيل ييغال كارمون (من

---

(٤٠) *Slate* (24 October 2003), <http://slate.msn.com/id/2073093>.

(٤١) Steven Zak, «Matter of Honor,» *Jewish World Review* (1 May 2003).

(٤٢) وريتشارد بيرل هو أيضاً مدير الصحيفة الاسرائيلية **جيروسالم بوست**. وصادف انه كان أيضاً رئيس ومدير شركة هولينغر ديجيتال. إن هويلينغر انترناشيونال (الشركة الأم لهولينغر ديجيتال) هي مالكة الصنداي تلغراف والجيروزالم بوست. انظر: Inayat Bunglawala, «We Won't Forget the Terrible Things Done in Our Name,» *Time* (25 March 2003).

وقد استقال بيرل من الرئاسة في ٢٧ آذار/مارس ٢٠٠٣ بعد أن طالب عدد من الديمقراطيين الكبار بتحقيق حول إمكانية التعارض بين منصبه في الشركة وبين عمله مستشاراً في البنتاغون. انظر: <http://www.smh.com.au/articles/2003/03/26/1048653750458.html>.

الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية سابقاً) في تأسيس معهد الدراسات الاعلامية للشرق الأوسط (Middle East Media Research Institute (MEMRI)) الذي يقوم بترجمة وتوزيع مقالات مختصة بالتهجم على العرب. وإضافة إلى پول ولفويتز (مساعد وزير الدفاع) هناك دوغلاس فايث (أحد مساعدي الرئيس بوش الذين يحرضون على الحرب) ولويس «سكوتر» ليبي (أحد مساعدي وزير الدفاع)، وميخائيل روبين (رئيس موظفي مكتب نائب الرئيس ديك تشيني، المختص بالعراق وأفغانستان. وكان قبل فترة وجيزة يعمل مع إحدى قوى الضغط الإسرائيلية (The Washington Institute for Near East Policy) وغيرهم ممن يضيق المجال بذكرهم(٤٣) .

ولقد كتِب الكثير عن الدور الخارق الذي قام به هؤلاء الصقور في رسم السياسة الخارجية للرئيس بوش وعن ارتباطهم بالجالية اليهودية الأمريكية، مما أدى إلى اتهام بعض من كتبوا عن ذلك بمعاداة السامية. وكان باتريك بوكانن، وهو أحد المستهدفين بهذه الاتهامات قد كتب رداً شافياً اتهم فيه عصابة المحافظين الجدد بأنهم دفعوا بهذه الأمة إلى حرب غير لازمة، وأثار السؤال المشبوه: إنها «حرب من»؟(٤٤) ووفقاً لبوكانن، فإنه حتى مجلة نيو ريبوبليك اليمينية المناصرة لإسرائيل (والتي لا يمكن اتهامها بمعاداة السامية)، لم تتردّد في أن تنشر تحليلاً لأستاذ في هارفرد هو ستانلي هوفمن واسماً عصبة المحافظين الجدد بأنهم يشكلون «مركز السلطة الرابعة» في واشنطن:

> إن المعنى الحقيقي لخريطة الطريق كـ "برنامج مشروط بالأداء" ينحو باللوم على الفلسطينيين، وفي أحسن أحوالهم، يضعهم تحت الاختبار. كل هذه المبادرات ينقصها على ما يبدو أمران: جدول زمني ملزم ونتيجة ملموسة تنتهي إليها.

«وأخيراً، فإن هناك مجموعة سائبة من أصدقاء إسرائيل تؤمن بتماهي المصالح بين الدولة اليهودية والولايات المتحدة. هؤلاء المحللون ينظرون إلى السياسة الخارجية بمنظار وحيد الاهتمام: هل هو مفيد أو ضار لإسرائيل؟ إن رائحة هؤلاء المفكرين في وزارة الخارجية لم تكن عطرة، وذلك منذ تأسيس تلك الأمة في عام ١٩٤٨، لكنهم الآن متمترسون جيداً في البنتاغون حول استراتيجيين مثل پول ولفويتز وريتشارد پيرل ودوغلاس فايث»(٤٥).

---

(٤٣) لمزيد من التفاصيل، انظر: Brian Whitaker, «Selective MEMRI,» *Guardian*, 12/8/2002.

(٤٤) Patrick J. Buchanan, «Whose War? A Neoconservative Clique Seeks to Ensnare Our Country in a Series of Wars that are not in America's Interest,» *American Conservative* (24 March 2003).

(٤٥) المصدر نفسه.

وفي الوقت نفسه، فإن صقور الإدارة الذين حضّوا على هذه الحرب، مثل نائب الرئيس ديك تشيني ودونالد رامسفيلد ومستشارة الأمن القومي كوندوليزا رايس، جميعهم ممن يشهد سجلهم بدعم إجراءات شارون الوحشية في الأراضي المحتلة. إن رامسفيلد هو أول مسؤول أمريكي يستخدم عبارة ما يسمى بـ"الأراضي المحتلة» في وصف الضفة الغربية وغزة. وقد دافعت رايس عن استراتيجية إسرائيل الاستباقية بدلاً من الردع أو الاحتواء، وهي تعتبر أن تلك السياسة جديرة بالتكرار في العراق وعلى مستوى العالم. أما اعتراضها على مدّ ساحة الغزو إلى سوريا، فلا يُفسر إلا ضمن الإعداد للحملة الرئاسية. إن رسالة عصابة المحافظين الجدد واضحة تماماً: لقد تمّ رسم قواعد جديدة للسلوك الدولي. فالحرب على العراق، وقصف يوغسلافيا من الجو في عام ١٩٩١، والاجتياح الشامل لأفغانستان عام ٢٠٠١، كل ذلك يعني أن مسرح العمليات العسكرية الأمريكية هو الآن على مستوى العالم كله. وبذلك فهو يهدد بتقويض كل النظام الدولي لما بعد الحرب الثانية.

الحرب على الإرهاب: حروب وقائية بدلاً من الاستباق والردع

إن تدخل كلينتون في كوسوفو والصومال وهاييتي والعراق، وما فعله بوش (الأب) في العراق وباناما، كل ذلك تمّ تسويغه تحت غطاء علاج التطهير العرقي، أو الجوع، أو الحكومة الفردية، أو تطوير أسلحة الدمار الشامل، أو تهريب المخدرات. بعض هذه التدخلات المسماة بالإنسانية، تمّ تبريرها بالقول إنها ردّ على تهديد مفترض، وبذلك فقد اعتبرت تدخلات استباقية (أي عمل عسكري ضد عدو على وشك أن يهاجمك)، لكن الحرب الوقائية شنّت ضد احتمال أن العراق ربما يضرب يوماً ما بأسلحة دمار شامل، إما مباشرة أو عبر وكلاء. إن عقيدة بوش الجديدة تسوغ التدخلات العسكرية بأنها «حروب وقائية» لا يحرمها القانون الدولي، باعتبارها لازمة لتفادي خطر محتمل. هذه التهديدات يفترض أنها تهدد الأمن القومي ـ وبشكل أساسي من «الإرهاب ـ بمجرد أن تقترب من أبواب ما اتسعت رقعته الآن وصار يشمل كل ما يعرف اليوم بالعالم المتحضر. وهذا التزام مفتوح أكثر مما كان معمولاً به في عهد كلينتون، بل حتى في عهد بوش الأول، على الرغم من الخطب الطنانة عن حقوق الإنسان والديمقراطية. وهو أيضاً التزام بأن تبقى الولايات المتحدة في حال من التأهب العسكري الدائم، وبالعزم على محاربة «الأشرار» قبل فترة طويلة من هجومهم المفترض .

إن الرئيس ومثقفيه المحاربين أسهبوا في موضوعة ضرورة استباق وقوع الخطر حتى ولو على حساب جعل كل الحديث افتراضياً. إن احتلال العراق ليس له سبب كاف، ولا أي تفويض «دولي» متعدد الأطراف، حقيقياً أكان أم مستنبطاً. وكان سيمور هيرش قد أشار إلى تسرع بوش بردّ الفعل وقائياً وإلى مخاطرته بتقويض النظام الدولي، فكتب ما يلي:

«في ٢٤ أيلول/سبتمبر الماضي، فيما كان الكونغرس يستعد للتصويت على قرار

يخوّل الرئيس جورج دبليو بوش بشن الحرب على العراق... كان بعض الديمقراطيين يشككون علناً في الزعم بأن العراق ما يزال يملك أسلحة دمار شامل تشكل خطراً مباشراً على الولايات المتحدة. قبل ذلك بيوم واحد وجّه آل غور، نائب الرئيس السابق، نقداً لدفاع الإدارة عن الحرب الاستباقية، فوصفه بأنه عقيدة سوف تستبدل «عالماً تعتبر فيه الدول نفسها خاضعة لقوانين» بمفهوم [يقول] إنه ليس هناك من قانون سوى ما يستنسبه رئيس الولايات المتحدة»(٤٦).

ويرى مثقفو ومجموعات المحافظين الجدد، مثل «الفاونديشن هيرتاج» (Foundation Heritage) الممولة بسخاء أن الأوضاع ما بعد ١١ أيلول/سبتمبر مشحونة بخطر داهم لا ريب فيه. إن جون هولسمن الباحث في «الفاونديشن هيرتاج» يبرر الحرب الوقائية في مقابلة مع **البوسطن غلوب** بأن الولايات المتحدة ليس لديها الوقت الكافي للتأكد من أن تدخلاتها تتوافق مع قواعد الحرب(٤٧).

«في حرب فريدة غير مسبوقة ليس هناك من قواعد للحرب ... يجب أن تتحركَ أسرع، ويجب أن تكونَ أكثر عنفاً لحماية شعبك... وليس هناك شك في أن الولايات المتحدة هي القوة التي تضع النظام في العالم. هذه حقيقة، سواء أحببنا أم كرهنا. وكقوة تضع النظام، تستطيع الولايات المتحدة أن تقول إننا نريد أن نفعل أشياء تؤدي إلى استقرار دولي عام. إن هذا ليس عدلاً، ولكن أمننا ليس منظمة للنقاش والجدال»(٤٨). هذا بالفعل هو جوهر عقيدة بوش الناشئة التي لا يمكن التعبير عنها بأفضل مما جاء في خطاب التخرج الذي ألقاه الرئيس في أكاديمية وست بوينت يوم الأول من حزيران/يونيو ٢٠٠٢. وقد قال الرئيس منكراً صلاحية عقيدة الردع والاحتواء أيام الحرب الباردة: «على مدى القرن الماضي، اعتمد دفاع أمريكا على عقيدة الحرب الباردة الخاصة بالردع والاحتواء. وفي بعض الحالات فإن هذه الاستراتيجيات سوف تطبق. لكن الأخطار الجديدة تتطلب تفكيراً جديداً أيضاً. إن الردع، أو الإنذار برد عنيف شامل ضد دول لا معنى له في محاربة شبكات إرهابية شبحية لا تدافع عنها دول. والاحتواء غير ممكن عندما يستطيع دكتاتور معتوه أن يطلق ما لديه من أسلحة دمار شامل أو أن يزوّد بها حليفه الإرهابي سراً... إننا إذا قعدنا ننتظر الخطر، فإننا نكون قد انتظرنا أكثر من اللازم...»(٤٩).

ومن الواضح أن بوش يفترض أن مستبدي اليوم أشد «عتهاً»، وبالتالي فهم أعظم خطراً من المستبدين الذين كان على الولايات المتحدة أن تواجههم خلال الحرب الباردة،

---

(٤٦) Seymour M. Hersh «Who Lied to Whom?,» *American Conservative* (24 March 2003).

(٤٧) Robert Schlesinger, «Well Strike First,» *Boston Globe*, 30/6/2002.

(٤٨) المصدر نفسه.

(٤٩) «Complete Text of Bush's West Point Address,» *Newsmax Wires and NewsMax* (June 2002), < http://www.newsmax.com/archives/articles/2002/6/2/81354.shtml >.

سواء كانوا حلفاء أو أعداء. وهذه أيضاً دعوى باطلة. زد على ذلك، -كما شاهدنا سابقاً- فإن سياسة الاحتواء مورست في الواقع على زعماء وطنيين وقوى مناهضة [للسياسة الأمريكية]، لا يشكلون تهديداً أكيداً للغرب برغم التلفيق والتركيز الإعلامي الهائل، ولم تمارس بالضرورة ضد «مستبدي» الاتحاد السوفياتي والصين. وتفنيداً لهذا المنطق، فإن باتريك بوكانن، أحد أعضاء إدارة ريغان وبوش، سلط الضوء على خطر هذا التناول ونقده بشده:

«هل هذه عقيدة بوش الجديدة: الولايات المتحدة تؤكد على الحق في أن تشنّ حروباً وقائية على أي «دولة شاذة (Rogue) تبني نوعاً من الأسلحة التي نملكها منذ أكثر من نصف قرن؟ إذا كانت كذلك فعلاً، فإن هذه وصفة لحروب لانهائية، ستؤدي معظمها على وجه اليقين إلى الخطر الذي يسعى الرئيس إلى تفاديه وهو تفجير سلاح نووي أو بيولوجي فوق الأرض الأمريكية»(٥٠).

عقيدة بوش تؤكد على الحاجة إلى أن تنفرد بتحديد العدو واتهامه، وعلى معاقبة المعتدي المفترض على الولايات المتحدة. وأن تكون البادئة بضربه من حيث لا يحتسب وفي أي مكان من العالم. «لا يمكن كسب الحرب على الإرهاب بالاقتصار على الدفاع. يجب نقل ساحة المعركة إلى حيث يوجد العدو، ويجب تعطيل خطته ومواجهة أسوأ الأخطار قبل أن يذر قرنها. إن أمننا يتطلب إعادة صياغة للقوة العسكرية التي تقودها، قوة عسكرية قادرة خلال دقيقة على أن تضرب في أي بقعة مظلمة من هذا العالم»(٥١).

عقيدة «الحرب الوقائية» تؤكد على ضرورة العمل بسرعة. لهذا فهي تجعل المشاورات في الكونغرس، والتشاور مع الحلفاء، أو مع محامي القانون الدولي، أمراً غير عملي، مضجراً، ومعوقاً. ليس هناك وقت لدراسة المعاهدات والمواثيق الدولية وتقدير أثرها في الضربات الوقائية.

أفول السيادة والتعاون الدولي المتعدد الأطراف

يتضح مما سبق أن السعي من أجل الامبراطورية القائم على قدم وساق منذ سقوط الاتحاد السوفياتي قد مضى جنباً إلى جنب مع نهش الشرعية الدولية. فقد أزيح القانون الدولي جانباً فيما كان مفهوم توازن القوة ومناطق النفوذ يتداعى بشكل خطير تحت تأثير التصرف الأحادي للولايات المتحدة والاعتماد على الحرب الوقائية. وليس من باب المصادفة أن الولايات المتحدة حتى قبل وصول بوش الثاني إلى الحكم لم تعد تأبه بمعاهدات مثل معاهدة منع الصواريخ البالستية، وميثاق الأسلحة الكيميائية، والمحكمة الدولية للجريمة، وبروتوكول كيوتو وغير ذلك

---

(٥٠) Patrick J. Buchanan, «Bellicose Foreign Policy Irks Friends, Incites Foes,» *USA Today*, 24/6/2002.

(٥١) «Complete Text of Bush's West Point Address».

من معاهدات. وقد ترافق عدم احترام القانون الدولي مع الاعتداء على الحريات المدنية والضمانات الدستورية، ثم تفاقم ذلك كله مع اختلاق شعور برسالة أخلاقية وهستيريا من الوطنية المقدسة التي سدّت كل المنافذ على المشككين أو المرجئين. ولا شك في أن مسحة من دين أو موعظة رئاسية سوف تضفي على الرسالة شيئاً من الشرعية: «في المحنة... إن الله قريب» كما قال الرئيس مستبعداً أي حل وسط. أما الشرير، فإنه في النهاية، أصبح محدداً واضح المعالم.

«ليس هناك حيادية بين العدالة والظلم، بين البريء والمذنب، إننا في خضم نزاع بين الخير والشر، وإن أمريكا سوف تسمي الشر باسمه»(٥٢).

وفقاً لأخبار «ABC»، فقد صار الدين عاملاً في غزو العراق إلى درجة أن الجنود سئلوا أن يصلّوا لبوش يومياً وأن يدعوا إلى الله أن يرزقه الحكمة بصرف النظر عما يقضي به المستشارون وما يفعله النقاد(٥٣). وقد لخّص جورج مكغفرن، أحد مرشحي الرئاسة السابقين، مهمة بوش السماوية، قائلاً:

«لطالما باح الرئيس إلى الخلّص والمقربين منه أن يد الله هي التي تهديه. ولكن إذا كان الله هو الذي أوحى اليه أن يغزو العراق، فقد أرسل رسائل مختلفة إلى البابا، وإلى مجلس الأساقفة الكاثوليك وإلى مجلس الكنائس البروتستانتي الوطني وعدد من الحاخامات الأجلاء الذين يعتقدون جميعاً أن غزو العراق وقصفه ضد إرادة الله. ومع كل احترامي، إنني أشك في أن كارل روف وريتشارد بيرل وبول ولفويتز ودونالد رامسفيلد وكوندوليزا رايس وغيرهم من المحاربين الواقفين موقف المتفرج هم الآلهة (أو الآلهات) الذين يطالون أذن رئيسنا»(٥٤).

إما أن تكون معنا، وبذلك فأنت ضد الشر، أو ضدنا، وبذلك فأنت تدعم الأشرار،

---

(٥٢) West Point Speech.

(٥٣) لقد أعطيَ الآلاف من جنود المارينز كراساً بعنوان «واجب المسيحي»، وهو عبارة عن كتيب صلوات قصيرة يتضمن قسماً يمكن اقتطاع أوراقه وإرسالها بالبريد إلى البيت الأبيض يتعهد فيها الجندي بأن يصلي من أجل الرئيس بوش. ويقول هذا التعهد وفقاً لما رواه مراسل مرافق للحملة: «تعهدت بأن أصلي من أجلك ومن أجل عائلتك وموظفيك ومن أجل قواتنا خلال هذه الفترة من القلقلة والشغب. فليكن سلام الله راعيك». والكراس الذي أنتجته مجموعة تطلق على نفسها اسم «Touch Ministries» يطالب الجندي بأن يؤدي صلاة يومية من أجل الرئيس الأمريكي المسيحي الذي ولد في الإيمان من جديد «born-again» والذي يحب أن يشرك الله في خطاباته. وتقول صلاة الأحد: «إنني أصلي من أجل يتوجه الرئيس ومستشاروه إلى الله وحكمته، يومياً، وأن لا يركنوا إلى فهمهم الشخصي». أما صلاة الاثنين فتقول «إنني أصلي من أجل أن يمد الله الرئيس ومستشاريه بالقوة والشجاعة لنصرة الحق مهما كان نقد الناقدين». انظر: <http://www.abc.net.au/news/newsitems/s819685.htm>, 30 March 2003.

(٥٤) George McGovern, «The Reason Why,» <http://www.thenation.com/doc.mhtml?i=20030421&s=mcgovern>.

الإرهابيين أنفسهم.. وكحرب على الإرهاب، فقد أصبحت هذه الحرب بلا نهاية، وخصوصاً أن الأشرار الذين يستحقون الإبادة يتزايدون كما يبدو مع اتساع تعريف الإرهاب، وتعاظم سلوك الغطرسة، بحيث يضاف إرهابيون جدد إلى القائمة المتزايدة. وبذلك، فإن هذه اللوائح الجديدة تساعد على تآكل القانون والنظام وتروج لممارسة القوة انفرادياً. إن ثنوية جورج بوش حادة شديدة الإطلاق، بحيث لم تبق متسعاً للتمييز بين الإرهاب وبين المقاومة أو بين السبب والمسبب.. والواقع أن تعبير «السبب الأصلي» قد تمّ تشنيعه وتحريفه كتبرير سافر ومخادع للإرهاب نفسه. وهكذا، فإن الصراع الفلسطيني الاسرائيلي مثلاً بدأ بالنسبة الى جورج دبليو بوش مع القنابل الانتحارية عام٢٠٠١ وليس في عام ١٩٨٤ أو حتى عام ١٩٧٦. ومن هنا، فإن سياسة بوش في الشرق الأوسط قد صيغت وأعيدت صياغتها من خلال نظرة إلى العالم متأثرة باعتبارات داخلية ومشتقة من هلع ١١ أيلول/سبتمبر، ثم نقحت من خلال تجارب أمثال أرييل شارون الذي دعاه [بوش] «معلمي» و «رجل سلام». إن العربدة الإسرائيلية في المدن الفلسطينية ومخيمات اللاجئين المستمرة منذ آذار/مارس ٢٠٠٢ وُصفت إجمالاً بأنها شكل من أشكال الدفاع عن النفس وكجزء من حملة لاقتلاع «شبكات الإرهاب» على رغم الطبيعة «الوقائية» لما يسمى بالغارات وعلى رغم التدمير الوحشي وقتل المدنيين الذي يكاد يكون يومياً. إنها نظرة لا تختلف عن نظرة ريغان وشولتز اللذين لقيت عبارات إعجابهما بطريقة إسرائيل في محاربة الإرهاب دعاية كبيرة. فالرئيس ريغان مثلاً الذي قبل بالأداء الإسرائيلي كمثال يحتذى في مكافحة الإرهاب، ربط نفسه بالغارة الإسرائيلية على تونس في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٥ والتي أدت إلى قتل٧٠ تونسياً وفلسطينياً انتقاماً لمقتل ثلاثة إسرائيليين في قبرص. لقد وصفها ريغان بأنها شكل من أشكال الدفاع المشروع عن النفس. ولم ير في ذلك خرقاً لمرسوم رقابة تصدير السلاح الذي يمنع استخدام السلاح الأمريكي المستورَد لأغراض هجومية[٥٥]. ثم كرر بوش ذلك أيضاً في جنين بعد فظاعات نيسان/أبريل٢٠٠٢ التي استخدم فيها الجيش الاسرائيلي طائرات الأباتشي المروحية والبولدوزرات المصنوعة لدى كاتربيلر وغير ذلك من المعدات الأمريكية الصنع في ارتكاب جرائم ضد الانسانية بالمعنى النورمبرغي للعبارة. واليوم، نرى قادة عسكريين أمريكيين يتوقفون في إسرائيل ليأخذوا الحكمة من مجرمي الحرب الاسرائيليين وليتعلموا

> إن الهدف النهائي للمحافظين الجدد هو التفوق الأمريكي المطلق في عالم جديد وحيد القطب. فغزو العراق لن يمكنهم من تنظيم خريطة ما بعد الحرب العالمية الأولى للمنطقة وحدها، بل سيمكنهم من تنظيم خريطة ما بعد الحرب العالمية الثانية أيضاً.

(٥٥) Aruri and Carroll, «The Anti-Terrorist Crusade».

منهم كيف يحاربون في المدن العراقية. وذكرت التقارير أن الجيش الأمريكي اشترى بولدوزرات مسلحة من إسرائيل لاستخدامها في المدن والأحياء العراقية(٥٦).

اختبار القواعد الجديدة وعواقبها المحتملة

بعد ساعات من هجوم ١١ أيلول/سبتمبر على نيويورك وواشنطن صدر إعلان جورج بوش «الحرب على الإرهاب» الذي دشّن به بداية مسرحية استراتيجية لإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط ووسط آسيا ولتوسيع رقعة الهيمنة الأمريكية. أما الخطة الأولية، فتتضمن الإطاحة بنظام طالبان في أفغانستان واستبداله بنظام أكثر طواعية من تحالف الشمال الذي أثبت في ورطة ١٩٨٠ أنه لا يقل قسوة. إنه نظام حميد قرزاي الأمريكي الصنع الذي خلعوا عليه صفات الإطراء وقالوا إنه نتيجة مشروع «بناء أمة» بعد الإعلان عن «نصر» عسكري سريع من دون ضحايا أمريكيين. إن إعادة غزو أفغانستان كان – كما يعتقد الكثيرون ـ بحضّ من الصقور في إدارة بوش الذي استغلوا التهديد بالإرهاب للمضي قدماً في تنفيذ خطتهم الاستراتيجية الخاصة بالنفط والقواعد والهيمنة.. والواقع أن للقواعد العسكرية الأمريكية التي هي في طور البناء منذ أن بدأت الحرب على الإرهاب قرباً غير مفهوم من خطوط الأنابيب المفترض مدها والتي تشكل غنيمة ثمينة من غنائم هذه الحرب. إن واشنطن بدأت فعلاً في تعزيز موقعها الاستراتيجي في تلك المنطقة ببناء قواعد عسكرية في كازاخستان، وتمدّ سككاً حديدية، وتبني جسوراً ومستودعات ومراكز اتصالات في أوزبكستان. إن نقل قواعدها من تركيا شرقاً، ومن غرب أوروبا إلى شرقها، ومن العربية السعودية إلى قطر، هو جزء من إعادة الصياغة الاستراتيجية لعالم ما بعد غزو أفغانستان والعراق. وقد وصف إيان تايلور في **الغارديان** العلاقة الناشئة بين الشرق الأوسط ووسط آسيا بقوله:

«لقد شهدت السنتان الأخيرتان توسعاً سريعاً في الانتشار الأمريكي على مدى آلاف الأميال التي تمتد من البلقان إلى حدود الصين أحاط بالقوقاز ووسط آسيا والشرق الأوسط وشبه القارة الهندية. من كامب بوندستيل في كوسوفو بعد حملة حلف الأطلسي عام ١٩٩٩ فإلى قاعدة بيشكِك الجوية في قرغيزستان بعد حرب أفغانستان، يعمل الأمريكيون على إنشاء حضور عسكري في أماكن لم يكونوا فيها من قبل. هناك ١٣ قاعدة جديدة في تسعة بلدان تحيط بأفغانستان، وقد أنشئت بسرعة، مما جعل جنوب روسيا مسرحاً أمريكياً للمرة لأولى... وهناك خطط أخرى على الطريق، تهدف إلى نقل موجودات أمريكية في ألمانيا الموجودة منذ عام ١٩٤٥ إلى بعض بلدان الأطلسي الجديدة في شرق أوروبا، وخاصة بولندا ورومانيا وبلغاريا على البحر الأسود، وذلك لأهمية قرب هذه الدول من تركيا والشرق الأوسط»(٥٧).

---

(٥٦) Justin Huggler, «Israelis Trained US Troops in Jenin-style Urban Warfare,» *Independent*, 29/3/2003.

(٥٧) Jan Traynor, «How American Power Girds the Globe with a Ring of Steel,» *Guardian*, 21/4/2003.

بذلك أصبحت الحرب على الإرهاب مقدمة وتبريراً لسياسة خارجية توسعية ربما تستهدف إعادة رسم خريطة العالم الاستراتيجية. إن ضعف أفغانستان والعراق جعلهما البلدين المناسبين لاختبار عقيدة بوش. وعلى الرغم من أن الهدف المركزي لسياسة بوش الخارجية معدّ من أجل حفظ وخلق الاستقرار في عالم يفترض فيه أنه هائج مضطرب، فإن ما فعلته أمريكا في وسط آسيا والشرق الأوسط قد يورث فوضى سياسية وينشر العنف في بعض المناطق المحاذية لجبال هملايا. فإلى أي مدى ستستمر العلاقات المتحسنة بين الولايات المتحدة وبين روسيا والصين في ضوء الاختراق الأمريكي بالقواعد العسكرية وأنابيب النفط لمناطق نفوذهما التقليدية؟

إن العبارة التهديدية التي أطلقها پول ولفويتز بعد ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ عن «القضاء على دول» هي إشارة إلى ما سيحدث لاحقاً إذا نجح الامتحان في العراق وأعطى الضوء الأخضر لزحف جديد عبر المنطقة. إن كل الشرق الأوسط سيتقلقل ما دامت القواعد الجديدة المتبعة ستضيف أنظمة عميلة إلى قائمة الأهداف المحتملة من أجل إحداث تغيير جذري لا يقتصر على الجغرافيا والسياسة الطبيعية (Geo-politics)، بل سيشمل الثقافة السياسية أيضاً[٥٨].

إن هناك أزمة محتملة في شبه القارة الهندية قد تتضمن استخدام أسلحة دمار شامل نذر بوش نفسه لتدميرها. فالهند قد تشهد تحولاً استراتيجياً كبيراً بعد عقود من التحالف مع روسيا ضد الصين والولايات المتحدة، مما يثير السؤال عما إذا كانت الولايات المتحدة مستعدة الآن لأن تأخذ دور الاتحاد السوفياتي تجاه الهند. وهناك سؤال مماثل عن احتمال أن تقوم الهند بدور الترس الأمريكي الذي يحول بين روسيا وبين بحر العرب والمحيط الهندي. هل تأمل الولايات المتحدة أيضاً في استغلال العمق السكاني الهندي كحاجز بشري ضد طموحات الصين الاقليمية؟ إذا كان ذلك صحيحاً، فإن باكستان مرشحة لفقدان مركزها الاستراتيجي بعد أن تخلت عن تحالفها مع البشتون ووضعت كل ما لديها من البيض في السلة الأمريكية في الوقت الذي أحيلت فيه إلى الفريق الذي يمكن الاستغناء عنه والذي أثبت تعاطفاً شعبياً مع «الإرهاب». إن البنية الفسيفسائية لباكستان، والتي تشبه البنية الأفغانية، قد تجعلها غير حصينة في وجه ضغوط أمريكية ـ هندية، مما يجعل قضية كشمير تبدو ـ بالمقارنة ـ مثل لعبة أطفال، إضافة إلى ما تحمله من عواقب هائلة على استقرار المنطقة.

وكما أخبر لويد ريتشاردسون (من هدسون انستيتيوت) صحيفة **الفاينانشال تايمز**، فإن لدى الهند «القوة العسكرية والاقتصادية لمواجهة الأضرار الناجمة عن صعود الصين كقوة اقليمية وعالمية. إن الهند هي أكثر حلفائنا المحتملين من أجل احتواء الصين». وفي وثيقة سرية من وزارة الدفاع الأمريكية كشفت عنها (Jane's Foreign Report)، فإن «الصين ستمثل في المستقبل أعظم الأخطار ترويعاً

---

(٥٨) انظر:
Shavit, «White Man's Burden».

لأمن البلدين (الهند والولايات المتحدة)، وذلك كمنافس اقتصادي وعسكري»[٥٩]. ولاحظت الوثيقة أن علاقة الولايات المتحدة مع «الحفاء التقليديين في آسيا مثل كوريا الجنوبية واليابان قد أصبحت «هشة»، ثم خلصت إلى أن «على الهند أن تنهض كعنصر حيوي في الاستراتيجية الأمريكية»[٦٠].

ولقد أشيع بأن ١١ أيلول/سبتمبر سيكون موقظاً لأمريكا لكي تعيد تقييم سياستها الخارجية تجاه النزاع العربي – الإسرائيلي وتجاه العالم الإسلامي أيضاً. وقد ذهبت مقالة في **البوسطن غلوب** بعد شهر واحد من الهجوم على البرجين إلى أن الرئيس على وشك أن يكشف عن خطة لحل النزاع الإسرائيلي – الفلسطيني وفق «رؤيا» تقول بدولتين تعيشان جنباً إلى جنب بعد انسحاب إسرائيلي وانتهاء احتلال عام ١٩٦٧[٦١]، بل إن الرئيس خرج عن المعتاد ليدعو زعماء الجالية الإسلامية في عيد الفطر عام ٢٠٠١ إلى البيت الأبيض، وليتصور معهم بمناسبة زيارته للمركز الإسلامي في واشنطن، فيما هو يكرر رسالته للأمريكيين بأن الإسلام هو دين تسامح وسلام. كذلك، فإن زعماء الديمقراطيين في مجلسي الكونغرس أعدّوا لاجتماع غير عادي مع زعماء العرب الأمريكيين في تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠١ بدعوى أنهم يريدون أن يعرفوا منهم الأسباب الأصلية. كل هذا الاهتمام المفاجيء تبخّر بسرعة، ومنذ بدايته. فسرعان ما نال موقف اسرائيل المتصلب الذي لا يقبل بتسوية موافقة جورج بوش. إن الطلبات التي فرضتها الهند وإسرائيل على باكستان والسلطة الفلسطينية كانت متطابقة بصورة لافتة النظر. وقد لقيت طلباتهما دعم إدارة بوش .

في الوقت نفسه، كان بوش تحت شيء من الضغط لإيجاد حلّ في الشرق الأوسط يتعدّى مهمة الأدميرال جورج زيني وخطبة باول في كِنتُكي (خريف عام ٢٠٠١)، وهو ما قوضته سياسة الاغتيالات التي اتبعها شارون والتي أدت إلى عدد من العمليات الانتحارية في إسرائيل[٦٢]. وبما أن بوش ادعى بأن الطريق إلى القدس تمر ببغداد، وبما أنه غزا بغداد من غير أن ينجح بالكشف عن وجود أسلحة الدمار الشامل التي أولاها دعاية كبيرة، فإنه كان تحت ضغط لإحياء خطابه يوم ٢٤ حزيران/يونيو ٢٠٠٢ ويعلن بالتالي عن «خارطة الطريق». وكان قد تمّ تأجيل الإعلان عنها ثلاث مرات إذعاناً لشارون الذي كان في كل الأحوال قادراً على نسف كل المبادرات الأمريكية .

إن المعنى الحقيقي لخريطة الطريق كـ«برنامج مشروط بالأداء» ينحو باللوم على الفلسطينيين، وفي أحسن أحوالهم، يضعهم تحت الاختبار. كل هذه المبادرات ينقصها

---

(٥٩) Conn Hallinan, «U.S. and India-dangerous Alliance,» Portside, 10 May 2003.

(٦٠) المصدر نفسه. انظر أيضاً دراسة راند: <http://www.rand.org/publications/MR/NR1244>.

(٦١) John Donnelly, «Nation Set to Push Sharon on Agreement,» *Boston Globe*, 10/10/2001.

(٦٢) Aruri, *Dishonest Broker: The U.S. Role in Israel and Palestine*, pp. 201-204.

على ما يبدو أمران: جدول زمني ملزم ونتيجة ملموسة تنتهي إليها. أما وإن خطاب باول في لويسفيل (تشرين الثاني/نوفمبر٢٠٠١) والمبادرة السعودية (شتاء عام ٢٠٠٢) قد انتهيا إلى درج التاريخ المليء بالغبار، وبعد أن فشلت الإجراءات «الأمنية» التي اتخذها شارون في توفير الأمن الإسرائيلي أو في إجبار الفلسطينيين على الاستسلام، فإن ما تطلق عليه واشنطن بالحافز على السلام قد سيق إلى العمل الدبلوماسي من قبل طوني بلير وما يسمى بالرباعية (روسيا، أوروبا، الأمم المتحدة والولايات المتحدة). أما بالنسبة الى بوش فإنه، بعد أن استقوى بـ«نصر» عسكري في العراق (وإن كان محرجاً بتصاعد المقاومة العراقية وزيادة عدد القتلى بين الجنود الأمريكيين)، فقد قرر أن يزجّ بنفسه في دبلوماسية شخصية بحضور قمة العقبة في الأردن يوم ٤ حزيران/يونيو ٢٠٠٣ ليبرهن على أنه لا يتفوق في الحرب وحسب، بل في السلام أيضاً[٦٣].

على المستوى العالمي، تهدف الحرب والدبلوماسية الأمريكية إلى استخدام العراق كذريعة للحدّ من انتشار الأسلحة النووية وفق الشروط الأمريكية لا وفق شروط الأمم المتحدة، ولتنذر أوروبا بأن واشنطن تتحكم بحبل نجاتها. لم يعد هناك مجال لاستقلالية أي عضو من أعضاء مجلس الأمن الدائمين في النظام العالمي الجديد الذي وضعه جورج دبليو بوش. إنه سوف يحمي الدولار ضد اليورو. وإن تعامل العراق باليورو سوف يقضي عليه في المهد قبل أن تستهويه الأوبك. وهكذا فإن حرب العراق كانت أبعد من الإطاحة بالنظام، وأبعد من أسلحة الدمار الشامل، بل أبعد من منطقة الشرق الأوسط أيضاً .

إن أهدافها ليست إقليمية، بل دولية أيضاً. إن الهدف النهائي للمحافظين الجدد هو التفوق الأمريكي المطلق في عالم جديد وحيد القطب. ففزو العراق لن يمكنهم من تنظيم خريطة ما بعد الحرب العالمية الأولى للمنطقة وحدها، بل سيمكنهم من تنظيم خريطة ما بعد الحرب العالمية الثانية أيضاً. إن بنية العلاقات الدولية ما بعد الحرب الثانية سوف يتمّ تفكيكها ما دام المحافظون الجدد في السلطة.

على المستوى الإقليمي، فإن شكل الديمقراطية التي يمثلها نظام قرازاي العليل في أفغانستان هو الوصفة المعقولة التي يراها المحافظون الجدد للعراق وفلسطين إذا أتيح لهم ولشارون المضي قدماً. إن على من سيخلف عرفات وصدام حسين أن يتبنى هموم واشنطن وتل أبيب باسم محاربة الإرهاب، حتى وإن كان شارون يمارس واحدة من أكثر حملات التدمير والتطهير العرقي خطراً منذ اجتياح عام ١٩٨٤. وفي الوقت نفسه، فإن حاجات الطاقة في أمريكا والغزو الاستعماري الاسرائيلي سوف تتمّ حمايتهما باسم نشر

---

(٦٣) في تحليل خريطة الطريق، انظر: Naseer H. Aruri, «The Road Map: A Peace Plan or Another Palliative?,» <http://www.almubadara.org/en/>; Danny Rubinstein, «Fantasy Land,» *Haaretz*, 26/5/2003; Michael A. Hoffman, «The Road Map for Peace is a Swindle,» <http://www. hoffman-info.com/wire6.html>, 29 May 2003, and Mouin Rabbani, «The Road from Aqaba,» *Middle East Report Online* (June 2003).

الديمقراطية وإشاعة الإصلاح كضمانات للأمن والاستقرار الإقليمي، حتى في الوقت الذي يهدد عدمُ الاستقرار كل المنطقة.. ولكن هل سيكون جورج بوش أكثر حظاً في النجاح من شارون عندما ركب رأسه عام ١٩٨٢ وأراد تنفيذ مكيدته الكارثية[٦٤]؟

وفي الختام، فإن السؤال الحقيقي هو ما إذا كانت حروب بوش الإمبريالية سوف تثبت أنها ليست أكثر من تدبير مؤقت لتأجيل أفول الهيمنة الأمريكية وإطالة عمر الأحادية أم أنها ستثبت أنها باهظة التكاليف وعقيمة لا بد معها من إعادة تقييم شاملة كخطوة نيّرة من أجل مصلحة أمريكا نفسها[٦٥]. هل ستخرج الأصوات العاقلة عن صمتها في النهاية لتعمل وتتحرك من أجل حماية الجمهورية من الامبراطورية، ومن أجل إعادة الحياة إلى القانون الدولي ووقف التفسخ الأخلاقي لمجتمع ينبض بالحياة؟ هل سترتفع هذه الأصوات لإعادة الاحترام للدستور ولضمان أن الحقوق المدنية لأصحاب الرأي المخالف والأقليات العرقية، وبخاصة منهم العرب والمسلمون الأمريكيون، ستحترم كما ينبغي؟ إن سوء المعاملة يقتصر اليوم على العرب والمسلمين الأمريكيين، ولكن من يدري فقد تُستهدف أقلية أخرى بسوء المعاملة كما جرى في الماضي مع الأمريكيين من اليابانيين والأفارقة والسكان الأصليين [الهنود] وغيرهم من الأقليات عندما وجهوا إليها أصابع الاتهام وجعلوها كبش محرقة وهدفاً للإجحاف والأذى المستباح □

---

(٦٤) ومن أجل تحليل متبصر للحرب على العراق، انظر: Patrick Seale, «The United States and Britain are Heading for Disaster,» < http://www.mafhoum.com/press5/138seale.htm. >, 28 March 2003.

(٦٥) ولطالما قيل إن الحرب على العراق هي حرب من أجل عملة النفط تهدف إلى توجه الأوبك نحو اليورو كعملة معتمدة. وهكذا، فمن أجل الحيلولة دون قيام الأوبك بذلك تحتاج واشنطن إلى سيطرة جيواستراتيجية على العراق بما في ذلك مخزونه الذي يعتبر ثاني أكبر مخزون نفطي مؤكد. W. Clark, «The Real Reasons for the Upcoming War With Iraq: A Macroeconomic and Geostrategic Analysis of the Unspoken Truth,» Independent Media Center (January 2003), < http://www.Indymedia.org >.

هذه المقولة يؤكدها افتراض إمانويل وولرستين عن الحرب: إن بوش فعل ذلك ليبرهن على التفوق العسكري الساحق للولايات المتحدة، وليحقق هدفين رئيسيين:

- إكراه كل من يفكر في امتلاك السلاح النووي بالتخلي عن مشاريعه.

- ضرب كل الأفكار الأوروبية عن الدور السياسي المستقل في النظام العالمي. انظر: Immanuel Wallerstein, «Bush Bets All He Has,» Fernand Braudel Center (Bringhamton University), < http://fbc.binghamton.edu/commentr.htm >, 15 March 2003; Amir Butler, «The Euro and the War on Iraq,» < http://www.rense.com/general 36/euro.htm >,and Duncan Dubois, «Defending the Dollar,» *Natal Witness*, 4/4/2003.

إنه يلخصها كما يلي: إن للحرب على العراق أربعة أهداف... العودة باحتياطي النفط العراقي إلى الدولار، وإرسال إنذار واضح إلى المنتجين الآخرين بأنهم سيلاقون المصير نفسه إذا تخلوا عن التعامل بالدولار، وتوجيه ضربة لأوروبا وعملتها الموحدة واستخدام الحرب كغطاء لإعادة نفط فنزويلا إلى حلقة الدولار عبر عمليات سرية تقوم بها وكالة الاستخبارات المركزية.

الحرب الوقائية أو «الجريمة المطلقة» العراق: الغزو الذي سيلازمه العار

نعوم تشومسكي

مفكر وأستاذ في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا.

اتّسم أيلول/سبتمبر ٢٠٠٢ بثلاثة أحداث مترابطة وعلى درجة كبيرة من الأهمية. فالولايات المتحدة، وهي أقوى دولة عرفها التاريخ، أعلنت استراتيجية جديدة للأمن القومي من أجل هيمنة دائمة على العالم، وقررت استخدام القوة للقضاء على التحديات، بحيث تبقى للولايات المتحدة سيادة مطلقة. ثم إنها بدأت تقرع طبول الحرب لتعبئة الناس من أجل غزو العراق. كما شهدنا حملة الانتخابات لمجلسي الكونغرس التي يتوقف على نتائجها قدرة الإدارة على المضي قدماً بجدول أعمالها الراديكالي، على المستوى الدولي والمحلي.

هذه «الاستراتيجية الإمبريالية العظمى» الجديدة، كما حدّدها جون إكنبري في مقالة له في مجلة المؤسسة الرائدة **فورين أفيرز**، يصف الولايات المتحدة بأنها «دولة تنقيحية تعديلية تريد أن تقامر بما لديها من مميزات في نظام عالمي تتولى إدارة مسرحه»[(١)]. وقد نبّه إكنبري، كما فعل الكثيرون من نخبة السياسة الخارجية، إلى أن هذه السياسات مشحونة بالأخطار حتى بالنسبة الى الولايات المتحدة.

ما تريد الولايات المتحدة حمايته فعلياً هو قوتها والمصالح التي تمثلها، وليس العالم الذي يناهض هذا المفهوم بشدة. وقد كشفت الدراسات أن الخوف من الولايات المتحدة وعدم الثقة بقيادتها السياسية قد بلغ ذروة مرتفعة خلال أشهر قليلة. ويبدو أن استطلاعاً للرأي العام أجرته مؤسسة غالوب في كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٢ قد مرّ في الولايات المتحدة مرور الكرام. فقد أكد على أن واشنطن

(١) John Ikenberry, in: *Foreign Affairs* (September-October 2002).

التي مضت منفردة مع حلفائها (فعلياً: الولايات المتحدة وبريطانيا) إلى الحرب لم تلق أي دعم دولي.

وكانت قد أبلغت الأمم المتحدة بأنها إما أن تكون مسؤولة، فتوافق على خطط الولايات المتحدة، أو تكون مؤسسة للجدل البيزنطي. وأكدت على أن للولايات المتحدة حقاً مطلقاً يخولها بالعمل العسكري، كما بيّن كولن باول ذلك بوضوح في المؤتمر الاقتصادي الدولي الذي قابل خطط الحرب بالرفض الشديد: «عندما نحس بضرورة أمر ما، فإننا سوف نقود، حتى وإن لم يكن هناك من يتبعنا»(٢).

وقد عبّر كل من جورج بوش وتوني بلير عن احتقارهما الشديد للقانون الدولي والمؤسسات الدولية في قمة جزر الآزور عشية الغزو، وأصدرا إنذاراً، لا للعراق، وإنما لمجلس الأمن: «عليك أن تذعن وإلا فإننا سنقوم بعملية الغزو من دون أن تبصم موافقتك التافهة. وإننا سنفعل ذلك سواء غادر صدام حسين وعائلته البلاد أم لا»(٣). إن عصب المسألة هنا هو أن الولايات المتحدة مصرّة على أن تحكم العراق.

لقد أعلن جورج بوش أن لدى الولايات المتحدة «تخويلاً مطلقاً باستخدام القوة للدفاع عن أمنها القومي» المهدد بالعراق، مع صدام أو من دونه، كما تقول عقيدة بوش. إن الولايات المتحدة ستسر بإنشاء واجهة عربية، كما كانت تقول بريطانيا أيام شمسها التي لا تغيب عنها، وذلك لترسيخ وجود القوة الأمريكية في قلب المنطقة التي تنتج معظم النفط. ولا بأس بديمقراطية شكلية شرط أن تكون من النوع الاستسلامي المقبول في الكواليس الأمريكية. هذا على الأقل ما يقوله التاريخ والممارسات على الأرض.

إن الاستراتيجية العظمى تخول الولايات المتحدة بشنّ حرب وقائية، وليست استباقية. ومهما كانت مبررات هذه الحرب الاستباقية، فإنها تتهافت في حال الحرب الوقائية، ولا سيما أن إصطلاح هذه الحرب يترجم الآن من قبل أشدّ الناس حماسة لها كما يلي: استخدام القوة المسلحة للقضاء على تهديد ملفق أو متخيل، بحيث يبدو اصطلاح «وقائي» وكأنه عمل خيري عظيم. إن الحرب الوقائية هي بكل بساطة الجريمة المطلقة التي أدينت في محاكمات نورمبرغ.

هذا ما يفهمه كل من يكنّ شيئاً من الإخلاص لوطنه الولايات المتحدة. فعندما غزت الولايات المتحدة العراق كتب المؤرخ آرثر شليزنغر أن استراتيجية بوش العظمى كانت إلى حدّ خطير تشبه سياسة اليابان الإمبريالية أيام بيرل هاربور، في تلك «الفترة التي سيظل العار يلازمها»، كما قال الرئيس السابق فرانكلين روزفلت. وأضاف أنه «لم يكن

---

(٢) *Wall Street Journal*, 27/1/2003.

(٣) Michael Gordon, in: *New York Times*, 18/3/2003.

بمستغرب أن موجة التعاطف العالمي مع الولايات المتحدة بعد ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ قد استبدلت بالكراهية للغطرسة والنزعة العسكرية الأمريكية» والاعتقاد بأن خطر بوش على السلام أكبر من خطر صدام حسين[٤].

إن القيادة السياسية المستنسخة من أكثر القطاعات رجعية في إدارة ريغان وبوش (الأب) لا تعتبر الكراهية العالمية مشكلة ذات بال. فهم يريدون أن يزرعوا الخوف، لا أن يُحَبوا. ولهذا فمن الطبيعي لوزير الدفاع دونالد رامسفيلد أن يستشهد برجل عصابات مثل آل كابوني: «إنك ستكسب بالكلمة الحسنة والمسدس أكثر مما تكسب بالكلمة الحسنة وحدها». إنهم يفهمون كما يفهم نقادهم أن أفعالهم ستزيد من خطر انتشار أسلحة الدمار الشامل. لكن هذا أيضاً أمر لا يكترثون به، فأهداف بسط الهيمنة على العالم وتحقيق برنامجهم المحلي هي في أعلى سلم أولوياتهم، وهذا يعني تفكيك كل المكاسب التقدمية التي أنجزت بالنضال الشعبي طوال القرن الماضي، ويعني جعل تغييراتهم الجذرية مؤسساتية يصعب معها استعادة تلك المكاسب.

إن القوة المهيمنة لا تكتفي بالإعلان عن سياستها الرسمية، بل إن عليها أن تؤسسها كعرف جديد من أعراف القانون الدولي، وذلك عبر وضع سوابق. عند ذلك يأتي دور المعلقين البارزين ليقولوا بأن القانون أداة حيّة طيعة يشكل لها العرف الجديد المتاح نبراساً وهادياً. ومن المعروف أن أحداً لا يستطيع أن يؤسس أعرافاً جديدة ويجري تعديلات على القانون الدولي غير هؤلاء الذين يشهرون مسدساتهم.

ويجب أن تتوفر في الضحية المختارة عدة شروط. فيجب أن تكون عاجزة عن الدفاع عن نفسها، وفيها من المغريات ما يستأهل المغامرة، وأن تكون شراً مطلقاً وتهديداً يحدّق بنا. والعراق مؤهل لكل هذه الشروط. فالشرطان الأوليان: الضعف العسكري وتوفر المغريات، متوفران تماماً. أما الشرط الثالث، فيكفي أن نتذكر ما علكه بوش وبلير ومن دبّ دبهما: «إن الدكتاتور يبني أخطر أسلحة العالم من أجل أن يهيمن أو يرهب أو يعتدي»، وأنه قد استعملها فعلاً فوق قرى بأكملها، مما أدى إلى قتل الآلاف من مواطنيه وإصابة الكثيرين منهم بالعمى أو بالتشوّه. فإذا لم يكن هذا شراً، فإن الشر إذن من دون معنى...

لا بد من رفع الحصانة عن هؤلاء الذين شاركوا في تعزيز الشر، وبينهم ناطق هذه الكلمات السامية ومعاونوه الحاليون، وكل هؤلاء الذين شاركوهم في دعم ذلك الرجل المطلق الشر صدام حسين سنوات طويلة بعد أن ارتكب هذه الجرائم، وبعد الحرب الأولى على العراق. دعمناه لأن من واجبنا مساعدة المصدّرين الأمريكيين، كما بيّن ذلك أحد كبار المسؤولين في الإدارة.

---

(٤) *Los Angeles Times*, 23/3/2003.

وإنه لمما يؤسف له أن نرى كم صار سهلاً على القيادات السياسية وهم يذكرون جرائم صدام الوحشية أن يغفلوا جملة أساسية جداً: «بمساعدتنا، لأن هذه المسائل لم تكن تعنينا». لقد تحوّل الدعم إلى شجب واتهام بمجرد أن ارتكب صديقهم صدام أول جريمة يتحمل وزرها وحده، والتي كانت تتمثل بالخروج على النظام (أو ربما عدم فهم النظام) عندما غزا الكويت. كان العقاب على هذه المسائل قاسياً. لكن المستبدّ نجا بجلده، ثم ازداد قوة بالحصار الذي فرضه الحلفاء.

> إن الاستراتيجية العظمى تخول الولايات المتحدة بشن حرب وقائية، وليست استباقية، ولاسيما أن إصطلاح هذه الحرب يترجم الآن من قبل أشد الناس حماسة لها كما يلي: استخدام القوة المسلحة للقضاء على تهديد ملفق أو متخيل بحيث يبدو اصطلاح "وقائي" وكأنه عمل خيري عظيم. إن الحرب الوقائية هي بكل بساطة الجريمة المطلقة التي أدينت في محاكمات نورمبرغ.

وكذلك كان من السهل إغفال الأسباب التي جعلت الولايات المتحدة تسارع إلى دعم صدام بعد حرب الخليج مباشرة، وذلك عندما سحق المتمردين الذين كان من الممكن أن يسقطوه. وكان توماس فريدمان، كبير المراسلين الدبلوماسيين في **النيويورك تايمز** قد بيّن أن أفضل ما تفضله الولايات المتحدة هو «أن يُحكم العراق بطغمة عسكرية ذات قبضة حديدية ولكن من دون صدام حسين»، ولكن ما دام هذا الهدف مستحيل المنال، فإننا سنرضى بالأفضلية الثانية[٥]. لقد أخفق المتمردون لأن الولايات المتحدة وحلفاءها جميعاً اعتقدوا بأنه مهما كانت سيئات الزعيم العراقي، فإنه قدم للغرب والمنطقة أملاً أكبر في استقرار بلده من أولئك الذين عانوا قهره[٦].

كل هذا أغفل تماماً في التعليق على القبور الجماعية لضحايا نوبات الإرهاب المبارك من قبل الولايات المتحدة، وهي التي اتُّخذت تعلة لإعطاء الحرب بعداً أخلاقياً. ولطالما كان كل ذلك معلوماً منذ عام ١٩٩١، لكن تمّ تجاهله لأسباب تتعلق بمصلحة الدولة.

أما الجمهور الممانع، فكان لا بد من أن يساق مزاجه بالسياط إلى حال من سعار الحرب. ومنذ أحداث ١١ أيلول/سبتمبر صدر إنذار شنيع عن الخطر الكبير الذي يشكله صدام حسين على الولايات المتحدة، وعن علاقته بمنظمة القاعدة، وعن إمكانية تورطه في هذه الأحداث. ومعظم الاتهامات التي عرضت على وسائل الإعلام، كما قالت رئيسة

---

(٥) *New York Times*, 7/6/1991, and Alan Cowell, in: *New York Times*, 11/4/1991.

(٦) *New York Times*, 4/6/2003.

تحرير **مجلة العلماء النوويين** *(Bulletin of Atomic Scientists)*، «كانت مضحكة. لكنهم كلما ازدادوا سخفاً، أمعنت وسائل الإعلام في جعل ابتلاع هذه الأكاذيب امتحاناً في الوطنية»[٧]. وقد كان لهذه الهجمة الاعلامية أثرها. فخلال أسابيع، بدأ معظم الأمريكيين يعتقدون أن صدام حسين خطر داهم على الولايات المتحدة. وسرعان ما اعتقد معظمهم بأن العراق وراء أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ الإرهابية. وقد اقترن دعم الحرب بهذه الاعتقادات. كانت البروباغندا كافية لتمنح الإدارة أغلبية في انتخابات الكونغرس النصفية، حيث تناسى الناس همومهم العاجلة واحتشدوا تحت مظلة القوة خوفاً من عدو شيطاني.

هذا النجاح المتألق للدبلوماسية الشعبية، كما يقول أحد المعلقين، تمّ الكشف عنه عندما قدم بوش خاتمته الريفانية القوية لحرب الأسابيع الستة على متن حاملة الطائرات أبراهام لينكولن يوم الأول من أيار/مايو. ولعل المعلق يشير إلى الإعلان الفخور للرئيس رونالد ريغان بعد غزو غرانادا العاصمة العالمية لجوز الطيب في عام ١٩٨٣، حيث قال إن أمريكا تقف «مرفوعة الهامة»، حائلاً دون استخدام الروس لها لقصف الولايات المتحدة. وعلى غرار ريغان، فقد كان بوش لا يبالي بالانتقادات المشكّكة التي يتعرض لها وهو يعلن بأنه حقق «انتصاراً في الحرب على الإرهاب عندما أطاح بحليف للقاعدة»[٨]. ولا حاجة الى القول بأنه لا يوجد دليل حقيقي لهذه العلاقة المزعومة بين صدام حسين وعدوّه اللدود أسامة بن لادن، وأن عدداً من المراقبين فنّدوا هذا الزعم. ولا حاجة كذلك الى القول بأنه لا أساس هناك للربط بين أي دليل للعلاقة بين النصر في هذه الحرب وبين الحرب على الإرهاب:

«فالغزو، كما بدا واضحاً، هو «نكسة كبرى في الحرب على الإرهاب»، ذلك لأنه زاد من أنصار القاعدة زيادة كبيرة، كما اعترف بذلك مسؤولون أمريكيون»[٩].

وقد لاحظت صحيفة **الوول ستريت جورنال** أن بوش تعمّد اختيار «مسرح» حاملة الطائرات غير المألوف كـ«انطلاقة لحملته الانتخابية عام ٢٠٠٤» التي يرجو البيت الأبيض «أن يمحورها حول الأمن القومي». إن الحملة االانتخابية سوف تركّز على معركة العراق وليس على الحرب، فالحرب ستستمر حتى ولو كان هدفها يقتصر على التحكّم بالمواطنين، كما بيّن ذلك كارل روف المسؤول الأول عن الاستراتيجية السياسية للحزب الجمهوري[١٠].

---

(٧) Linda Rothstein, ed., in: *Bulletin of Atomic Scientists* (July 2003).

(٨) Elisabeth Bumiller, in: *New York Times*, 2/5/2003.

(٩) Jason Burke, in: *Observer*, 18/5/2003.

(١٠) Jeanne Cummings and Greg Hite, in: *Wall Street Journal*, 2/5/2003, and Francis Clines, in: *New York Times*, 10/5/2003.

قبل انتخابات عام ٢٠٠٢، أوصى روف لنشطاء الحزب بالتركيز على قضايا الأمن، وتحويل الأنظار عن سياسة الجمهوريين الداخلية غير المستحبة. وكل هذا هو تكرار يعيده ويبديه مساعدو بوش المستنسخون من عهد ريغان. وهم دائماً يضغطون على زر الهلع ليتجنبوا معارضة شعبية لسياسات طالما تركت ريغان في عام ١٩٩٢ كأحد أكره رؤساء الجمهورية الأحياء، وربما كان تصنيفه في تلك الفترة أدنى من ريتشارد نيكسون.

وعلى رغم ضيق نجاحها، فإن حملة البروباغندا المكثفة لم ترسّخ لدى الجمهور أبعادها الأصولية. فمعظم الناس يفضل تسليم القيادة في الأزمات الدولية الى الأمم المتحدة وليس للولايات المتحدة، ومقابل كل واحد هناك اثنان يفضلان أن تتولى الأمم المتحدة، لا الولايات المتحدة، إدارة إعادة إعمار العراق(١١).

وعندما فشل جيش تحالف الاحتلال في اكتشاف أسلحة الدمار الشامل استدار موقف الإدارة الأمريكية من اليقين المطلق بأن العراق يملك أسلحة دمار شامل إلى موقف أن الاتهامات تبرّر بـ«اكتشاف أجهزة ربما يمكن استخدامها في إنتاج أسلحة»(١٢). وقد اقترح أحد كبار المسؤولين تعديلاً في مفهوم الحرب الوقائية يسمح للولايات المتحدة بمهاجمة بلد يملك «أسلحة مميته بكميات كبيرة». وقال التعديل «إن الإدارة سوف تهاجم النظام المعادي الذي ليس لديه سوى النية والقدرة على إنتاج أسلحة الدمار الشامل»(١٣). وتخفيض الأسباب التي تشنّ من أجلها الحرب هو أحد أبرز نتائج تداعي حجة الحرب المزعومة.

لعل أبرز منجزات البروباغندا هو الإطراء على عبقرية فكرة بوش بنشر الديمقراطية في الشرق الأوسط وسط أجواء الكراهية والبغض للديمقراطية. وقد تمّ تصوير ذلك في واشنطن من خلال التمييز بين أوروبا القديمة الكريهة وأوروبا الجديدة التي يجب تمجيد شجاعتها. وكان الفيصل حاذاً، فأوروبا القديمة تضم حكومات وشعوباً اتخذت موقفاً لا يوافق على الحرب على العراق، بينما اتبع أبطال أوروبا الجديدة الأوامر الصادرة من بوش في كراوفورد، تكساس، غير عابئين في معظم الحالات بأن غالبية شعوبهم ترفض الحرب. ولقد أثار المعلقون ضجّة حول أوروبا القديمة العاصية وعن أمراضها النفسية فيما انحدر الكونغرس إلى مستوى التهريج. وفي النهاية الليبرالية لهذا الطيف، أكد ريتشارد هولبروك (سفير الولايات المتحدة السابق إلى الأمم المتحدة) «نقطة مهمة»، وهي أن عدد سكان الدول الثماني في أوروبا الجديدة أكبر من أوروبا القديمة، مما يبرهن على أن فرنسا وألمانيا «معزولتان»... وحضّ توماس فريدمان على أن تطرد فرنسا من

---

(١١) Program on International Policy Attitudes, University of Maryland, 18-22 April.

(١٢) Dana Milbank, in: *Washington Post*, 1/6/2003.

(١٣) Guy Dinmore and James Harding, in: *Financial Times*: 3/5/2003, and 4/5/2003.

مجلس الأمن لأنها في «روضة أطفال ولا تحسن اللعب مع الآخرين». هذا يعني أن سكان أوروبا الجديدة يجب أن يبقوا في الحضانة، كما تدل على ذلك الاستفتاءات على الأقل(١٤).

وكانت تركيا حالة تنويرية خاصة. فقد رفضت حكومتها الضغط الكبير التي مارسته الولايات المتحدة لكي تبرهن على حقانية ديمقراطيتها، فلا تنصاع لأوامر الولايات المتحدة وتتجاوز ٩٥ بالمئة من شعبها. وتركيا لم تتعاون. وقد اغتاظ معلقو الولايات المتحدة من هذا الدرس الديمقراطي إلى درجة أن بعضهم كتب عن جرائم تركيا ضد الأكراد في التسعينيات، وهو ما كان موضوعاً محرّماً بسبب الدور الأمريكي الفعّال في ما حصل، على الرغم من الاختباء وراء دموع التماسيح.

وكان بول ولفويتز قد عبّر عن النقطة الجوهرية حين أدان الجيش التركي بأنه «لم يلعب دور القيادة القوية التي كنا نتوقعها». وهذا يعني أن قيادات الجيش لم تتدخل لتمنع الحكومة التركية من احترام رأي الإجماع التركي شبه الكامل. وعلى تركيا بذلك أن تسرع إلى القول: «لقد أخطأنا. فلنر كيف يمكن لنا أن نقدّم أكبر عون ممكن للأمريكيين»(١٥). ويعتبر موقف ولفويتز مؤشراً ذا أهمية خاصة، فلطالما قيل عنه إنه الشخصية الرائدة في حرب أمريكا المقدسة لنشر الديمقراطية في الشرق الأوسط.

وللغضب على أوروبا القديمة جذور أعمق من كراهية الديمقراطية. فلطالما نظرت الولايات المتحدة إلى الوحدة الأوروبية بشيء من التضارب والازدواجية. ففي الخطاب الذي ألقاه كيسنجر قبل ثلاثين سنة في «سنة أوروبا» نصح الأوروبيين بأن يلتزموا بمسؤولياتهم الأساسية «ضمن الإطار العام لنظام تديره الولايات المتحدة». وعلى أوروبا أن لا تمضي على طريق وحدتها المؤسسة حول المركزية الفرنسية الألمانية للصناعة والمال .

إن اهتمامات الإدارة الأمريكية قد امتدت الآن لتشمل شمال شرق آسيا، أكثر مناطق العالم الاقتصادية ديناميكية، وهي منطقة ذات موارد كثيرة واقتصاد صناعي متطور، وقابلة للتوحّد، بل لربما أنها ستشكل تحدياً للإطار العام للنظام الدولي الذي أعلنت واشنطن بأنها ستصون حياضه بقوة السلاح إذا لزم الأمر □

---

(١٤) Lee Michael Katz, *National Journal* (8 February 2003), and Thomas Friedman, in: *New York Times*, 9/2/2003.

(١٥) Marc Lacey, in: *New York Times*: 7/5/2003, and 8/5/2003.

كيف تقصف أمريكا أبناءها بالسلاح النووي؟

آمي ورثنغتون

مراسلة لـ «آيداهو أوبزرفر»

نشرت وكالة أسوشييتد برس يوم ٣٠ آذار/مارس ٢٠٠٣ صورة التقطتها لأحد أنصار الحرب على العراق وهو يحمل لافتة كتب عليها: «اقصفوا بالسلاح النووي هذه الحثالة الشيطانية. ألم ينجح هذا عام ١٩٤٥ (مع قصف هيروشيما وناغازاكي؟)». هذا ما فعله جورج بوش عملياً. إن حرب أمريكا التي كلفت مليارات عديدة من الدولارات كانت في الحقيقة حرباً نووية. لقد قصف بوش ملايين العراقيين بأطنان من أسلحة اليورانيوم المنضب. إنها هدية «تحرير» لن تنفد عطاياها. واليورانيوم المنضب مكوّن من النفايات النووية السامة التي تودع عادة في مزابل نووية محصنة. قبل حوالى عقد من الزمان قرر صنّاع الحروب في أمريكا أن يضموا هذا السلاح السام إلى عتاد البنتاغون: سفن سلاح البحرية التي تحمل مدافع فالانكس (Phalanx) تستطيع أن تطلق آلافاً من قذائف اليورانيوم المنضب في الدقيقة[١].

وصواريخ التوماهوك التي تطلق من السفن الحربية والغواصات مزوّدة أيضاً باليورانيوم المنضب[٢]. ودبابات «أبرام إم ١» مسلحة به أيضاً[٣].

هذه الأسلحة، بالإضافة إلى الدبابات الانكليزية «شالنجر ٢» كلها محملة بقذائف

(١) Linda Kozaryn, «DOD Launches Depleted Uranium Training,» American Forces Press Service, 13 August 1999.

(٢) John Shirley, «Nukes of the Gulf War,» <http://www.gulfwarvets.com>.

(٣) BBC News, «US to Use Depleted Uranium,» 18 March 2003, and U.S. General Accounting Office Operation Desert Storm, «Early Performance Assessment of Bradley and Abrams,» 2 January 1992.

اليورانيوم المنضب الذي تطلق الإشعاع على القوات التي ترافقها والقريبة منها[٤]. كذلك فإن طائرات «A 10» المضادة للدبابات تطلق قذائف من اليورانيوم المنضب على الآليات والبشر في ساحة القتال[٥].

إن الأمريكيين سيضطرون إلى العناية لسنوات طويلة بجنود حرب الخليج الثانية الذين سيعانون بطيئاً بطيئاً من سموم الأشعة وعذابها. فالجنود الأمريكيون والبريطانيون الذين أرسلوا إلى هناك هم في الواقع موتى يسعون على قدمين.

وكان مجلس الأمن قد حرّم استخدام هذا السلاح وصنّفه ضمن قائمة أسلحة الدمار الشامل. إن الأمريكيين أنفسهم سيضطرون إلى العناية لسنوات طويلة بجنود حرب الخليج الثانية الذين سيعانون بطيئاً تبعات سموم الأشعة وعذابها. فالجنود الأمريكيون والبريطانيون الذين أرسلوا إلى هناك هم في الواقع موتى يسعون على قدمين. لقد كتب على البشر والحيوانات، وعلى الأعداء والأصدقاء، في تلك المنطقة التي تعرضت للإشعاع النووي، أن يدخلوا في دوامة التشوّهات الجسدية والأمراض المزمنة العضال. إن كل من تعرّض لإشعاع اليورانيوم المنضب سوف يعاني تبعات عطب الكلية والرئة، والتقذر الممزوج بالدم، والإنهاك الشديد وألم المفاصل، وعدم التوازن، وفقدان الذاكرة، وطفح الجلد، إضافة إلى الموت المبكر وأنواع السرطان المميتة. ولقد كتب ويل توماس الحائز على كثير من الجوائز: «إن نظام مناعة الجندي المعطوب أصلاً بعدد من حقن اللقاح الاختباري سيعاني تبعات ما تعرّض له (هذا الجندي في ساحة المعركة) من أسلحة كيميائية وسموم صناعية وضغط واستثارة ومبيدات حشرية وبقايا الإشعاع. فهذه حرب سيخسر فيها المنتصر أيضاً، كما أثبتت حرب الخليج الأولى عام ١٩٩١»[٦].

ومعلوم أن قذيفة اليورانيوم المنضب، حين تطلق، تشتعل فور اصطدامها، فيتبخر اليورانيوم وآثار البلوتونيوم والأميرسيوم على شكل غبار من جزيئات صغيرة خزفية إشعاعية، ما إن تُستنشق حتى يعشش أكسيد اليورانيوم في الجسد ويبدأ بإشعاع لانهائي. إن جزيئاً واحداً يستقر في الدم قادر على تدمير كل نظام المناعة، كما يقول الخبير الاشعاعي البريطاني روجر كوغيل[٧].

وتبيّن لنا معلومات نشرتها الجمعية الملكية البريطانية كيف أن الجنود الذين

---

(٤) Shirley, «Nukes of the Gulf War».

(٥) المصدر نفسه.

(٦) William Thomas, «Invading Hiroshima,» <http:// www.willthomas.net>, 4 February 2003.

(٧) «US Shells Leave Lethal Legacy,» *Toronto Star*, 31/7/1999, and «Radiation Tests for Peacekeepers in the Balkans Exposed to Depleted Uranium,» <http:// www.telegraph.co.uk>, 31 December 2002.

استنشقوا أو ابتلعوا نسبة معينة من اليورانيوم المنضب قد أعطبت كلاهم في أيام قليلة[٨]. إن الجندي الذي لم يستنشق اشعاعاً مميتاً في العراق اليوم هو جندي لا يتنفس. ففي الأسبوعين الأولين من المعارك قصف العراق بسبعمائة صاروخ توماهوك (كلفة الواحد منها ١,٣ مليون دولار) حولت أهدافها إلى سحب على شكل فطر من النشاط الاشعاعي[٩]. كذلك زرعت الدبابات أرض العراق بأكثر من تسعة ملايين طلقة من اليورانيوم المنضب. أما التطهير، فمستحيل لأنه ليس في كوكب الأرض مكان لهذه النفاية الملوّثة جداً.

أعلن د.آساف دوراكوفيتش أن ٦٢ بالمئة من الذين تم فحصهم من مرضى حرب الخليج قد عُثر في أوصالهم وعظامهم وأدمغتهم وبولهم على أشكال تفاعلات كيماوية سببها اليورانيوم.

كذلك كانت حرب بوش (الأب) عام ١٩٩١ حرباً نووية. فقد استخدم فيها ٣٢٠ طناً من اليورانيوم المنضب[١٠].

وقد أكد تقرير صادر عن الوكالة الأمريكية للمواد السامة أن استنشاق اليورانيوم المنضب سبب أعراضاً مشابهة لتلك التي اشتكى منها عدد من جنود تلك الحرب المصابين بما يعرف بعوارض حرب الخليج[١١]. وبيّنت رابطة مخضرمي حرب الخليج أن هناك ما لا يقل عن ٣٠٠ ألف جندي من جنود الحرب مصابون بأمراض معطبة[١٢]. وقد تقدم حوالى ٢٠٩ آلاف من هؤلاء المخضرمين بطلب تعويضات من العجز الذي أصابهم جراء إصابات وأمراض لحقت بهم أثناء خدمتهم في ساحة القتال[١٣].

وكان د. آساف دوراكوفيتش، أستاذ الطب النووي في جامعة جورج تاون وخبير طبي سابق لدى الجيش الأمريكي، قد أعلن أمام علماء نوويين في باريس العام الماضي أن عشرات الآلاف من الجنود الأمريكيين والبريطانيين المرضى يموتون الآن بسبب

---

(٨) Rob Edwards: «Uranium Weapons too Hot to Handle,» 9 June 1999, and «Depleted Uranium May Stop Kidneys in Days,» 12 March 2002, in: <http://www. newscientist.com>.

(٩) David Rennie, «Navy Seeks Cash for More Tomahawks,» *Washington Telegraph* (4 January 2003), <http://www.news.telegraph.co.uk>.

(١٠) Ramzi Kysia, «Going Nuclear in Iraq-DU Cancers Mount Daily,» <http://www.counter punch.org>, 31 December 2001.

(١١) Peter Beaumont, «Depleted Uranium Symptoms Match US Report as Fears Spread,» *Observer* (14 January 2001), <http:// www.guardianlimited.co.uk>.

(١٢) Ellen Tomson, «Gulf War Illnesses Affect 300,000 Vets,» <http:// www.pioneerplanet. com>.

انظر أيضاً رابطة مخضرمي حرب الخليج على موقع: <http://www.gulfwarvets.com>.

(١٣) «2 of Every 5 Gulf War Vets are on Disability: 209,000 Make VA Claims,» <http:// www.worldnetdaily.com>, 28 January 2003.

الإشعاع الذي تعرضوا له خلال حرب الخليج عام ١٩٩١. ولاحظ أن ٦٢ بالمئة من الذين تمّ فحصهم من هؤلاء المرضى قد عُثر في أوصالهم وعظامهم وأدمغتهم وبولهم على أشكال تفاعلات كيميائية سببها اليورانيوم(١٤). وفعلاً، فإن المختبرات في سويسرا وفنلندا أكدت ملاحظاته.

وفي دراسات أخرى، ثبت أن هذه التفاعلات الكيميائية الناجمة عن اليورانيوم وجدت حتى في مني بعض المرضى من هؤلاء الجنود. ولطالما اشتكت مُضاجعاتهم من التهابات أثناء الجماع تتبعها أمراض معطبة(١٥). وليس هناك ما يعادل النسبة الفلكية من أمراض السرطان والتشوّهات الولادية التي عاناها الشعب العراقي الذي تعرّض على مدى سنوات طويلة لعقاب نووي وحشي(١٦). فالاعتداءات الأمريكية الجوية على العراق منذ عام ١٩٩٣ استخدمت ذخيرة نووية لا يمكن إنكارها. وما أكثر صور الأطفال العراقيين الذين ولدوا بعد عام ١٩٩١ مشوّهين بشكل لا يتصوره عقل(١٧). وعلى غرار أطفال هؤلاء الجنود الذين خاضوا حرب الخليج الأولى عام ١٩٩١، فإن عدداً كبيراً من أطفال جنود الحرب الحالية سيولدون مصابين بعدد من التشوّهات البشعة والعطب العصبي أو باضطراب تنفسي أو دموي(١٨).

وكان د. دوغ روكه، الطبيب لدى الجيش الأمريكي، قد أرسِل إلى الشرق الأوسط للعمل على إنقاذ الدبابات الملوثة بأشعة اليورانيوم المنضب بعد انتهاء حرب الخليج الأولى عام ١٩٩١. وقد كشف عداد غايجر (الذي يكتشف الجسيمات المؤينة) معه أن مسرح حرب العراق والكويت قد تلوّث بمعدل ٣٠٠ ميللرمز من إشعاع بيتا وغاما في الساعة، إضافة إلى ما بين الآلاف والملايين من أشعة ألفا في الدقيقة. وفي لقاء حديث مع الإعلام قال روكه:«إن كل المنطقة ما تزال مُزَبَّلة. إنها ما تزال أحمى من الجحيم. إن هذه الأشياء لا يمكن التخلص منها»(١٩).

---

(١٤) «Research on Sick Gulf Vets Revisited,» *New York Times*, 29/1/2001, and Jonathon Carr-Brown and Martin Meissonnier, «Tests Show Gulf War Victims Have Uranium Poisoning,» *Sunday Times* (3 September 2000).

(١٥) Clare Mellor, «Catastrophe: III Gulf Vets Contaminated Partners With DU,» *Halifax Herald*, 9/2/2001.

هذه المقالة متوفرة ايضاً على شبكة الانترنت على موقع: <http://www.rense.com>.

(١٦) Larry Johnson, «Iraqi Cancer, Birth Defects Blamed on US Depleted Uranium,» *Seattle Post Intelligencer*,12/11/2002, and Andy Kershaw,«US Depleted Uranium Yields Chamber of Horrors in Southern Iraq,» *Independent*, 4/12/2001.

(١٧) Ross B. Mirkarimi, «The Environmental and Human Health Impacts of the Gulf War Region with Special References to Iraq,» <http://www.web-light.nl/VISIE/extremedeformities.html>, May 1992.

(١٨) «The Tiny Victims of Desert Storm, Has our Country Abandoned Them?,» *Life Magazine* (November 1995); «Birth Defects Killing Gulf War Babies,» *Los Angeles Times*, 14/11/1994, and Alex Kirby, «Depleted Uranium, the Lingering Poison,» BBC News online, 7/6/1999.

(١٩) Travis Dunn, «Depleted Uranium, a Killer Disaster,» <http://www.disasternews.net>, 29 December 2002.

ومعروف أن اليورانيوم المنضب يبقى حامياً حوالى أربعة بلايين وخمسمائة مليون سنة. وقد أكدت د. هيلين كالديكوت، خبيرة الأشعة، أن الرياح المثقلة بغبار اليورانيوم المنضب «ستبقى فعلياً حتى آخر الزمان»[٢٠]. ثم إن عواصف الغبار القاتلة التي هبّت على جنود التحالف خلال الأيام القليلة الأولى من الغزو الحالي لا بد من أن يكون لها عواقب وخيمة على الصحة.

إن روكه وفريق التنظيف المرافق له لم يُزوّدوا إلا بأقنعة غبار مهلهلة للقيام بعملهم الخطير. وفعلاً، فقد مات ٣٠ من فريق العمل البالغ عددهم مئة. وروكه نفسه مصاب إشعاعياً في كليتيه ورئتيه، إضافة إلى عطب في دماغه، وبثور في جلده، وإنهاك دائم، وعسر تنفس دائم يرافقه صفير حاد، وارتخاء في عضلاته وأعضائه. وقد حذّر روكه كل من يتعرض لليورانيوم المنضب وطلب أن يكون لديه جهاز تنفس وقائي وملابس درعية خاصة تحمي ملابسه، لأنك «لا تستطيع أن تطهّر ثيابك من جزيئات اليورانيوم» كما يقول.

لكن العسكريين الأمريكيين يصرّون على أن اليورانيوم المنضب ليس مشكلة في ساحة المعارك. وكان الكولونيل جيمس نوتون، من قيادة المعدات العسكرية، قد أخبر الإذاعة البريطانية (بي. بي. سي.) أن التذمر من اليورانيوم المنضب ليس له أساس طبي[٢١]. غير أن الوثائق العسكرية نفسها تكذب ذلك، فهناك وثيقة من البنتاغون تعود إلى عام ١٩٩٣ حذرت من أن «الجنود حين يستنشقون أو يبتلعون غبار اليورانيوم المنضب فإن نسبة إصابتهم بالسرطان تصبح كبيرة جداً»[٢٢]. ثم إن دليل التدريب العسكري يطالب كل من يصبح على بعد ٢٥ متراً من الأجهزة الملوثة باليورانيوم المنضب أن يلبس جهازاً واقياً للتنفس وملابس خاصة تقي جلده[٢٣]. وقد اعترفت مؤسسة البيئة العسكرية بـ«أن اليورانيوم المنضب إذا دخل الجسد، فسينجم عنه عواقب صحية وخيمة»[٢٤]. وأضافت المؤسسة أن القوات إذا عرفت ما الذي تعرضت له «فإن المطالبات المالية المترتبة على العجز الدائم ستكون كبيرة جداً»[٢٥]. ولأسباب براغماتية، فضلت وزارة الدفاع أسلوب الكذب والإنكار.

وقد أكد د. روكه أن البنتاغون يكذب حول خطر اليورانيوم المنضب، وأن هذا الاستهتار جريمة لأن البنتاغون لا يتخذ الاحتياط الطبي اللازم لحماية جنوده الذين

---

(٢٠) *San Francisco Chronicle*, 10/10/2002.

(٢١) «US to Use Depleted Uranium,» BBC News, 18/3/2003.

(٢٢) Beaumont, «Depleted Uranium Symptoms Match US Report as Fears Spread».

(٢٣) Johnson, «Iraqi Cancer, Birth Defects Blamed on US Depleted Uranium».

(٢٤) «US To Use Depleted Uranium».

(٢٥) «US Army Environmental Policy Institute: Health and Environmental Consequences of Depleted Uranium in the U.S. Army,» Technical Report, June 1995.

يتعرضون لهذا الخطر. وتنبأ روكه بأن عدد القوات الأمريكية الذين سيصابون باليورانيوم المنضب من الحرب الثانية على العراق سوف يكون صاعقاً[٢٦]. ففيما يمرضون ويعانون الحروق التي تمضي بهم إلى قبورهم، فإن البنتاغون، كما فعل مع ضحايا الحرب الماضية، سوف ينكر أن شقاءهم وموتهم هو سبب «رحلتهم» إلى العراق.

صراحة د. روكه قد كلفته منصبه. كذلك، فإن دراسات د. دوراكوفيتش عن أثر الإشعاع في حرب الخليج الأولى في الجنود لم تكن مستحبة عند الرسميين الأمريكيين. ولطالما أُنذِر د. دوراكوفيتش بأن حياته ستتعرض للخطر إذا استمر في أبحاثه[٢٧].

> إن موارد المياه الجوفية الجافة الآن في أفغانستان كلها ملوثة بهذه الأسلحة النووية كما إن فحص عينات من بول الأفغان قد كشف عن أعلى نسبة يورانيوم مسجلة في العالم حتى الآن بين سكان مدنيين.

أما جنود الحلفاء الشباب السذّج، فإنهم لا يعرفون كم هي بيئة ساحة المعارك قاتلة. لقد ظلّ جنود حرب الخليج الأولى في جهل. بعضهم حمل شظايا اليورانيوم المنضب، وبعضهم لبس هذه القطع المميتة حول عنقه. إن قذيفة اليورانيوم المنضب تصدر في خمس ساعات إشعاعاً أكبر مما هو مسموح به خلال سنة كاملة بحسب مستوى الاشعاع المحدّد مدنياً. ولقد قال كريس كورنكفن (أحد الجنود): «إننا لم نكن نعرف شيئاً. لم نكتشف إلا بعد فترة طويلة من عودتنا إلى الوطن أن هناك شيئاً اسمه يورانيوم منضب»[٢٨].

إن حرب جورج بوش المستمرة في أفغانستان هي أيضاً حرب نووية، فبعد أيام قليلة من أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ أعلنت الولايات المتحدة أنها سوف تخزن أسلحة نووية تكتيكية بما في ذلك قنابل نيوترونية صغيرة، وألغام نووية، وقذائف مناسبة لحرب كوماندو في أفغانستان[٢٩]. وكان بوش والرئيس الروسي فلاديمير بوتين قد اتفقا على أن تستخدم الولايات المتحدة أسلحة نووية في أفغانستان فيما يستخدم بوتين أسلحة نووية ضد الشيشان[٣٠].

---

(٢٦) Doug Rokke: «Gulf War Casualties,» 30 September 2002; «The Terrible, Tragic Toll of Depleted Uranium,» 30 December 2002, and «Pentagon Depleted Uranium No Health Risk,» 15 March 2003, in: <http://www.traprockpeace.org>.

(٢٧) Carr-Brown and Meissonnier, «Tests Show Gulf War Victims Have Uranium Poisoning».

(٢٨) Bill Mesler, «The Pentagon's Radioactive Bullet: An Investigative Report,» *Nation* (28 May 1999), <http://www.thenation.com/issue/961021/1021mesl.htm>.

(٢٩) «Tactical Nukes Deployed in Afghanistan,» <http://www.worldnetdaily.com>,7 October 2001.

(٣٠) المصدر نفسه.

وقد وصف جورج سميث القنبلة النووية «B-61-11» في فيليج فويس بأنها تنفجر بقوة تعادل ٣٤٠ ألف طن من الـ «تي. إن. تي.». إن إنفجارها أكبر من المتوقع، فهي قنبلتان في واحدة، كل قنبلة قيامة في ذاتها، الأولى مفرقعة نارية مقواة من البلوتونيوم، والثانية عبارة عن قنبلة هيدروجينية(٣١).

إن موارد المياه الجوفية الجافة الآن في أفغانستان كلها ملوثة بهذه الأسلحة النووية(٣٢). وذكر الخبراء من مركز دراسات اليورانيوم الطبية أن فحص عينات من بول الأفغان قد كشف عن أعلى نسبة يورانيوم مسجلة في العالم حتى الآن بين سكان مدنيين. وذكر أن جنوداً ومدنيين أفغاناً قد ماتوا بعد أن عانوا من تقيؤ حادّ، وصعوبة في التنفس، ونزيف داخلي، وأعراض أخرى سببها التسمم الإشعاعي. وما تزال الطيور الميتة معلقة على الأشجار، وقد ذابت أجزاء منها فيما كان الدم على مناقيرها(٣٣). والمعروف أن حميد قرزاي، الرئيس الأفغاني الجديد، ليس إلا دمية صنعتها واشنطن. فتحت حماية الجنود الأمريكيين، سجل نظام قرزاي رقماً مرتفعاً في إنتاج الأفيون. وتؤكد تقارير الأمم المتحدة والولايات المتحدة أن الإنتاج الأفغاني الهائل من الأفيون لعام ٢٠٠٢ جعل أفغانستان أكبر منتج للأفيون في العالم(٣٤). وبفضل الأسلحة النووية، صارت أفغانستان بؤرة آمنة لتجارة بوش/تشيني بالمخدرات(٣٥). ولقد أكدت وكالة «ABC»أن حفظ السلام في أفغانستان يتطلب عقوداً من احتلال الحلفاء(٣٦). هذا يعني أن الذين يتولّون «حفظ السلام» هناك سيظلون يأكلون ويشربون ويتنفسون التلوث السرطاني «الحامي» الذي أعانوا البنتاغون على نشره بين ذلك الشعب تهيئة للجريمة المنظمة.

لسنوات طوال ظلت الولايات المتحدة وقوات حلف الأطلسي تطلق صواريخ اليورانيوم المنضب وقذائفه وطلقاته في البلقان، أي أنها كانت ترمي السلاح النووي على سكان الصرب والبوسنة وكوسوفو. وبما أن ذخيرة اليورانيوم المنضب قد قصفت المصانع الكيميائية، فإنها جعلت البيئة شديدة التسمم وعرضت للخطر سكان ألبانيا

---

(٣١) George Smith, «The B-61 Bomb, the Burrowing Nuke,» <http://www. villagevoice.com>, 29 December 2002, and Kennedy Grey, «Bunker-busting US Tactical Nuclear Bombs, Nowhere to Hide,» <http://www.wired.com>, 9 October 2001.

(٣٢) Mohammed Daud Miraki, «Perpetual Death from America,» Afghan-American Interviews, 24 February 2003, and Fred Pearce, «Dying of Thirst,» *New Scientist* (17 November 2001).

(٣٣) المصدران نفسهما.

(٣٤) «Afghanistan Displaces Myanmar as Top Heroin Producer,» Agence France-Presse, 1/3/ 2003, <http:// www.copvcia.com>, and «Opium Trade Flourishing in the New Afghanistan,» Reuters, 3/3/2003.

(٣٥) Michael C. Ruppert, «The Bush-Cheney Drug Empire,» *Nexus Magazine* (February-March 2000); Alfred W. McCoy, *The Politics of Heroin: CIA Complicity in the Global Drug Trade, Afghanistan, Southeast Asia, Central America, Columbia*, 2nd rev.ed.(Chicago, IL: Lawrence Hill Books, 2003); Rodney Stich, *Drugging America: A Trojan Horse* (Alamo, CA: Diablo Western Press, 1999), and Bob Djurdjevic, «Blood for Oil, Drugs for Arms,» <http://www.truthinmedia.org>, April 2000.

(٣٦) ABC News, 27/2/2003.

ومقدونيا واليونان وإيطاليا والنمسا وهنغاريا. وكان خبراء الأمم المتحدة قد أعلنوا في عام ١٩٩٩ أن ما لا يقل عن ١٢ طناً من اليورانيوم المنضب قد أحدثت أضراراً في البيئة اليوغسلافية لا يمكن إصلاحها. وقد أصيبت الأراضي الزراعية والحياة الحيوانية والمياه والصحة العامة بأضرار بالغة(٣٧).

وأكد العلماء أن بول أهل البلقان ملوث باليورانيوم(٣٨). وقال أحد علماء الأمراض في عام ٢٠٠١ أن مئات من أهل البوسنة قد ماتوا بالسرطان الناجم عن اليورانيوم المنضب الذي قصفه حلف الأطلسي(٣٩). ويعاني عدد من رجال حفظ السلام في البلقان تبعات صحة عليلة. إن اللوكيميا (ابيضاض الدم) والسرطان بأنواعه وغير ذلك من الأمراض قد صارت من ملامح «أمراض البلقان». وقد تنبأ ريتشارد كوغهيل بأن أسلحة اليورانيوم المنضب التي استخدمت في البلقان ستصيب أكثر من عشرة آلاف إنسان على الأقل بأمراض سرطانية مميتة(٤٠).

> وجد مكتب الحسابات العامة الأمريكي ٩١٨١ موقعاً عسكرياً خطراً في الولايات المتحدة يحتاج إلى مليارات الدولارات ليصبح آهلاً لعيش البشر فيه.

وكذلك يدفع الأمريكيون في الولايات المتحدة ثمناً باهظاً لجنون التسلح الإجرامي. إن وزارة الدفاع هي وحش التلوث. وقد وجد مكتب الحسابات العامة ٩١٨١ موقعاً عسكرياً خطراً في الولايات المتحدة يحتاج إلى مليارات الدولارات ليصبح آهلاً لعيش البشر فيه. وقال المكتب إن وزارة الدفاع قد تقاعست وغشت بخصوص التزاماتها تجاه تطهير هذه المواقع(٤١). ويضغط البنتاغون على الكونغرس اليوم لكي لا تشمله قوانين البيئة، بحيث يستطيع أن يلوّث ويسمّم ما يشاء من دون حساب أو عقاب(٤٢).

إن البحرية الأمريكية تستخدم أهم مناطق صيد السمك على شواطىء ولاية

---

(٣٧) Bob Djurdjevic, «Damage to Yugoslav Environment is Immense, Says a UN Report,» <http://www.truthinmedia.org >, 9 June 1999.

وقد قدم هذا التقرير إلى الأمانة العامة للأمم المتحدة بتاريخ ١٩٩٩/٦/٩.

«New Depleted Uranium Study Shows Clear Damage,» BBC News, 28/8/1999, and «NATO Issued Warning about Toxic Ammo,» Associated Press, 8/1/2001.

(٣٨) <http://counterpunch.org>, 28 December 2001.

(٣٩) «Hundreds Died of Cancer after DU Bombing-Doctor,» Reuters, 13/1/2001.

(٤٠) «Depleted Uranium Threatens Balkan Cancer Epidemic,» BBC News, 30/7/1999.

(٤١) «Many Defense Sites Still Hazardous,» Associated Press, 24/9/2002, and «US Weapons Called Hidden Danger,» *Los Angeles Times*, 25/11/2002.

(٤٢) Andrew Gumbel, «Pentagon Seeks Freedom to Pollute Land, Air and Sea,» *Independent*, 13/3/2003.

واشنطن لاختبار أسلحة اليورانيوم المنضب. وكان جيم مكديرموت، ممثل الولاية في الكونغرس، قد وجّه توبيخاً الى سلاح البحرية قائلاً: «فيم أنتم تطالبون الجنود باتخاذ الاحتياطات الأمنية والملابس الواقية أثناء تعاملهم مع اليورانيوم المنضب ... وتطالبون الغواصات بالبقاء بعيداً عن مناطق المياه الملوثة باليورانيوم المنضب، مما يعني أن هناك سبباً للقلق، نجد البحرية في المقابل تكرر القول بأن اليورانيوم المنضب لا يشكل خطراً على الإطلاق. إنكم لا تشعرون بالندم حول إلقاء أطنان من معدات اليورانيوم المنضب في أراضي البلدان الأجنبية، ويبدو أنكم لا تشعرون بالندم أيضاً حول إلقائها في مياه وطنكم نفسه»(٤٣).

لقد استخدم اليورانيوم المنضب في مناورات جرت في ولاية إنديانا وفلوريدا ونيو مكسيكو وماساشوستس وماريلاند، ومعروف أنه بعد المناورات التي أجريت في جزيرة فييك البورتوريكية أصيب ثلث سكان الجزيرة بأمراض خبيثة. وقد ثبت وجود اليورانيوم في عدد كبير من أجساد الناس. وهناك المئات ممن رفعوا دعاوى ضد البحرية الأمريكية وطالبوا بتعويضات تصل إلى مئة مليون دولار بحجة أن تلوّث اليورانيوم المنضب قد جعل السرطان يتفشى بين عدد كبير من الناس(٤٤).

إن قاعدة فالون البحرية الجوية بالقرب من فالون (ولاية نيفادا) أصبحت مستنقعاً لستة وعشرين موقعاً للنفايات السامة. إنها أيضاً منطقة تدريب لقنابل وصواريخ اليورانيوم المنضب. وقد ظهر بين سكان المنطقة عدد من الأمراض الغريبة، من ذلك أن ١٧ طفلاً أصيبوا باللوكيميا خلال خمس سنوات. وقد بيّنت دراسة جوفية في تلك المنطقة أن ما يقرب من نصف آبار المياه ملوثة بإشعاع نووي(٤٥).

إن معظم معدات أسلحة اليورانيوم المنضب صنعت في ثلاثة مصانع موجودة في ولايات كنتكي وأوهايو وتنسي. ومنذ عقود طويلة، يعاني العاملون في اليورانيوم الملوث بالبلوتونيوم هناك سرطانات وأمراضاً مزمنة ومشابهة لأعراض حرب الخليج(٤٦).

أما الرئيس بوش الذي أكد أن لأمريكا الحق في مهاجمة أية دولة تشكل خطراً محتملاً، فإنه أخبر «وست بوينت» في عام ٢٠٠٢: «إننا إذا قعدنا ننتظر الخطر، فإننا

---

(٤٣) انظر: «Radioactive DU Ammo is Tested in Fish Areas,» *Seattle Post Intelligencer*, 11/1/ 2003.

انظر رسالة جيم مكديرموت إلى قيادة البحرية في ٢٠٠٣/١/٢٠: «Navy Fired DU Rounds into Waters Off Coast of Washington,» <http://www.rense.com>.

(٤٤) «Cancer Rates Soar from US Military Use of DU on Enchanted Island,» <http:// www.telegraph.co.uk>, 5 February 2001, and «Navy Shells with Depleted Uranium Fired in Puerto Rico,» Fox News Online, 28/5/1999.

(٤٥) Jeffrey St. Clair, «The Fallon, NV Cancer Cluster and a US Navy Bombing,» <http://www. counterpunch.org>, 10 August 2002.

(٤٦) Jonathon Carr-Brown, «DU Shells Are Made of a Potentially Lethal Cocktail of Nuclear Waste,» *Sunday Times* (22 January 2001), <http:// www.sunday-times.co.uk>.

نكون قد انتظرنا أكثر من اللازم»[٤٧]. هذا يعني أنه صار من المؤكد أن حروب بوش/تشيني النووية الوقائية ستتلاحق واحدة بعد الأخرى كطائرات مصفوفة على مدرج المطار. إن شركة هالبرتون التي كان يرأسها تشيني، وشركة كارليل غروب التي تملكها عائلة بوش، كلتيهما مستفيدة من عقود السلاح الأمريكية، مما يعني أن الحروب المستمرة تجارة رابحة[٤٨].

إن شركة هالبرتون التي كان يرأسها تشيني، وشركة كارليل غروب التي تملكها عائلة بوش كلتيهما مستفيدة من عقود السلاح الأمريكية مما يعني أن الحروب المستمرة تجارة رابحة.

وكانت **الواشنطن بوست** قد ذكرت أن البنتاغون سوف يصنع سلاحاً نووياً خاصاً لقصف منشآت كوريا الشمالية النووية تحت الأرض[٤٩]. وكان من المفترض أن يجتمع صنّاع الحرب الأمريكية في شهر آب/أغسطس الماضي لتنسيق خطط من أجل صناعة قنابل نووية «مصغرة(Mini) و«مجهرية» (Micro) و«ضئيلة» (Tiny) وكاسحات مخابىء جوفية تحت الأرض. وستضاف هذه الأسلحة الى ترسانة الولايات المتحدة من أجل استعمالها ضد بلدان غير نووية مثل إيران وسوريا ولبنان[٥٠].

ما هو الحل؟ إن على الأمريكيين أن يتوقفوا عن انتخاب مجرمين دمويين لحكم هذه الأمة. وعلينا أن نقنع إخواننا المواطنين بأن سذجاً مثل صدام حسين إنما صُنعوا في الولايات المتحدة كتبرير لحروب لانهائية تجني منها الشركات أرباحاً خيالية. لقد استلم صدام حسين الحكم بمساعدة الاستخبارات الامريكية[٥١]، ولسنوات طويلة ظلت الولايات المتحدة تزوّده بأسلحة كيميائية وبيولوجية، وبإشراف جورج بوش (الأب). إن مختبراتنا الوطنية مع «Unisis» و«Dupont» و«Hewlett-Packard» هي التي باعت لصدام ما يلزمه

(٤٧) Helen Thomas, «Preventative War Sets Perilous Precedent,» *Hearst*, 20/3/2003.

(٤٨) Arianna Huffington, *Pigs at the Trough: How Corporate Greed and Political Corruption are Undermining America*, New York Times Best Seller (New York: Random House, 2003); Mike C. Ruppert, «The Best Enemies Money Can Buy, from Hitler to Saddam Hussein to Osama Bin Laden Insider Connections and the Bush Family's Partnership with Killers of Americans,» From the Wilderness, 10 October 2001; Jamie Doward, «Bush Sr.'s Carlyle Group Gets Fat on War and Conflict,» *Observer* (25 March 2003); «Halliburton Wins Contract for Iraq Oil Firefighting,» Reuters, 7/3/2003; Andrew Gumbel, «Cashing In-Fortunes in Profits Await Bush Circle after Iraq War,» *Independent*, 15/9/2002, and «War Could Be Big Business for Halliburton,» Reuters, 23/3/2003.

(٤٩) «Pentagon Seeks a Nuclear Digger,» *Washington Post*, 10/3/2003.

(٥٠) Neil MacKay, «Remember: Bush Planned Iraq War Before Taking Office,» *Sunday Herald* (27 March 2003); «US Mini-Nukes Alarm Scientists,» *Guardian*, 18/4/2001, and Jeffrey Steinberg, «US Nuclear First-Strike Plan-It Keeps Getting Scarier,» *Executive Intelligence Review* (February 2003).

(٥١) «The CIA Supported the Baath Party and Installed Hussein as Iraqi Dictator in 1968,» *Wall Street Journal*, 16/8/1990.

لبرنامجه النووي[٥٢]. ألم يكن ديك تشيني مديراً لهالبرتون في التسعينيات عندما قامت فروعها بتوقيع عقود جديدة بقيمة ٧٣ مليون دولار لتزويد صدام بالمزيد؟[٥٣] إن الرئيس العراقي كان لعقود طويلة يقتات من وحوش صناعة السلاح الأمريكية[٥٤].

إذا كانت أمريكا تريد أن تحافظ على قواتها المسلحة، فإن عليها أن تتوقف عن إرسالها إلى محرقة نووية لا هدف لها إلا إغناء السفاحين. وإن الوقت ليطير من أيدينا. فإذا لم يتعظ مهووسو السلاح النووي في البنتاغون ومعهم تجار السلاح النووي المتجولون، فإنه لن يبقى لأمريكا من جيش يدافع عنها. ثم إن كل سكان الأرض سيصابون بالأمراض والتشوّه والموت المبكر. علينا أن ننجح بمواجهة هذه الحقائق بحزم. أما إذا فشلنا، فإنه لن يكون على وجه الأرض مكان يحمينا من عربدة ووحشية حروب بوش/تشيني النووية المقبلة أو من ردّ نووي مؤكد تحتمه هذه العربدات □

صدر حديثاً عن المنظمة العربية للترجمة

السلطة والرخاء
نحو تجاوز الدكتاتوريتين الشيوعية والرأسمالية

منصور أولسون

في هذا الكتاب الذي انتهى منه، قبل سنة واحدة من وفاته، يُعالج أولسون أوسع أسئلة طرحها في حياته المهنية: لماذا برع بعض الاقتصاديين في تحقيق ثروة ورخاءً كبيرين في حين يتكبّد آخرون فشلاً ذريعاً؟ كيف تُساهم الأشكال المختلفة للحكم إما في إعاقة النمو الاقتصادي وإما في تعزيزه؟ وبالتحديد، لماذا لم تزدهر الأسواق مع انهيار النظام السوفيتي؟

٢٩٨ صفحة

(٥٢) United States Senate Committee on Banking, Housing and Urban Affairs, «United States Dual-Use Exports to Iraq and their Impact on the Health of Persian Gulf War Veterans,» 1994, and «U.S. Had Key Role in Iraq Buildup,» *Washington Post*, 30/12/2002.

(٥٣) Hugh Williamson, «US Government, 24 US Corps Illegally Helped Iraq Build Its WMD,» *Financial Times*, 19/12/2002, and Anu de Monterice, «Full List of US Weapons Suppliers To Iraq,» <http://www.rense.com/general32/suppe.htm>, 19 December 2002.

(٥٤) Huffington, *Pigs at the Trough: How Corporate Greed and Political Corruption are Undermining America*.

خلفيات رسالة الهندي الأحمر إلى شعب العراق

منير العكش

باحث عربي ـ واشنطن.

في محاولة لإلقاء الأضواء على حقيقة «مجلس الحكم المحلي» في العراق والدور الذي رسمته الولايات المتحدة له، وجّه الزعيم الهندي جورج واسون (من قبيلة كوكيل) (Coquill) رسالة إلى شعب العراق قال فيها:

«يا أعزاءنا شعب العراق: الآن، وقد تحررتم من طاغوتكم، فإننا ـ نحن في مكتب الشؤون الهندية، نتطلع إلى أن تقوم بيننا علاقات في المستقبل. إن لدينا إحدى أقدم وكالات الولايات المتحدة خبرة في إعادة تكوين واستيعاب البشر ذوي الثقافات والحضارات المغايرة ضمن طريقة الحياة الأمريكية. أكثر من ذلك، فلكي نؤكد على الوعد الذي قطعناه على أنفسنا بأن يؤول العراق بعد انتهاء الحرب للعراقيين فقط، فإننا سنعيّن حكومة انتقالية تستطيع إعادة تدفق النفط ـ من أجل مصلحتكم طبعاً. ومن خلال ذلك ستجدون أدناه قائمة بما تتوقعونه منا، استناداً إلى خبرتنا الواسعة في إدارة الهنود الأمريكيين[1]:

(١) جورج واسون (George Wasson) في: Dissident Voice (السبت ١٢ نيسان/ابريل ٢٠٠٣). وهي رسالة ساخرة مستمدة من معاناة هنود أمريكا مع هذا المكتب الذي يعتبر بمثابة «مجلس الحكم المحلي». والكاتب يبني أحكامه وفق تجربة الهنود المرة مع مستعمريهم البيض ومع من ناب عنهم في «مكتب الشؤون الهندية» الذي صار رمزاً للاستعمار الداخلي (Internal Colonialism) إنه يشير بشكل أو بآخر إلى المشكلات التي واجهها الهنود والتي يعتقد واسون أن العراقيين سيواجهون مثلها، فمسألة التجنيس مثلاً كانت وسيلة الاستعمار الداخلي لضرب الملكية الجماعية الهندية التي تحول دون أي بيع أو تنازل عن الأملاك الهندية للغير. ومسألة إثبات هندية الهندي بعد أجيال من الإبادات والتشريد كانت من المستحيلات. ويترتب عليها اغترابه الكامل. أما فتح باب قبول مستندات الكنيسة فقد استخدم كطعم لتبشير الهنود وتفريغهم من هنديتهم.الخ.

١ ـ الانكليزية هي اللغة المحكية في كل مكاتب الحكومة وملحقاتها. فإذا كنتم لا تتكلمون الانكليزية، فإن مترجماً يحسن الألمانية سيكون في خدمتكم.

٢ ـ على كل عراقي أن يتقدم بطلب جنسية. إن المواطنة ستكون مفتوحة لهؤلاء الذين يستطيعون أن يثبتوا أنهم عراقيون منذ أربعة أجيال مع وثائق موقعة من حكومة الولايات المتحدة. إن سجلات الكنائس قد تكون مفيدة في إثبات أصولكم.

إن نفطكم سوف يوضع لكم في رعاية وصي. وسوف تعين الحكومة الأمريكية محامياً معتمداً ذا خبرة في شؤون النفط ليمثل مصلحتكم. ولا بأس بأن يكون كذلك موظفاً في إحدى شركات النفط.

٣ ـ كل المستشفيات المعدّة لخدمتكم سوف تعطيكم وصفة طبية موحدة. إنها ستحتوي على «شاش» وضمادات ومراهم للحروق و«يود» و«حقنة» و«ملقط شعر».

٤ ـ إن نفطكم سوف يوضع لكم في رعاية وصيّ. وسوف تعيّن الحكومة الأمريكية محامياً معتمداً ذا خبرة في شؤون النفط ليمثل مصالحكم. ولا بأس بأن يكون كذلك موظفاً في إحدى شركات النفط. إن هذا سيضمن لكم مورداً أكبر مما تتوقعون.

٥ ـ إن كل عراقي سوف يُقطع مائة فدان من صحراء العراق. ولسوف يعطى محراثاً ونسخة من ترجمة الملك جيمس للكتاب المقدس. أما ما سيتبقى من أراضي العراق بعد توزيع الصحراء، فسيتحول إلى مستوطنات إسرائيلية.

٦ ـ لكل مواطن الحق في كيس إعاشة يتضمن الحليب والسكر والطحين والشحم. فإذا كنتم لأسباب صحية أو دينية لا تستطيعون استخدام هذه الإعاشة، فإن بامكانكم أن تتقدموا بشكوى إلى مفوّض الشؤون الهندية. إن هؤلاء العراقيين الذين تظهر عليهم أعراض السكري أو أمراض القلب أو زَرَق العيون سيحصلون على كيسيْ إعاشة بدلاً من واحد. وبما أننا سنتأكد من أن لديكم تأميناً، فإن نظامنا الطبي لن يكون صالحاً لكم.

٧ ـ سوف ندير عائداتكم المالية ونتصرف بها، متعهدين لكم بأن أي طفل أمريكي في الخامسة من عمره، إذا كان قادراً على تشغيل الكومبيوتر، فإن له الحق في أن يستولي على ودائعكم. إن سجلات حساباتكم سوف تحفظ، ولكنكم لن تستطيعوا مراجعتها إلا بإذن من مكتب الشؤون الهندية.

٨ ـ حفاظاً على مبدأ الفصل بين السلطة والكنيسة، كما يقول الدستور الأمريكي، فإن المبشرين المسيحيين الذين تدفع لهم الدولة رواتبهم وكل نفقاتهم سيتولون تعليمكم وخدماتكم الاجتماعية. وبالطبع، فإن العراقيين الذين يدخلون في دين المسيحية هم وحدهم الذين سيتمكنون من الحصول على وظيفة.

٩ ـ من أجل عقد اتفاقيات جديدة، فإن بامكان أي عراقي يوافق مسبقاً على نص

المعاهدة المكتوب في واشنطن أن يعقد هذه الاتفاقية مع حكومة الولايات المتحدة نيابة عن الشعب العراقي.

١٠ ـ أهلاً بكم في العالم الحر، وانعموا بيوم سعيد. جورج واسون (عن مكتب الشؤون الهندية)».

الزعيم الهندي جورج واسون الذي وجّه رسالته إلى شعب العراق هو من أبرز علماء الأنثروبولوجيا الهنود الذين أفنوا حياتهم في دراسة شعوب الغرب الأمريكي. فقد أسس الأرشيف التاريخي للشعوب الهندية في تلك المنطقة (منه نسخة في متحف سميثونيان في واشنطن)، ويعمل الآن أستاذاً للأنثروبولوجيا في جامعة تلك الولاية المطلة على المحيط الهادي (ايوجين)، ومديراً لمشروع[٢] «دراسات جنوب شرق أورغن». (Southwest Oregon Research Project) في «طبعته» الثانية من رسالته إلى العراقيين، شبّه الزعيمُ الهندي «مجلسَ الحكم المحلي» في العراق بمكتب الشؤون الهندية، بل سمّاه صراحة «مكتب الشؤون العراقية» (Bureau of Iraq Affairs) إمعاناً في الإسقاط والاستثارة والتنبيه من أخطار الاستعمار الداخلي[٣] (Internal Colonialism) (الذي ابتلي به هنود الولايات المتحدة على يد حفنة من بني جلدتهم. وكان الرئيس جيمس مونرو الذي طرد الهنود من شمال نهر أوهايو هو الذي أسس هذا المكتب في آذار/مارس ١٨٢٤ وألحقه بوزارة الحرب (ثم ألحق في ما بعد بوزارة الداخلية) .

منذ البداية كان «مكتب الشؤون الهندية» أداة لتحقيق المطامع التي عجزت الولايات المتحدة عن تحقيقها بقوة السلاح، سواء بالنسبة الى انتزاع ممتلكات الهنود أو بالنسبة الى تصفية المقاومة الهندية. فخلال أقل من ١٥ عاماً، وفي عهد الرئيس أندرو جاكسون، شارك المكتب في اقتلاع الشعوب الهندية من جنوب شرق ما يعرف اليوم بالولايات المتحدة، وذلك بالتهديد والخداع تارة، والتظاهر بالغيرة على مصالح الهنود تارة أخرى، تلك الغيرة القاتلة التي انتهت بشعب الشيروكي إلى الترحيل القسري إلى غرب الميسيسيبي مسافة تزيد على ١٦٠٠ كلم، حيث مات الآلاف من النساء والأطفال والعجائز من الإنهاك والبرد والطعام المسموم ودفنوا على عجل أثناء رحلتهم الطويلة أو ما يعرف اليوم بـ «رحلة الدموع». (Trail of Tears) مع بداية الزحف الاستيطاني نحو الغرب، شارك هذا المكتب في التيئيس من المقاومة والتشجيع على الهجرة واختراع الأعذار والمبررات للزحف الأبيض. ولم يتورع المكتب عن تقديم الغطاء لحرب الولايات المتحدة على ثقافات الهنود ومعتقداتهم. لقد حرّم المكتب على أطفال الهنود استخدام لغاتهم، ومنعهم من ممارسة شعائرهم، واعتبر الحكومات الهندية التقليدية جريمة يعاقب عليها القانون، بل إنه عمل المستحيل لتدمير هندية الهنود وتمزيق نسيجهم الاجتماعي.

---

(٢) *Library Notes* (University of Oregon), edition XIV: Forging Alliances, p.1.

(٣) الاستعمار الداخلي فكرة وواقع في علم الاجتماع وفي الحياة الأمريكية ينسب اصطلاحه إلى عالم الاجتماع ريتشارد بلاونر (Richard Blauner).

وعندما حشرت الولايات المتحدة الهنود في معسكرات الموت التي يسمّونها «المنعزلات» (Reservations)، ظنت أنها ستتركهم في تلك الأراضي القاحلة التي لا تعيش فيها الضِّباب ليموتوا ببطء. لم تكن تتصور أن تلك الأراضي الجرداء تكتنز في باطنها ثروات هائلة من المعادن والمياه والمواد الأولية[٤]. صحيح أن مساحة هذه المنعزلات لا تزيد على ٣ بالمئة من أصل بلاد الهنود لكنها نسبة تزيد على مساحة بريطانيا. وهي بالطبع شظايا متباعدة وخاضعة اليوم لاستعمار داخلي يتّخذ أشكالاً عدة ويقدم للولايات المتحدة ما يغنيها عن الجيوش والحروب والعنف والخيال القيامي[٥]. من الأمثلة الفاقعة جنوب أريزونا. ففي هذه الأرض يوجد ثلثا احتياطي النحاس الأمريكي، ومعظمه في الأرض التي أقيم عليها منعزل «Papago». وقد انتزعت ملكيته من الهنود بعد اكتشاف النحاس فيه في عام ١٩٢٠، وذلك بالتواطؤ مع مكتب الشؤون الهندية الذي أنشأته الولايات المتحدة لمثل هذه المهمات الصعبة.

في "طبعته" الثانية من رسالته إلى العراقيين شبه الزعيمُ الهندي "مجلسَ الحكم المحلي" في العراق بمكتب الشؤون الهندية، بل سماه صراحة "مكتب الشؤون العراقية" إمعاناً في الإسقاط والاستثارة.

بهذا الاستعمار الداخلي الذي يمثله مكتب الشؤون الهندية، تمكنت الشركات الأمريكية من سرقة نحاس أريزونا، والثروات المعدنية لمنعزلات وايومنغ، ومونتانا، وداكوتا الشمالية وغيرها من الولايات، وذلك على رغم المعاهدات الملزمة المعقودة بين الهنود وحكومة الولايات المتحدة[٦]. ويرى فرانسيس مك كِنّا، أستاذ علم التربية في جامعة بنسلفانيا، أن مكتب الشؤون الهندية ليس إلا تجسيداً لمفهوم الاستعمار الداخلي، وأن عمله تركّز في تنفيذ سياسة نهب ممتلكات الهنود وتربية أجيال هندية تكره هنديتها وتنظر بعين الرضا والامتنان إلى البيض[٧]. ويجمل مك كنّا ما جناه مكتب الشؤون الهندية على أبناء الشعوب الهندية في ست نقاط[٨]:

---

(٤) فيها مثلاً ثلث احتياطي الفحم ذي النسبة القليلة من الكبريت، وفيها ٢٠ بالمئة من احتياطي النفط، ونصف فلزات اليورانيوم. وفيها معادن أخرى مثل الزيوليت والبوكسيت الذي يستخرج من الألمنيوم. انظر: Michel Garrity, «The U.S. Colonial Empire is as Close as the Nearest Reservation,» in: Holly Sklar, ed., *Trilateralism: The Trilateral Commission and Elite Planning for World Management* (Boston, MA: South End Press, 1980), pp. 238-268.

(٥) *The Navajo Nation: An American Colony: A Report of the United States Commission on Civil Rights* ([Washington,DC]:The Commission, 1975).

(٦) Garrity, Ibid.

(٧) Francis R. McKenna, «The Myth of Multiculturalism and the Reality of the American Indian Contemporary,» *Journal of American Indian Education*, vol. 21, no.1 (October 1981).

(٨) المصدر نفسه.

أ ـ إنكار حرية العبادة، خلافاً للدستور الأمريكي نفسه.

ب ـ القضاء على اللغات الهندية والحيلولة دون استخدامها.

ج ـ تدمير نظام الأسرة الهندية، حيث فرض المكتب فصل الأطفال عن أسرهم لتعليمهم في مدارس داخلية نائية تحول بينهم وبين ثقافاتهم وعاداتهم، بل تربيهم على الخجل من هنديتهم والتهكم عليها. لقد حاولت «مؤسسة المدارس الداخلية» التي يشرف عليها المكتب تمزيق العلاقات الثقافية والأخلاقية مع البيت الهندي. وكانت من أنجع أسلحة الحكومة الفدرالية في حرب الاستلاب الثقافي و«التمدين». كذلك ساهم المكتب في تشجيع عمليات التبني القسرية، حيث زادت نسبة التبني بين أطفال الهنود ٢٠ ضعفاً عن غيرهم من الجماعات العرقية في أمريكا[٩] .

يرى فرانسيس مك كِنا، أستاذ علم التربية في جامعة بنسلفانيا أن مكتب الشؤون الهندية ليس إلا تجسيداً لمفهوم الاستعمار الداخلي، وأن عمله تركز في تنفيذ سياسة نهب ممتلكات الهنود وتربية أجيال هندية تكره هنديتها، و تنظر بعين الرضا والامتنان إلى البيض.

د ـ تدمير اقتصاد الهنود والتفريط بأراضيهم وممتلكاتهم، فعلى الرغم من استيلاء الأوروبيين على معظم أراضي الهنود وتوطينهم في منعزلات جرداء بموجب معاهدات رسمية، فإن محاولة سلب ما تبقى بين يدي الهنود من أوطانهم لم تتوقف أبداً، وخاصة بعد اكتشاف الثروات المعدنية الهائلة في باطن أراضيهم. وقد كان مكتب الشؤون الهندية الوسيلة التي استعملتها الحكومة الأمريكية للاحتيال على تلك المعاهدات أو نقضها، أو لعقد اتفاقات جديدة مجحفة. وكانت المجلة الهندية (*Akwesasne Notes*) قد خصصت عدداً كاملاً لدور الشركات المتعددة الجنسية وطواويس مكتب الشؤون الهندية في نهب الموارد الطبيعية الهندية كالغاز والنفط والنحاس والذهب واليورانيوم، وكشفت فيها كيف فرّط مكتب الشؤون الهندية بموارد الهنود الغنية وضرب صفحاً عن حاجتهم الماسّة إليها، وذلك لقاء فتات من الرشى[١٠].

هـ ـ القضاء على«الحكم الذاتي» للهنود والمشاركة في تصفية الزعامات التقليدية. فقد تجاوز المكتب كل الاتفاقيات الموقعة بين الهنود والحكومة الأمريكية. ومما يلفت النظر أن الحكومة الأمريكية فضلت تعيين مجالس الحكم المحلية ورفضت مبدأ الانتخاب[١١].

---

(٩) *Akwesana Notes* (Winter 1978), p.17.

(١٠) *Akwesana Notes* (Winter 1979).

(١١) McKenna, «The Myth of Multiculturism and the Reality of the American Indian Contemporary», p.7.

و ـ تصفية هندية الهنود جسدياً، وذلك عبر التعقير الاجباري لكثير من فتيات الهنود، وعبر حرمان الهنود من استغلال مواردهم الطبيعية وإشاعة الفقر الإجباري بينهم. وهذا ما دفعهم إما إلى الانتحار أو الإدمان على الكحول والمخدرات أو إلى الهجرة إلى المدن، حيث يذوبون فيها نهائياً(١٢).

في «الاحتفال» بالذكرى الـ ١٧٥ لتأسيس مكتب الشؤون الهندية، استيقظت هندية كيفن غوفر، مدير المكتب ومساعد وزير الداخلية لقضايا الهنود، ففاجأ الحاضرين بخطابه الذي اعترف فيه بمعظم جرائم مكتب الشؤون الهندية بحق الهنود. وكان مما جاء في هذا الخطاب: «دعونا نفتتح هذه الذكرى بالتعبير عن أسفنا العميق لما ارتكبه هذا المكتب بحق الشعوب الهندية. إن قلبي ليتفطر عندما أفكر في تلك الأعمال الشريرة وفي عواقبها المأساوية. وإنني لمن كل قلبي أتمنى تاريخاً آخر، لكنني للأسف لا أستطيع إلا التمني. ولهذا فإنني باسم هذا المكتب، أقدم اعتذاري للشعوب الهندية عن الجرائم التي ارتكبها بحقهم. علينا أن نعترف بتلك التركة الثقيلة من الممارسات العنصرية واللاإنسانية. وبالاعتراف بذلك نكون قد اعترفنا بالمسؤولية الأخلاقية عن ضرورة إصلاح ما أفسدناه. علينا جميعاً أن نتعاهد على ألا نقف صامتين أبداً عندما ترتكب جرائم الكراهية والعنف ضد الهنود. أبداً لن نسمح بأن تكون سياستنا مبنية على أساس أن الهنود عرق أقل ذكاء من بقية الأعراق. أبداً لن نتواطأ مع من يريد أن يسرق ممتلكات الهنود. أبداً لن نسمح بنشر دعايات التشنيع (ستريوتايب) ضد الهنود في أروقة الدوائر الحكومية، أو نساعد على بناء ذلك الاعتقاد الساذج في أذهان الأمريكيين عن الهنود. أبداً لن نعتدي على دياناتكم ولغاتكم وشعائركم أو أي أسلوب من أساليب حياتكم. أبداً لن نجبر أطفالكم على أن يتعلموا كيف يخجلون من هنديتهم»(١٣).

مع نسف القوة السياسية الحقيقية للهنود، نشأ في أمريكا ما يسميه الهنود اليوم بالاستعمار الداخلي الذي أغنى الحكومة الأمريكية عن العنف المباشر، وأدى نجاحه إلى تطبيقه في كندا وتكرار تجربته في الفيليبين وهاواي وبورتوريكو وجزر الموز وغيرها من الجزر وشبه الجزر التي قدمت أنظمة الاستعمار الداخلي فيها للولايات المتحدة ما عجزت عنه كل الحملات الصليبية □

(١٢) المصدر نفسه، ص ٨.

(١٣) *Conku Ota*, no. 19 (September 2000).

المشهد العراقي الراهن:
الاحتلال وتوابعه في ضوء القانون الدولي

عبد الحسين شعبان

باحث ومفكر عراقي، وخبير في ميدان حقوق الإنسان.

في التاسع من نيسان/أبريل الماضي سقطت مدينة بغداد، ووقع العراق تحت الاحتلال بعد حرب غير متكافئة، ابتدأت في العشرين من شهر آذار/مارس ٢٠٠٣. وبسقوط بغداد انتهى النظام الذي حكم العراق طيلة ٣٥ عاماً.

ثمة مفارقات وإشكالات قانونية وسياسية خطيرة رافقت هذا المشهد، وكانت جزءاً منه، أثارت وتثير أسئلة على غاية من الأهمية والحساسية والخطورة أيضاً. ويترتب على بحثها والإشكاليات المتعلقة بها أمور كثيرة ترتبط بمستقبل العراق كدولة وشعب وهوية.

وإذا كان هناك اختلال قد حصل في توازن القوى (Balance of Power)، وأن ثمة واقعاً جديداً قد نشأ بفعل الاحتلال، فإنه من الضروري عدم إهمال الجانب القانوني بمبرر المتغيرات والواقعية السياسية.

مفارقات قانونية وسياسية

لعل أبرز المفارقات التي واجهت المشهد العراقي هي **تفكك الدولة العراقية** التي تأسست في العام ١٩٢١، أو تفكيكها وإلغاؤها، فقد اختفت مرّة واحدة وغابت وكأنها شيء لم يكن بعد أن كانت تضع بصماتها على كل شيء تقريباً، وتهيمن بصورة تكاد تكون مطلقة على الحياة السياسية والحزبية والاجتماعية والمهنية، وحتى الحياة الشخصية لم تنجُ من تدخلاتها السافرة. وكانت الدولة تبسط سلطانها وجبروتها على جميع مرافق الحياة والعمل والدراسة والثقافة والعبادة والتجارة والرياضة والسياحة وغير ذلك.

وتساوق سقوط النظام السابق وغياب الدولة مع **تعريض الاستقلال الوطني إلى**

الضياع بفعل وقوع العراق عملياً تحت الاحتلال الأمريكي ـ البريطاني. وتأسيساً على ذلك، **تعرضت السيادة الوطنية إلى التعويم**، بحكم غياب الدولة ووقوع البلاد تحت نير الاحتلال، وبالتالي انعدام وجود جهة تمثيلية ناطقة باسم «العراق» تأخذ على عاتقها «تمثيله» في الأمم المتحدة والمجتمع الدولي، وإن كان بصورة مؤقتة لحين اختيار حكومة شرعية ومقبولة.

ونجم عن الاحتلال وغياب الدولة **فراغ دستوري**، إذ أبطل فعلياً الدستور المؤقت الصادر في ١٦ تموز/يوليو ١٩٧٠ عن مجلس قيادة الثورة (المنحل) وعدد غير قليل من القوانين والأنظمة والتعليمات، ولم يحل محلها فعلياً منظومة قانونية بديلة، في حين أخذت قوات الاحتلال تمارس «السيادة» الفعلية على الأرض وتطلب من السكان المدنيين الامتثال لأوامرها وتعليماتها، خصوصاً بعد أن أقر المجتمع الدولي أن مسؤولية إدارة العراق هي بيد الاحتلال، حيث نص القرار رقم ١٤٨٣ الصادر في ٢٢ أيار/مايو ٢٠٠٣ عن مجلس الأمن بما يلي: «يعترف مجلس الأمن بأن قوات الاحتلال (يشار إليها بالسلطة) لها «سلطة ومسؤولية وواجبات محددة» بموجب القانون الدولي».

تذهب اتفاقيات جنيف وقواعد القانون الدولي الإنساني إلى ضرورة إدارة الإقليم المحتل وعدم إجراء تغييرات جوهرية دستورية أو قضائية فيه.

ورافق غياب الدولة وتعويم السيادة وضياع الاستقلال الوطني بفعل الاحتلال **فلتان أمني** نجم عن الفراغ الدستوري وغياب الأجهزة العسكرية والأمنية ومؤسسات الدولة الأخرى. وساهم ذلك في **انتشار عمليات السلب والنهب** والتجاوز على ممتلكات الدولة والمواطنين، مما جعل معادلة الأمن تفوق معادلة الكرامة على حدّ تعبير عالم النفس **سيغموند فرويد**.

وشملت عمليات النهب والسلب والتخريب المتاحف والآثار والمكتبات والجامعات والمجمّع العلمي وصروحاً ثقافية وتأريخية، كما طالت مخطوطات وكتباً نفيسة ونادرة. واختفت قطع آثارية لا تقدر بثمن، وهي ملك للإنسانية بأجمعها وليس العراق وحده. ولم يكن ذلك بمعزل عن قوات الاحتلال، بل إن هناك من يلقي اللوم عليها مباشرة ويحدّد مسؤولياتها في ما حصل سواء بمشاركتها أو تهاونها وعدم تمكنها من حفظ الأمن والنظام العام حتى بعد انهيار الحكم السابق.

العروبة «المنبوذة»

رافق انهيار النظام السابق عدد من المظاهر المقلقة وردود الفعل السلبية المنذرة بعواقب وخيمة في ما لو استفحلت على صعيد النسيج العراقي والمجتمعي والديني والمذهبي، حيث برزت **نزعات دينية وطائفية متطرفة ومتعصبة**، مهدّدة باستخدام

العنف وسيلة لحلّ المشاكل القائمة أو لفرض الرأي والتوجّه السياسي والاجتماعي والديني والمذهبي أحياناً.

وشملت هذه التوجهات فرض ارتداء الحجاب وإلقاء قنابل على دور السينما واستخدام العنف وسيلة لفرض الرأي والسلوك حتى على غير المسلمين.

كما ظهرت **توجهات انعزالية خطيرة** استهدفت فصل العراق عن محيطه العربي والإسلامي، بحجة خذلان العرب للعراقيين أيام محنتهم في ظل النظام السابق. ووصل الأمر إلى إطلاق **دعوة علنية للانسحاب من جامعة الدول العربية** والتنديد بمواقف عدد من البلدان العربية ومطالبتها بعدم «التدخّل في الشؤون العراقية» حالياً، وذلك دون معرفة دقيقة، أو ربما بقصد وأغراض مسبقة، بميثاق جامعة الدول العربية وما يسمح به هذا المنتدى الحكومي العربي من آليات ومسؤوليات إزاء مناقشة الأوضاع الداخلية للدول الأعضاء وما يضعه من محاذير على هذا الصعيد.

وليس في هذا التحليل ثمة ممالأة **لجامعة الدول العربية** أو دفاع عن أمينها العام السيد **عمرو موسى** أو لغيرها من البلدان العربية، ولكنه إقرار بواقع أليم. فثمة في الأمر نقص كبير وفادح في ميثاق جامعة الدول العربية ومبادىء «التضامن العربي» و«الإسلامي» بحاجة إلى معالجة وإعادة نظر وتجديد، بما يقتضي التطور الدولي من استحقاقات وقيم أساسها **احترام حقوق الإنسان** ومنع الانتهاكات الجسيمة التي تتعرض لها الشعوب استناداً إلى قاعدة آمرة وملزمة ومستقلة في القانون الدولي تقوم على «**التدخل لأغراض إنسانية**»، إذ لا يمكن ترك شعب يتعرض إلى انتهاكات سافرة وخطيرة لحقوق الإنسان وأعمال إبادة وعنف جماعية وجرائم ضد الإنسانية دون إنقاذه وتقديم العون له للإفلات من قبضة الإرهاب والهدر الجسيم لحقوق الإنسان، بحجة مبدأ عدم التدخل الوارد في ميثاق الأمم المتحدة، المادة الثانية، الفقرة السابعة، أو بحجة أن ميثاق جامعة الدول العربية لا يجيز التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأعضاء.

لقد أصبح «**مبدأ التدخل الإنساني**» (Humanitarians Interference) مبدأً آمراً وملزماً (Jus Cogens). وهو قاعدة واجبة الأداء في الحال لحماية أي شعب يقع تحت طائلة العنف المنفلت عن عقاله ومن «قوانين» ذات عقوبات غليظة وغير إنسانية لتشريع القسوة وهدر الحقوق. وهو ما ينبغي أخذه عربياً وإسلامياً وعالمثالثياً لدرء عمليات «**التدخل الخارجي**» عبر إصلاحات داخلية، والامتناع عن التجاوز على قيم ومعايير حقوق الإنسان.

ولا شك في أن الهجوم على جامعة الدول العربية وعلى «**العروبة المنبوذة**» يقابله **سكوت عن جرائم إسرائيل والصهيونية** بحق الشعب العربي الفلسطيني والأمة العربية، بل دعوات معلنة ومستترة للتطبيع معها، وإقامة علاقات رسمية وغير رسمية وتأسيس جمعيات وحضور مؤتمرات والقيام بزيارات وتقديم تسهيلات لشركات تجارية مباشرة أو بصورة غير مباشرة للتعاطي مع الوضع الجديد في العراق. كما راجت دعوات وتنظيرات تقول بأن **العراق ليس جزءًا من الأمة العربية، وإن هويته غير عربية**، في

حين أن وجود قوميات أخرى كالأكراد ـ وهم قومية ثانية أساسية ـ والتركمان والكلدو-آشوريين، لا ينفي الطابع العربي للعراق الذي عليه أن يحل المسألة القومية حلاً سلمياً وديمقراطياً إنسانياً، يضمن حقوق جميع التكوينات والقوميات والأقليات على أساس المساواة والعدل وحقوق الإنسان، سواء كان ذلك عبر صيغة الفدرالية أو غيرها.

ولم تقابل الدعوة بعدم **التدخل العربي** في الشؤون الداخلية العراقية مطالبة قوات الاحتلال بالإسراع بتسليم السلطة إلى العراقيين وإنهاء الاحتلال وإجراء انتخابات حرّة عاجلة لاختيار الشعب لممثليه.

إن **التدخل الخارجي** الواقع بفعل الاحتلال يتلكأ ويتخبط في القيام بواجباته المنصوص عليها في اتفاقيات لاهاي لعام ١٩٠٧، واتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩، وبخاصة الاتفاقية الرابعة الخاصة بحماية السكان المدنيين وملحقها بروتوكول جنيف لعام ١٩٧٧ الخاص بحماية ضحايا المنازعات الدولية المسلحة، وخصوصاً تأمين أرواح وممتلكات السكان المدنيين والسعي لتمكينهم من تقرير مصيرهم بأنفسهم.

الاحتلال والسيادة

إن قولنا إن العراق بلد محتل يعني في ما يعنيه وقوع الأراضي العراقية تحت سيطرة المحتل، ووقف ممارسة العراقيين السيادة عبر حكومة عراقية، وإناطة أمر مهمات السيادة مؤقتاً إلى قوات الاحتلال، وذلك طبقاً لاتفاقيات لاهاي لعام ١٩٠٧ المشار إليها، وخصوصاً المواد من ٤٢ إلى ٥٦، واتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ (الاتفاقية الرابعة) وخصوصاً المواد ٢٧ و٣٤ و٤٧ و٦٨. وهذه الاتفاقيات والأحكام تتحدث عن مسؤولية الاحتلال في ضمان أمن «**الإقليم المحتل**» وحماية أرواح وممتلكات السكان ومعتقداتهم... الخ.

وتذهب اتفاقيات جنيف وقواعد القانون الدولي الإنساني إلى ضرورة إدارة الإقليم المحتل وعدم إجراء تغييرات جوهرية دستورية أو قضائية في الإقليم المحتل.

لقد سلكت القوات المحتلة في العراق سبلاً شتى للتملص من التزاماتها المنصوص عليها في اتفاقيات جنيف بتجاوز النظام القانوني للاحتلال. وعلى رغم محاولات الولايات المتحدة الضغط على الأمم المتحدة لإصدار قرار يعقب **القرار ١٤٤١**، للترخيص لها بشنّ الحرب على العراق بحجة **امتلاكه أسلحة دمار شامل**، وكذلك **علاقته بالإرهاب الدولي وخصوصاً مع تنظيم «القاعدة» وبن لادن**، إلا أن المنظمة الدولية على رغم كل ما عليها من ملاحظات لم تستطع ولم يكن بإمكانها أن تلبّي رغبة الولايات المتحدة بسبب تعارض طلبها مع الشرعية الدولية من جهة، فضلاً عن المواقف الممانعة لبعض أعضاء مجلس الأمن الدائمين وغيرهم، والتي رفضت الانصياع إلى رأي الولايات المتحدة، وبخاصة **فرنسا** التي كانت تؤكد أنها لن تشارك في حرب لا تحظى بالشرعية الدولية، وكذلك **روسيا**، التي أكدت أنها لن تشارك في حرب لن تكون بإقرار الأمم المتحدة، وكذلك **الصين** .وكان موقف **ألمانيا** مميزاً عندما رفضت الانخراط في الحرب ضد العراق.

وأعتقد أن المجتمع المدني العالمي ومؤسسات حقوق الإنسان والعديد من مفاصل الرأي العام الدولي، كانت قد لعبت دوراً كبيراً في التأثير في بعض المواقف الأوروبية، وخصوصاً تظاهرات ١٥ شباط/فبراير ٢٠٠٣ التي جرت في أكثر من ٤٠٠ مدينة أساسية في العالم.

«شرعنة» الاحتلال!

لم يلبث الموقف الدولي الرافض للاحتلال أن طرأ عليه بعض التحول، وذلك بعد استكمال احتلال العراق، وصدور القرار رقم ١٤٨٣ في ٢٢ أيار/مايو ٢٠٠٣ وخصوصاً قد أصبح الأمر واقعياً، حيث اعترف مجلس الأمن بالأمر الواقع حين حدّد مسؤوليات «الاحتلال» في إدارة الشؤون العراقية، كأمر عاجل ومؤقت لحين تمكين الشعب العراقي من تقرير مصيره وتهيئته مستلزمات حياته المدنية. وكان **كوفي أنان**، الأمين العام للأمم المتحدة، قد صرح بأن الهدف هو **إنهاء الاحتلال واستعادة السيادة العراقية**.

> إن استمرار حالة عدم استتباب الأمن يعتبر عاملاً مساعداً في استمرار الاحتلال وعدم نقل السلطة إلى العراقيين، والاكتفاء بإدارة مؤقتة تعمل وفقاً لإرادة المحتل.

وجاءت الفقرة الثامنة من القرار رقم ١٤٨٣ غامضة ومبهمة بشأن إشراك الأمم المتحدة. وقد يكون ذلك مقصوداً لعدم الرغبة في تجاهلها كلياً، ولكن دون إعطائها دوراً أساسياً لكي تكون شريكاً فعالاً في إعادة إعمار العراق.

وأكدت الفقرة الثامنة على أن «يعيّن الأمين العام للأمم المتحدة مستشاراً خاصاً للعراق مهمته العمل مع السلطة والشعب العراقي بهدف تسهيل العملية المؤدية إلى حكومة تتمتع بصبغة تمثيلية معترف بها دولياً».

لقد ساهم الاحتلال في **إحكام عزلة العراق** الذي كان يعاني العزلة أساساً، ولكن انقطاع خدمات الماء والكهرباء والمواصلات والاتصالات وحلّ بعض مؤسسات الدولة والجيش وعدم إيجاد فرص عمل.. ذلك كله ساهم في تعميق عزلة العراق وسبب في اختناقات جديدة، وظلت الإدارتان الأمريكية والبريطانية تتملصان من مسؤولياتهما في إعادة الخدمات الأساسية الضرورية.

ومن مظاهر التملص من المسؤوليات، هو عدم الإعلان عن «إنهاء الحرب» أو «إنهاء العمليات العسكرية» تماماً، وذلك بهدف إبقاء الأوضاع معلقة والخيارات محدودة، وكلها بيد قوات الاحتلال.

في الأول من أيار/مايو ٢٠٠٣ أعلن الرئيس جورج بوش إنهاء العمليات العسكرية الرئيسية، ثم اعترفت قوات الاحتلال بمسؤولياتها كقوة احتلال، وذلك في

تصريح خاص للرئيس بوش في **الثامن من أيار/مايو**، وذلك تمهيداً لصدور القرار رقم ١٤٨٣ الذي اعترف بالأمر الواقع، ووضع مسؤوليات الاحتلال على عاتق القوتين الأمريكية والبريطانية، سواء من حيث «حقوقهما» أو واجباتهما.

إن الهدف من الإعلانات بعدم انتهاء حالة الحرب **هو عدم الاعتراف بالمسؤولية الكاملة كقوة احتلال** والسعي لإضفاء الطابع الشرعي على بعض العمليات «المستمرة»، سواء حالات الدهم أو القصف العشوائي أو تدمير المنازل أو الاعتقالات أو غير ذلك.

كما أن استمرار عدم استتباب الأمن وتفاقم الأوضاع الداخلية يعتبر عاملاً مساعداً في استمرار المحتل وعدم نقل السلطة إلى العراقيين وربما الاكتفاء بإدارة مؤقتة أو حكومة انتقالية تعمل وفقاً لإرادة المحتل.

وعلى رغم صدور القرار رقم ١٤٨٣ وحتى لحظة كتابة هذا البحث، فإنه لم يُحرز أي تقدم ملحوظ في الأوضاع الأمنية والإنسانية، بل إن ثمة تفجيرات قد جرت مؤخراً شملت بعض **أنابيب النفط في منطقة بيجي** وغيرها **وخزانات المياه في بغداد** (منطقة القاهرة والأعظمية)، **والسفارة الأردنية ومقر الأمم المتحدة في بغداد**، ثم تفجيرات في النجف أودت بحياة المرجع الإسلامي الشيعي البارز **محمد باقر الحكيم** وعشرات من المواطنين، الأمر الذي يضع تبعات جديدة على قوات الاحتلال، ومنها مسؤولية التعويض من الأضرار بسبب عدم قدرتها على حماية هذه المرافق المهمة.

ولم يكتف الاحتلال بإحكام عزلة العراق من خلال سيطرته على خطوط الاتصال والمواصلات وخدمات البريد والهاتف وغيرها، بل قام ببعض الخطوات الملموسة على صعيد تكدير العلاقة بالمحيط العربي والإسلامي، ويشمل ذلك الاتصالات الاعتيادية ووسائل النقل ووصول المساعدات الدولية الإنسانية الذي يتطلب إذناً خاصاً من سلطة الاحتلال، ناهيكم عن توجيه أصابع الاتهام إلى بعض الدول بإرسال متطوعين لمقاومة الاحتلال.

مجلس الحكم الانتقالي

حاولت قوات الاحتلال إدارة العراق بصورة مباشرة، ثم أعلنت أن في نيتها تأسيس حكومة تساعدها في الإدارة، ثم قالت إنها «سلطة» وليست حكومة ولها طابع استشاري، ثم أعلن **بول بريمر**، رئيس الإدارة المدنية الأمريكية في العراق عن تأسيس «مجلس للحكم الانتقالي» بصلاحيات محدودة وتنبثق عنه «حكومة» ذات طبيعة انتقالية مثلما هو مجلس الحكم، على أن يُعهد بأمر مناقشة الدستور إلى «**مجلس دستوري**».

ولا شك في أن الاحتلال بهذه الخطوات إنما يعبّر عن سعي لوضع القرار رقم ١٤٨٣ موضع التطبيق بما يتفق مع توجهاته، حيث نصّ القرار على أن تساعد «السلطة» إدارة انتقالية بقيادة عراقيين، كما أنه في الوقت ذاته عبّر عن مأزقه الحاد بعدم التمكن من حكم العراق مباشرة. وبغض النظر عن هذا وذاك، فتلك خطوة أولية يعتمد على أدائها

وفاعليتها، مستقبل الصراع السياسي ووجهته، ومن ثم استكمالها بنقل السلطة كاملة إلى العراقيين وتشكيل حكومة بصلاحيات كاملة واستعادة السيادة لاحقاً أو انفراط عقد المجلس أو خضوعه لما يريده الاحتلال، وبالتالي انبثاق شكل جديد من أشكال الصراع بين المحتل والعراقيين، قد يأخذ الأساليب العنفية أساساً في تعاطي الشعب العراقي مع الاحتلال.

وفي تقويم هذه الخطوة، يمكن القول **إن المجلس لم يكن اختياراً عراقياً محضاً، كما أنه ليس مجلساً مستقلاً**، وهو يستمد وجوده وتكوينه من سلطات الاحتلال. بمعنى من المعاني **إنه ليس وليد إرادة الشعب العراقي**، إذ إن الإدارة المدنية الأمريكية كانت وراء تأسيسه، ولها حق الفيتو في قراراته ومن اختصاصاتها وصلاحياتها حلّه، مما يجعل سلطاته ووظيفته محدودة.

لكن الصحيح أيضاً أن **المجلس يمثل تنوعاً في الطيف الوطني والسياسي والتكوين القومي والديني العراقي**. ولم يكن بإمكان بول بريمر والإدارة المدنية الأمريكية تجاهل قوى أساسية في المجتمع العراقي، مثل **الحركة الإسلامية بشقيها والقوى الكردية بجناحيها الرئيسيين وقوى جديدة أرادتها لغرض الموازنة، فضلاً عن قوى محسوبة عليها**. وقد أثار التقسيم المذهبي والعرقي انتقادات شديدة في الأوساط السياسية والفكرية على المستويين العراقي والعربي، وخصوصاً أن هناك شعوراً بأن إرادة المحتل هي التي تقف وراء مثل هذه التقسيمات التي لا تخلو من رائحة الطائفية والتمايزات الإثنية والقومية، مما يثير حساسيات ونعرات خطيرة، وبخاصة التعامل مع العنصر العربي، أي عرب العراق، وهم يؤلفون نحو ٨٠ بالمئة من سكان العراق، بنوع من الاختلال في التوازن وربما بشيء من الاستخفاف وعدم التقدير للعواقب التي قد تترتب على مثل هذا السلوك السياسي، وما سيتركه من تأثيرات سلبية في الوضع الجديد وفي مستقبل العراق السياسي.

> من الناحية القانونية يمكن توصيف مجلس الحكم بأنه أقرب إلى المجلس الإداري والسياسي الذي يقوم بمهمات تعاون سلطة الاحتلال..

لقد قرر بريمر **إلغاء صيغة مؤتمر وطني عراقي** للتيارات والحركات والشخصيات العراقية، تنبثق عنه حكومة مستقلة، وهو ما كان مزمعاً عقده خلال شهري حزيران/يونيو - تموز/يوليو الماضيين كما أعلن عنه، واستعاض من ذلك بتشكيل مجلس للحكم من ٢٥ عضواً في ١٣ تموز/يوليو ٢٠٠٣.

ونصّ قرار مجلس الأمن رقم ١٤٨٣ الذي حاولت إدارة الاحتلال الاستناد إليه في تشكيل مجلس الحكم على ما يلي: «إن مسؤولية العراق هي بيد الاحتلال الذي يسعى لتكوين إدارة عراقية مؤقتة لحين إقامة حكومة ممثلة للشعب معترف بها دولياً»، كما طلب القرار من

الامين العام للأمم المتحدة **تعيين ممثل خاص عُهد إليه بمهمات «مكثفة» مع سلطة الاحتلال وشعب العراق لتعزيز الجهود المبذولة لقيام حكومة عراقية انتقالية.**

وهكذا، فإن القرار تحدث عن **إدارة الاحتلال** (السلطة) وعن **إدارة عراقية مؤقتة** (مجلس الحكم حالياً) وعن **حكومة عراقية منتخبة** (شرعية) يمكن أن تتم بعد ١٢ شهراً على الأقل، مثلما حدّد القرار الذي طلب من كل من الولايات المتحدة وبريطانيا اطلاع مجلس الأمن بانتظام على تطورات الموقف، وهو الذي يدرس تطبيق القرار في غضون ١٢ شهراً.

وإذا كان القرار رقم ١٤٨٣ قد سلّم للولايات المتحدة وبريطانيا بصيغة الاحتلال، فإنه عنى اضطلاعهما بإدارة العراق بشكل مؤقت كأمر واقع ناجم عن الحرب يعطيهما «حق» تنظيم الحياة التي تأخذ طابعاً إدارياً ولا تطال اختصاصات السيادة.

ولعل **تشكيل مجلس الحكم الانتقالي** قد أعاد إلى الأذهان النقاش الفقهي والقانوني، النظري والعملي، بخصوص «**شرعية الإدارة المدنية**» التي تنشأ بجانب «**الإدارة العسكرية للاحتلال**»، وهو النقاش الذي ثار بخصوص الكثير من التجارب المماثلة، وبخاصة خلال الحرب العالمية الثانية، حيث وقعت أراضي دول كثيرة تحت الاحتلال وتعرضت للغزو، وحاولت سلطات الاحتلال تشكيل إدارات مدنية مساعدة لها. ومبعث النقاش أيضاً أن القرارات التي تتخذها هذه الإدارات المدنية «المساعدة» ستكون مستمدة من قرارات السلطات المحتلة ذاتها، مما يضع شكوكاً حول «شرعيتها»، وبالتالي التشكيك بمسألة الاعتراف بهذه الإدارات المؤقتة.

وعلى رغم أن مجلس الأمن كان قد أصدر قراراً رقمه ١٥٠٠ رحب فيه بتشكيل مجلس الحكم الانتقالي في العراق في آب/أغسطس ٢٠٠٣، إلا أن الأساس كان قد جرت الإشارة إليه في القرار رقم ١٤٨٣ بالاستناد إلى رسالة دولتي الاحتلال في الثامن من أيار/مايو ٢٠٠٣، مثلما أشارت إلى ذلك ديباجة القرار، ولهذا فإن تحديد صلاحيات ومسؤوليات «سلطة» الاحتلال استناداً إلى أحكام القانون الدولي واتفاقيات لاهاي وجنيف تعتبر صلاحيات ذات طبيعة إدارية مؤقتة بعيدة عن اختصاصات السيادة.

ولهذا، فإن تأييد القرار قيام الشعب العراقي بتكوين إدارة مؤقتة تنهض إلى جانب سلطات الاحتلال وتكون واعية لمسؤولياتها: بوصفها إدارة انتقالية، تمهيداً لتمكين الشعب العراقي من إقامة حكومته الشرعية، وفقاً للفقرة التاسعة من القرار رقم ١٤٨٣، يصبّ في الاستنتاج **الذي لا يعطي لسلطة الاحتلال أو للإدارة المؤقتة، اختصاصات السيادة،** لأن ذلك من اختصاص حكومة عراقية مستقلة وشرعية وحدها دون سواها.

ولكي لا تتصرف سلطة الاحتلال وحدها، فقد «أوجبت» الفقرة ١٣ من القرار **مشاورة الإدارة العراقية** الانتقالية المؤقتة عند صرف أموال خاصة من «**صندوق التنمية**».

وفي ذلك محاولة تخريجية لـ«إشراك» ولو شكلي للإدارة العراقية المؤقتة مع سلطة الاحتلال في الاختصاصات الرئيسية، وهي:

الميزانية والموارد الأساسية، والأمن وتبعاته، والتمثيل الخارجي والعلاقات الدولية، وما يرتبط بها، فضلاً عن سلطة التشريع والقضاء. ولكن من جهة أخرى، كلما استطاع مجلس الحكم، بغض النظر عن الصلاحيات الممنوحة له، أن يوسع من «حقوقه» وأن «يحاور» و«يفاوض» سلطة الاحتلال في ما يخص لا صرف الأموال وإعادة الإعمار والخدمات حسب، بل في المصير العراقي وسقف الاحتلال، يكون قد طبق بصورة سليمة قواعد القانون الدولي التي تقضي بإنهاء الاحتلال. وهذا يعتمد مرة أخرى على أدائه وفاعلياته، وعلى المزاج الشعبي الرافض للاحتلال، وعلى كلفة الاحتلال بشرياً ومادياً.

وبإمكان الشعب العراقي أن يضفي طابع الشرعية على أية حكومة لاحقاً، وهذا رهن بإرادته الحرة وحده، وليس الأمر مرهوناً بسلطة الاحتلال، وهو ما يضع حالياً مسألة الاعتراف الدولي جانباً، وخصوصاً إذا استطاعت الأمم المتحدة أن تلعب دوراً وسيطاً. وكلما توسع هذا الدور، فإنه بالمقابل سيؤدي إلى تقليص دور سلطة الاحتلال، ويمكن للعراقيين في هذه الحالة أن يجدوا وسيطاً ومحاوراً دولياً وليس طرفاً محتلاً.

> ليس من باب التجني القول بأن هذا المجلس لا يتمتع بسلطة تمثيلية أو تنفيذية أو بشخصية قانونية مستقلة أو أهلية تعطيه حق ممارسة السيادة لأن ذلك يخص سلطات الاحتلال.

لقد رفضت الأمم المتحدة إعطاء الغطاء القانوني للولايات المتحدة بالتدخل العسكري ضد العراق. وعلى رغم وجود نحو ربع مليون جندي أمريكي ـ بريطاني في العراق، فإن الأمم المتحدة لم تُعطِ غطاءً شرعياً للاحتلال، على رغم اعترافها بالأمر الواقع. وهناك فرق قانوني وسياسي بين الاعتراف بالأمر الواقع وبين الاعتراف القانوني. ولهذا تسعى الولايات المتحدة، وبخاصة بعد تفجير مكتب الأمم المتحدة في بغداد، ومقتل **سيرجيو ديميلو**، مفوض حقوق الإنسان وممثل الأمين العام للأمم المتحدة في بغداد، ومقتل السيد **محمد باقر الحكيم**، وانتشار أعمال تفجير ومقاومة ضد القوات الأمريكية، لأن تستصدر قراراً يساعدها في إرسال قوات دولية لحفظ الأمن في العراق بمشاركة قواتها وبإشرافها، وذلك لإعطاء بُعد دولي والتخفيف من حجم خسائرها. ولا يستبعد أن توافق على قوات للأمم المتحدة بإشرافها، كما سعت لاستقدام قوات عربية وإسلامية للغرض نفسه.

إن واجب قوات الاحتلال هو الحفاظ على سلامة وأمن الشعب وإقليم الدولة المحتلة، وبالتالي العمل على إنهاء الأسباب التي قادت إلى الاحتلال بأسرع وقت ممكن. ولهذا ليس من الصحيح التعامل مع مجلس الحكم باعتباره سلطة مسؤولة

وتنفيذية، لأنه لا يمتلك مقومات أو مظاهر السيادة، ناهيكم عن مباشرتها، لأن هذه الأخيرة هي بيد سلطات الاحتلال.

ويمكنني من الناحية القانونية توصيف مجلس الحكم بأنه **أقرب إلى المجلس الإداري والسياسي** الذي يقوم بمهمات تعاون سلطة الاحتلال، وهو أقرب إلى المجالس البلدية أو المحلية حسب الفقيه الدستوري د. **يحيى الجمل**، حيث يمكن للمجلس أن يقوم بتسيير بعض المرافق والخدمات التي يمكن أن تنفع العراقيين، بحيث يكون حلقة الوصل بين المواطن العراقي وسلطة الاحتلال، وهو ما جاء في أسباب تأسيسه ـ التي أجملها ـ بتوفير الأمن وتفعيل مؤسسات الدولة والمجتمع المدني تمهيداً للمرحلة اللاحقة.

ولهذا، فإنه ليس من باب التجني **القول إن المجلس لا يتمتع بسلطة تمثيلية أو تنفيذية، أو بشخصية قانونية مستقلة أو أهلية تعطيه حق ممارسة السيادة، لأن ذلك يخص سلطات الاحتلال.**

وإذا كان من حق العراقيين الذين يسعون لإنهاء الاحتلال أن يتشبثوا بكل الطرق الممكنة والأساليب النضالية المعروفة، من أبسطها حتى أرقاها، أي البدء بأساليب الاحتجاج السلمي والتظاهر والتعبير والاعتصام وصولاً إلى العصيان المدني، وأخيراً استخدام الأساليب العنفية، في ما إذا رفض الاحتلال تحديد سقف زمني لرحيله، وفقاً لما يجيزه القانون الدولي، فإن من واجبهم أيضاً التشبث بكل الصيغ الممكنة، ومن ضمنها القرار رقم ١٤٨٣ الذي أكد على:

ـ سيادة العراق وسلامة أراضيه الإقليمية.

ـ حق الشعب العراقي في تحديد مستقبله السياسي بحرية والسيطرة على موارده الطبيعية وتمكينه من ذلك في أقرب وقت ممكن.

ـ إلزام سلطة الاحتلال على العمل بموجب ميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي والقرارات الدولية ذات العلاقة.

ـ تعزيز دور الأمم المتحدة للعمل بصورة مكثفة مع سلطة الاحتلال وشعب العراق والجهات المعنية الأخرى لاستعادة وإنشاء مؤسساته الوطنية والمحلية اللازمة، بما في ذلك قيام حكومة عراقية ممثلة للشعب معترف بها دولياً.

وأخيراً، يمكن القول إن هذا **الوضع الاستثنائي** (خضوع العراق للاحتلال) يتطلب جهداً استثنائياً لإنهاء الاحتلال، وتمكين الشعب العراقي من استعادة سيادته الوطنية واستقلاله الوطني وإعادة بناء الدولة العراقية على أسس ديمقراطية تعددية، تنهي آثار الحقبة الماضية وتعترف بالتكوينات المختلفة في صيغة دستورية يقرّها برلمان عراقي منتخب يضع القواعد الجديدة في إطار توافق وطني لعراق ديمقراطي فدرالي يلغي أسس الاستبداد والاضطهاد الشوفيني والطائفي، ويحترم حق الاختلاف والرأي والرأي الآخر والتنوع القومي والديني، ويقبل بقواعد اللعبة الديمقراطية باعتبار صندوق الاقتراع هو فيصل الشرعية في الحكم واحترام إرادة الشعب □

■ وثيقة

مراقبة الديمقراطية في العراق: تقرير رقم واحد عن الوضع في العراق(*)

أيلول/سبتمبر ٢٠٠٣

رند رحيم فرانكي
المديرة التنفيذية لـ «مؤسسة العراق».

١ ـ تطورات إيجابية

ثمة تحسينات مرئية منذ حزيران/يونيو، فالبطالة ـ لا تزال مشكلة قاسية، ولكن على الرغم من الجهد البطيء لإعادة الإعمار، فإن مزيداً من الناس يجدون وظائف، وبعض المرتبات ارتفع، وخاصة تلك التي تدفع لأناس يبحثون عن عمل في القطاع الخاص. المحلات مفتوحة وتزدحم بالسلع المستوردة من بلدان مجاورة. وقليلون من المقاولين الأجانب (خاصة من الأردن ولبنان وبلدان الخليج) تجاسروا على التحدّي الأمني ووصلوا إلى العراق ساعين إلى فرص للأعمال. كما كان هناك مزيد كثير من أعضاء المنظمات غير الحكومية في شهر آب/أغسطس، ولكن قصف مقر هيئة الأمم المتحدة في يوم ١٩ آب/أغسطس غيّر هذا الاتجاه. الفنادق مفعمة بالنشاط والمترجمون الفوريون وسائقو السيارات وغير ذلك من الخدمات يكسبون الكثير. وعلى الرغم من أن وتيرة إعادة الإعمار

(*) صدر هذا التقرير أصلاً بالإنكليزية وقامت **المستقبل العربي** بمهمة ترجمته كاملاً بدون أي حذف أو تغيير. وترجع أهمية التقرير إلى ما يحتويه من انتقادات واضحة للأوضاع في العراق بعد الاحتلال الأمريكي على الرغم من أن كاتبته العراقية الأصل والأمريكية الجنسية، السيدة رند رحيم فرانكي (Rend Rahim Francki) المديرة التنفيذية لما يسمى «مؤسسة العراق» (Iraq Foundation) هي عضو في ما يسمى «المؤتمر الوطني العراقي» الذي يرأسه د. أحمد الجلبي، وهو على رأس من يعتبرون الغزو الأمريكي للعراق تحريراً للعراق. وقد كتبت تقريرها هذا بعد رحلة رابعة لها إلى بغداد من ٢٠٠٣/٧/٢٧ إلى ٢٠٠٣/٨/٢١. بمعنى أن أهمية هذه الانتقادات الصريحة هي من كونها جاءت من داخل النخبة الأمريكية لا من خارجها، وبخاصة أنها لا تتناول مسائل فرعية أو ثانوية، إنما تتناول أموراً أساسية في جوهر نظام الاحتلال وما يعده لمستقبل العراق. والحكم عليها متروك للقارئ وإن كانت ترد وسط عبارات إيجابية عن الاحتلال وقواته وسلطاته (المحرر).

لا تزال بطيئة، فإن مزيداً من العراقيين ينخرطون في جهود إعادة الإعمار، وكذلك حال العمال المهرة وأنصاف المهرة. مع ذلك ـ وبينما هناك ارتفاع في الاستهلاك ـ فإن الاقتصاد العراقي لم يدخل بعد حالة الإنتاج.

هناك مزيد من رجال الشرطة العراقيين في الشوارع، ينظمون حركة السير، ويحرسون المباني وفي بعض الأحيان يفرضون القانون. وحسب ما تعلن سلطة التحالف المؤقتة، هناك الآن نحو ٥٥ ألف عراقي مسجلين في قوة الشرطة وغيرها من خدمات حفظ القانون الأخرى في أنحاء العراق، لكنهم في بغداد بالكاد أصبحوا مرئيين. ويبتهج المواطنون في بغداد عندما يسمعون قصة عارضة عن قيام الشرطة باعتقال مجرمين. هجمة للشرطة على البتاوين، وهي ضاحية خارجة على القانون في وسط بغداد، التقط فيها أكثر من ٢٠٠ موقوف، ورحّب بها السكان بحرارة. مثل هذه الحالات من حفظ القانون قليلة إذا قورنت بموجة الجريمة التي تطبق على المدينة، مع ذلك فإنها ذات دلالة وتبني الثقة.

إن مجالس الأحياء التسعة في بغداد، التي تشكل في مجموعها مجلس المدينة تجتمع بانتظام، وفي اجتماع أخير لها حضرته الكاتبة بدا أنها تعمل في انسجام. ويرجع الفضل للمدنيين في سلطة التحالف المؤقتة الذين يعملون مع مجلس المدينة في درجة من الشفافية والتعاون اللذين يجعلان العمل في هذا المجلس مثيراً للإعجاب. وعلى سبيل المثال، فإن الاجتماعات مفتوحة للجمهور، وفي اجتماع عقد مؤخراً وزعت معلومات المجلس المالية على كافة الحاضرين ونوقشت علناً. وقد أثبتت المجالس المحلية فاعليتها، ولكن لا تملك سوى صفة استشارية وقليلاً من صنع القرار أو من السلطة التنفيذية، غير أنها لكي تبقي على قوة الدفع ينبغي أن تصبح أكثر جوهرية وينبغي أن تُمنح سلطة لتسيير أحيائها تتجاوز صفتها الاستشارية الراهنة.

لقد كان قيام سلطة التحالف المؤقتة بتعيين مجلس حكم عراقي في منتصف شهر تموز/يوليو، وتعيين مجلس وزاري في أيلول/سبتمبر ـ وهما خطوتان طال انتظارهما ـ خطوتين مهمتين للأمام. فحتى قبل الحرب كان العراقيون يحثّون الإدارة الأمريكية على أن تشكل حكومة عراقية فوراً في أعقاب إسقاط نظام حكم صدام. وبحلول حزيران/يونيو – أي بعد شهرين من انهيار النظام الحاكم ـ كان العراقيون قد فرغ صبرهم بشأن ظهور هيكل عراقي سياسي وتنفيذي. وقد انتقد كثيرون تكوين مجلس الحكم لأنواع كثيرة من الاعتبارات، منصفة وغير منصفة، ومع ذلك، فإن العراقيين مستعدون لأن يمنحوا مجلس الحكم فرصة زمنية ليحكموا عليه بسياساته وإنجازاته.

وأخيراً، فإن الوضع في المحافظات أفضل مما هو في بغداد. فهناك درجة أكبر من الأمن (بغض النظر عن الانفجار في ضريح الإمام علي في النجف في أيلول/سبتمبر) والجريمة أقل، والخدمات ـ بما فيها الكهرباء ـ متاحة أكثر. ومجالس الحكم المحلي ـ بعد تعثرات في المرحلة المبكرة ـ تؤدي وظائفها بصورة سلسة وبدرجة مشكورة من المسؤولية. ويبدو أن الحكم الذاتي ـ الذي كثيراً ما تردّدت الدعوة إليه في العراق ـ يعمل بصورة جيدة حينما يوضع موضع التنفيذ.

٢ ـ الأمن

في وقت مبكر يرجع إلى شهر نيسان/أبريل، وفي اجتماعات سياسية عقدت في الناصرية وبغداد، ذكر العراقيون مراراً الأمر باعتباره المشكلة الأولى، وحثّوا على اتخاذ إجراءات لتأمين القانون والنظام والسلامة الشخصية. مع ذلك، فإن مظاهر الخروج على القانون في العراق قوبلت بتجاهل ومرت بلا عقاب منذ سقوط بغداد في نيسان/أبريل، حينما سمح لأعمال النهب بأن تقع تحت أنف قوات الاحتلال. وفي وقت لاحق، لم تجر معالجة الزيادة في العنف والجرائم المدنية في حزيران/يونيو بطريقة مباشرة وبقوة. وتفاقم وضع الأمن أكثر من ذلك في أيار/مايو نتيجة لقرار حلّ الجيش والشرطة العراقيين كلياً وبلا تمييز، ما ترك العراق بلا بنية تحتية لفرض القانون، بينما ـ في الوقت نفسه ـ لم يبذل جهد كاف لتجنيد العراقيين ضمن إطار أمني جديد.

وبالمقارنة بالوضع الأمني في حزيران/يونيو، فإن الأمن على كافة المستويات أسوأ بكثير. فبالإضافة إلى **الهجمات على مقرات التحالف وأعمال التخريب ضد المنشآت، والجرائم ضد العراقيين، انتشرت أعمال الإرهاب المذهلة في شهر آب/أغسطس**(*). إن الشكوك في التعاون بين البعثيين والسلفيين العراقيين والقوى الإسلامية المتطرفة الخارجية شكوك مشروعة. فالحركة السلفية في العراق آخذة بالنمو منذ منتصف الثمانينيات من القرن الماضي، ولمواجهة زعم إيران بانها تحارب «الكفار» والنظام العراقي «المرتد» كان صدام حسين قد تبنى رموزاً وشعارات إسلامية، وشجع التديّن وأغمض عينيه على تغلغل الثقافة السلفية داخل العراق. وقد عززت «حملة الإيمان» التي شنّها صدام حسين في التسعينيات من القرن الماضي نمو هذه الحركة. وبحلول أواخر سنوات هذا العقد، كان التداخل بين البعث والنزعة الإسلامية عند مستوى القواعد قد أصبح أمراً شائعاً. وهكذا فإن ثمة عراقيين: (أ) متعصبين مدفوعين بالحماس الديني، (ب) فقدوا المكانة السياسية والاقتصادية التي كانوا يتمتعون بها في ظل البعث (ج) يخشون تغير النظام السياسي ويرون في تمكين الشيعة خطراً. (د) ونتيجة لذلك، فإنهم يعتبرون الولايات المتحدة الوسيط لانحدار مكانتهم، وبالتالي عدوهم الرئيس. ومن شأن العمل المشترك بين عراقيين من هذه السمات أو المجموعات، مثل أنصار الإسلام أو القاعدة أو خليط مماثل من تنظيمات محلية وخارجية، أمراً طبيعياً، ويمكن أن يكون مسؤولاً عن الأعمال التي تزداد تطوراً من إرهاب وهجمات على القوات الأمريكية والمدنيين العراقيين والمنشآت المدنية العراقية. ويدرك العراقيون أن أعمال الإرهاب تهدف إلى جعل أمريكا تفشل في مهمتها وأن تخيف العراقيين الذين يعملون مع الولايات المتحدة.

إن السلامة الشخصية في حالة تعيسة، والخروج على القانون منتشر. اختطاف السيارات شائع، وفي بعض الأحوال يُقتل أصحاب السيارات. السرقات المسلحة عديدة في شوارع بغداد، وكثير من المساكن نهب. أحياء بأكملها في وسط بغداد (بما فيها تلك التي

(*) كل التأكيدات بالحرف الأسود هي لـ **المستقبل العربي** (المحرر).

تقع فيها فنادق رئيسة) خطرة للغاية بالنسبة الى السيارات ابتداء من ساعات ما بعد الظهر الأولى وما بعدها. وفي هذه الأحياء، تغلق المحال أبوابها في الرابعة بعد الظهر وتبدو هذه المناطق مهجورة ومهملة. ومن الخطورة بمكان قيادة السيارة عبر المدينة بعد الساعة التاسعة مساء على الرغم من أن حظر التجول يبدأ في الحادية عشرة. ولقد وقعت حالات انتزاع ومحاولات ابتزاز. وفي حالات معروفة للكاتبة هُددت إحدى العائلات باختطاف نجلها إذا هي لم تدفع فدية، وفي حالة أخرى اضطرت العائلة لأن تدفع الفدية أو المخاطرة بنسف منزلها. كذلك فقد ذكرت تقارير إخبارية عن أعمال اختطاف رجال ونساء بهدف الحصول على فدية. عمليات القتل للانتقام وتسديد الفواتير ـ وهي عمليات كانت غائبة بصورة ملحوظة في الشهرين الأولين بعد التحرير ـ هي الآن في ازدياد، وخاصة في البصرة وفي الجنوب. ويشكل الشباب عصابات، وبيع واستخدام المخدرات والكحول من جانب أطفال الشوارع مشكلة متصاعدة تناقش بصراحة في الصحافة العراقية.

يتطلع السكان إلى التحالف ليوفر السلامة والأمن. لكن الافتقار إلى السلامة الشخصية ووجود أعمال الإرهاب التي تؤثر بصورة مباشرة في حياة الناس (تدمير أنابيب النفط ومواسير المياه ... إلخ) قد **نالت من الروح المعنوية للمواطنين العاديين**. وهناك إحصاءات عن جنود التحالف وغيرهم من الأجانب **الذين قتلوا وجرحوا في العراق**، ولكن لا **توجد إحصاءات عن العراقيين**، على الرغم من أن الذين قتلوا منهم يعدّون بالآلاف. وعلى الرغم من أن تفاؤلاً حذراً كان لا يزال هو الشعور السائد في حزيران/يونيو، فإن **العراقيين في آب/أغسطس من كافة أوجه الحياة عبّروا عن تشاؤمهم بشأن مستقبلهم الشخصي ومستقبل البلد**. ولقد لجأ الناس إلى السخرية وعدم الثقة بالدوافع الأمريكية، أو إلى الغضب والسخرية إزاء العجز الأمريكي. وتشعر أعداد متزايدة من العراقيين بأن الولايات المتحدة تنتقل من فشل إلى آخر، وأنها فقدت السيطرة. ومع تدهور الوضع، فإن **العلاقات بين القوات الأمريكية والعراقيين تزداد سوءاً**: فالعراقيون غاضبون ومحبطون إزاء الأمريكيين؛ وهذا الشعور ـ في العادة ـ متبادل.

إن من المستحيل أن تتمكن القوات الأمريكية وحدها أن تقلب هذا التحرك الحلزوني الهابط. فكما دعا العراقيون لأشهر عدة، فإن العراقيين وحدهم يملكون القوة البشرية والبصيرة بالمجتمع اللذين تمسّ الحاجة إليهما لحفظ النظام. وبينما يتصاعد العنف ويمدّ آثاره إلى كل المناطق والمصالح، فإن عملية تعبئة العراقيين هذه لا بد من أن تتم سريعاً، وليس بالطريقة البطيئة التدريجية التي اتبعت حتى الآن. وقد أشار السفير بريمر(*) إلى أن تشكيل قوة شرطة عراقية سيتمّ بحلول كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٤. وهذا أمر لا يمكن الدفاع عنه. فكما تبرهن عمليات تفجير القنابل المأساوية التي جرت في آب/أغسطس، فإن الإرهابيين والمخربين لا ينتظرون، والحلول مطلوبة الآن.

(*) الحاكم المدني للعراق بول بريمر (المحرر).

لقد كانت تنظيمات صدام الأمنية الحديدية تحكم سيطرتها من خلال سلطة سياسية. وبالمثل، فإن **إطاراً أمنياً قادراً على الحياة في العراق لا بد من أن يرتكز على هيكل سياسي عراقي**. وبتعيين مجلس حاكم ووزراء، فإن هيكلاً سياسياً يبدأ في التشكل، ولكنه أبعد ما يكون عن الاكتمال. فعلى الرغم من أن مجلس الحكم قد شكل لجنة فرعية أمنية، فإن هذه اللجنة لا تملك سوى قدرة وسلطة تمثيليتين إقليميتين ضئيلتين، للغاية بحيث لا يمكنها أن توفر ركائز سياسية للأمن. في الوقت نفسه، فإن العراق يملك الآن هيئات حاكمة محلية متعددة لها مصلحة أكيدة في صون الأمن والاستقرار في البلد، حتى ولو كان ذلك لإضفاء شرعية على أدوارها وعلى تعاونها مع الأمريكيين. حقاً **إن الأمن في حالة أفضل في المحافظات**، حيث جنّدت المجالس المحلية قوة الشرطة المحلية الخاصة بها. وبعد ازدياد الهجمات الإرهابية في آب/أغسطس، فإن قطاعات كثيرة من المجتمع تنظر إلى توفير الأمن باعتباره الضمان السياسي لها، بما فيها السلطات الدينية السنية والشيعية.

لقد بدأت الولايات المتحدة متأخرة تدرك أنه يتعيّن عليها أن تعتمد أكثر على قوات عراقية، وبدأت تجند رجالاً بإيقاع أسرع في الشرطة والدفاع المدني والقوات المسلحة النظامية. وتواجه الولايات المتحدة عدة مشكلات عملية: كيف تقوم بعملية التجنيد بسرعة، كيف تدقق في أمر المجندين لضمان التزامهم بالنظام الجديد، كيف تدرب هذه الأعداد الضخمة خلال أسابيع لا شهور. وتبقى مشكلة أخرى هي إعطاء الشرعية لهذا الهيكل الأمني. فهل ستشارك هذه المؤسسات السياسية العراقية الفتية ـ مجلس الحكم، وزارة الداخلية، اللجنة الفرعية للأمن ـ في عملية خلق هذه القوى الثلاث أو الإشراف عليها؟ وكيف ستمارس هذه المشاركة؟ ومن سيكون مسؤولاً ـ في غياب وزارة للدفاع ـ عن وحدات الدفاع المدني ووحدات الجيش؟ في الوقت الحاضر لا توجد سوى وزارة للشؤون الداخلية، وليس من الواضح إلى أي مدى ستمتد سلطتها. وأخيراً، أي دور ستلعبه المحافظات في ترتيباتها الأمنية الخاصة، وكيف ستشارك في المسؤولية ـ إذا كانت ستشارك أصلاً ـ مع مجلس الحكم ووزارة الداخلية؟

بسبب الطبيعة غير المكتملة للترتيبات السياسية في العراق الآن، لا بد لهيكل أمني أن ينال رعاية وطنية واسعة. وفي غياب وزارة للدفاع وبرلمان منتخب أو حكومة للإشراف على شؤون الأمن، فإن ثمة حاجة إلى مجلس أوسع للأمن القومي، يمكنه أن يدفع السلطة التمثيلية في ما يتعلق بأمور الأمن. وينبغي أن يشمل مجلس للأمن القومي اللجنة الفرعية للأمن التي شكلها مجلس الحكم، ووزارة الداخلية التي تأسست مؤخراً، وممثلين عن المجالس الإقليمية في المحافظات. ومن شأن هذا المجلس أن يوفر:

أ ـ السلطة السياسية للهيكل الأمني.

ب ـ سياسات للأمن.

ج ـ آليات للإسراع في تعزيز مشاركة العراقيين في الإجراءات الأمنية.

د ـ الإشراف على الهيئات الأمنية ومراقبتها. وفعلياً ستكون لمجلس الأمن القومي السلطة الأعلى على أمور الأمن في العراق.

ويمكن تحسين آليات تعبئة العراقيين سريعاً بعدة وسائل:

ـ تكوين مجموعة محورية من المدنيين يختارون ويدقق في شأنهم بواسطة المجموعات السياسية الممثلة في مجلس الحكم لمساعدة فرق التدريب التابعة للتحالف.

ـ إقامة دفاع مدني محلي داخل كل محافظة، يختار ويدقق فيه المجلس المحلي.

ـ التدقيق بأمر وإعادة تجنيد المراتب الأدنى من الجيش العراقي المنحل لتدخل في نظام حرس وطني.

٣ ـ الخدمات

يرتبط توفر الخدمات بالأمن وبتوفر الأموال. والأمور الأكثر إلحاحاً هي **الكهرباء ومياه الشرب النقية**، وخاصة في الجنوب، **والمحروقات للاستهلاك المنزلي**، **وخدمات الهاتف**، **وفرض القانون**. **ولكن الأمن وحده لا يستطيع أن يفسر انهيار هذه الخدمات.** ففي حالات كثيرة يمكن للنقود والتخطيط والتنفيذ السريع للمشروعات أن تُحسِّن الوضع. وعلى سبيل المثال، فإن توليد الكهرباء للاستخدام المدني غير الصناعي يمكن أن يتحسن بدرجة كبيرة باستيراد مولّدات ضخمة بالجملة. وفي بعض المدن ـ وخاصة الموصل ـ استوردت شركات خاصة مولدات ضخمة توفر خدمة للأحياء السكنية مقابل رسم. ويصبح هذا أمر توفر نقود وليس مسألة أمن. ويعتمد توفر مياه نقية للشرب في الجنوب ـ وخاصة في البصرة ـ بدرجة أكبر على عمل البنية التحتية أكثر منه على الأمن.

كان أحد العوامل التي تساهم في انهيار الخدمات ـ وطوال الأشهر الخمسة منذ انهيار نظام حكم صدام ـ غياب وزراء ووزارات تؤدي وظائفها. لقد اختار التحالف أن يشكل المجلس السياسي أولاً، وأن يفوضه في مهمة تعيين وزراء وموظفين مدنيين على مستوى رفيع. ونتيجة لهذا، فإن أحداً لم يتولّ المسؤولية، وسارت ببطء وتعثرت عملية إعادة بناء الإدارة المدنية. وفي الحقيقة أن أي بناية لوزارة أصيبت بأضرار قاسية أثناء الحرب أو في أعقاب إشعال الحرائق وعمليات النهب، تبقى غير مستخدمة وخاوية. وموظفو الوزارة الذين يذهبون إلى عملهم أحياناً ليس لهم مبنى يذهبون إليه. وبينما تحاول سلطة التحالف المؤقتة تسيير الشؤون المدنية للعراق، فإن الإدارة المدنية العراقية أصبحت مشلولة وظيفياً.

يفترض أن يؤدي تعيين الوزراء من قبل مجلس الحكم إلى تحسين الوضع. مع ذلك، فإنه **ليس باستطاعة الوزراء أن يفعلوا الكثير إذا كانت ميزانياتهم والقوى البشرية والسلطة التي يملكونها غير كافية.** إن الأولوية الأولى لتحسين الخدمات للسكان هي توفير المصادر المالية للوزراء. ولأن الوزراء معينون سياسياً، وبينما يملك كثيرون منهم خبرات مهنية و/أو مؤهلات أكاديمية، فإن قليلين يملكون خبرة إدارية

وعملية في العراق. وينبغي تلبية الحاجات الإدارية والعملية للعمل التنفيذي بسرعة كبيرة لكي تتم أية تحسينات فعلية.

ويفترض أن تسهم إعادة تفعيل وزارة الداخلية (التي كانت قد حلّت في أيار/مايو في وقت واحد مع وزارة الدفاع) في تحسين فرض القانون. **واليوم، فإن قوة الشرطة العراقية صغيرة للغاية ولم تزوّد بالأدوات وبالسلطة اللازمتين لتنفيذ وظائفها.** ولا يعتقد المواطنون أن باستطاعة السلطة أن تفعل أي شيء لمساعدتهم. وعلى سبيل المثال، فإن حالات سرقة المنازل لا تبلغ إلى الشرطة، لأن هناك اعتقاداً له ما يبرره بأنه ليس باستطاعتها عمل شيء. وعمليات المحاكم القضائية إما غير موجودة أو محدودة للغاية. وفي الحالات النادرة الحدوث التي يتمّ فيها القبض على مختطفي السيارات، فإن المرجح أن يطلق سراحهم لأنه ليس باستطاعة الشرطة عمل شيء معهم، أو لأن الشرطة ستقبل رشوة. كذلك، فإن تخوّف الشرطة قد فرض عاملاً مثبطاً خطيراً لفرض القانون.

٤ ـ الاقتصاد والوظائف والأجور

ثمة علامات واضحة على أن مزيداً من المال السائل يحقن في جسم الاقتصاد منذ شهر حزيران/يونيو. فالمحلات تعرض سلعاً أكثر بتنويعات أكثر، والطعام موجود بوفرة، ويجري استيراد وشراء مزيد من السيارات، والفنادق مكتملة النزلاء، وأعداد أكبر من الناس تشغل وظائف وبمرتبات أفضل، مما كان الحال في حزيران/يونيو. مع ذلك، فإن هذه علامات دالة على نزعة استهلاكية وليس على إنتاج، وبخلاف مشتريات المستهلكين، فإن **الاقتصاد جامد.** وكما هو الحال في كل ما عدا ذلك، فإن **توقف الاقتصاد يُعزى مباشرة إلى غياب الأمن ونقص الأموال.** ولقد جاء بعض المقاولين الإقليميين (من لبنان والأردن ودول الخليج) إلى العراق سعياً وراء فرص، ولكن **الشركات الأجنبية الكبرى ترفض الدخول في أعمال في العراق بسبب أخطار الخروج على القانون وأخطار الإرهاب.**

في الوقت نفسه، كانت لدى العراقيين آمال كبار في أيار/مايو وحزيران/يونيو الماضيين، **وأما الآن فإنهم قلقون في مواجهة خيبات أمل متكررة.** وقليلون من العراقيين هم الذين يعون أن البلد مفلس. ويتوقع موظفو الحكومة وأساتذة الجامعات والمتقاعدون الحصول على أجور أعلى، ويشكون من أن مرتباتهم لا تستطيع ملاحقة التضخم السريع، ويعتقد معظم الناس أن العراق يملك احتياطات نقدية بمليارات الدولارات من مبيعات النفط قبل الحرب، ولا يفهمون سبباً لنقص الإنفاق على قطاع النفط أو على الطاقة الكهربائية. وقد أخفقت سلطة التحالف المؤقتة والإعلام العراقي المتاح في أن يفسر للرأي العام انعدام المصادر المالية، أو حقيقة أن كثيراً من النقود التي أنفقت بالفعل في العراق أتت من ٢,٤ مليار دولار اعتمدها الكونغرس الأمريكي. إن البطالة من الحدّة إلى حدّ أن نقابة للعاطلين قد شكلت، وتضم ٦٢ ألف عضو نشط في بغداد وحدها. وترى يومياً مجموعة تتظاهر في ميدان قريب من القصر الرئاسي الذي يقوم الآن بدور المقرّ الرئيس لسلطة التحالف المؤقتة، على الرغم من الشمس الحارقة ودرجات الحرارة التي تبلغ ١٢٠ درجة (فهرنهايت).

وحتى بالنسبة الى أولئك العراقيين الذي يتلقون أجوراً أو معاشات، فإن العملية مهينة ومنهكة. في بغداد يتعيّن على أعضاء الجيش العراقي الذي حُلّ أن يقضوا في طابور من الساعة السابعة صباحاً إلى الساعة السابعة مساءً أمام الموقع المهجور بلا مأوى لمطار المثنّى القديم. وخلال أيام متعاقبة كان الطابور يمتد الى عدة كيلومترات. ويتعيّن على السيدات المسنات أن يقفن في هذا الطابور أمام وزارات منهارة لقبض معاشاتهن، والعراقيون يرون في هذا الإغفال تحقيراً لهم.

وبينما وضع مجلس السلطة المؤقتة والقيادة العسكرية الأمريكية وشركة بيكتيل (Bechtel) وشركة «KBR» عقوداً فرعية لمشروعاتها لإعادة الإعمار، ثمة نقد على نطاق واسع للعملية التي تتم بها العقود الفرعية والتي يتم بها اختيار الشركات .**فهذه العملية تعد غامضة وسرية ومنحرفة لصالح نظام محسوبية .وثمة اتهامات بالاستبداد والفساد.** فالمعلومات لا تنشر أو لا تتاح بسهولة. ومعظم المتعاقدين الفرعيين العراقيين لا يدرون كيف يعرفون بأمر المشروعات والعقود الفرعية، والتصور السائد لديهم هو أن هذا أمر متعمد للسماح لسلطة التحالف المؤقتة ومقاوليها الأساسيين بإبرام صفقات من وراء أبواب مغلقة مع قلة مختارة. ويشكو كثيرون قائلين إن الشفافية والمساءلة هما حجري الزاوية للديمقراطية التي تزعم الولايات المتحدة انها تجلبها إلى العراق، ومع ذلك، فإن سلطة التحالف المؤقتة بأساليبها ذاتها في منح المزايا والعقود ليست شفافة ولا تخضع للمساءلة.

ويتعلق نقد متصاعد آخر بالشركات العراقية التي فازت أو تهيأت للفوز بعقود فرعية من «بيكتيل» و«كي. بي. آر.» وسلطة التحالف المؤقتة. وهذه الحفنة من رجال الأعمال، التي يطلق عليها من جانب كثيرين وصف «الرأسماليين البعثيين» أو «جمعية المستفيدين من العقوبات» هي نفسها التي كانت قد دخلت في شراكة مع نظام حكم صدام في عقدي الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي وأثرت بدفع الرشى الفاحشة نزولاً عند أهواء النظام وإملاءاته. وتنتصب بيوتهم المبنية بالرخام ـ التي شيّدت في عقد التسعينيات من القرن الماضي ـ في تناقض صارخ مع الإهمال العام حتى لمعظم الأحياء الراقية في بغداد. وبصفة خاصة، فإنه بينما انهارت أعمال وشركات أخرى بارزة في التسعينيات بسبب الخسارة المزدوجة التي نجمت عن الحرب العراقية ـ الإيرانية والعقوبات، فإن بعض الشركاء ـ في شراكة مع أو كواجهة لمسؤولين كبار ـ ازدهروا بالاتجار في ظل برنامج النفط مقابل الغذاء. وهكذا تمكنوا من أن يحاصروا الأسواق وأن يبنوا أرصدتهم المالية وتجهيزاتهم الرأسمالية، وقدراتهم في مجال الأعمال، وهم مهيأون للاستفادة مرة أخرى من الاتصالات والعقود الأمريكية. وثمة عامل زاد من تفاقم هذا الوضع هو أن هذه الشركات مملوكة كلها تقريباً للسُّنة، وهو استمرار لسياسة صدام التي قامت على تمكين السنة على حساب الشيعة.

ويخشى العراقيون ـ نتيجة للخصخصة الواسعة النطاق والسريعة على جدول أعمال سلطة التحالف المؤقتة ـ أن المجموعات الوحيدة التي ستكون لديها مصادر مالية

للاستفادة من الخصخصة ستكون تلك التي تواطأت مع النظام القديم وراكمت رأس المال في عقد التسعينيات من القرن الماضي. فسيكون هؤلاء قادرين على أن «يشتروا العراق كله». وعلاوة على هذا، يخشى العراقيون من العواقب السياسية لتركيز النفوذ الاقتصادي: فإذا ما استمرت المصادر الرأسمالية والمالية في التراكم في أيدي هذه المجموعات القليلة، فإنها ستصبح قادرة على ممارسة نفوذ سياسي والتأثير مادياً في الانتخابات القادمة وفي مقدرات العراق السياسية.

يقترح كثيرون من العراقيين نظاماً للتدقيق بالنسبة الى الشركات مماثلاً للتدقيق بشأن مسؤولي النظام القديم. وفي هذه العملية الرامية إلى «إزاحة الطابع البعثي عن الاقتصاد» يتعيّن أن يسأل رجال الأعمال وأن تسأل الشركات كيف كونت ثرواتها وكيف استطاعت أن تزدهر في تسعينيات القرن الماضي، ولماذا حصلت على هذا القدر الكبير من المعاملة التفضيلية من نظام صدام، ومن كان شركاؤها. ويعتبر أشخاص كثيرون هذه الشركات الغنية بمثابة أغنياء حرب ينبغي أن يعاقبوا لا أن يكافأوا.

٥ ـ العلاقات بين سلطة التحالف المؤقتة والعراقيين

يصف مصطلح «الاحتلال» ـ على قدر ما فيه من قبح ـ باقتدار العلاقة بين العراقيين والأمريكيين، على الرغم من حقيقة أن القوات الأمريكية أتت إلى العراق كمحرّرة لا كغازية. وهناك إحساس صريح جداً بالسلطة التي يتمتع بها الأمريكيون وانعدام الحيلة بين العراقيين.

إن من المفيد أن نتذكر أن الوجود الأمريكي في العراق ينقسم بين العسكريين والمدنيين. والمدنيون في الحقيقة (مقابل الوحدات العسكرية المنوط بها القيام بشؤون مدنية وليس شؤوناً أمنية) يقلّ عددهم عن ألف. والعراقيون لا يرون إلا الوجه العسكري من الاحتلال، في شكل دوريات عسكرية، أو دبابات، أو ناقلات جنود مدرعة، أو نقاط تفتيش، أو أولئك من الطواقم العسكرية (في ألبستهم العسكرية الرسمية) الذين يعملون مع المجالس المحلية وينفذون مهام أخرى ذات صلات مدنية. وتتباين معاملة العسكريين للعراقيين، إنما على وجه الإجمال تبقى معاملة سليمة من الناحية المهنية. مع ذلك، فإن ثمة **تقارير إخبارية عن معاملات فظّة، وبيوت تقتحم بلا اعتبار، وأملاك تكسر أو تحطم، بل إن ثمة تقارير عن سرقة نقود سائلة**. أحد الحوادث التي شوهدت من جانب الكاتبة رؤية العين، كانت حالة واضحة من ردّ الفعل المبالغ فيه: صحافي عراقي (ربما كان عراقياً ـ أمريكياً) كان يحاول تغطية مؤتمر صحافي، ولكنه وصل متأخراً. وبينما كان يحاول شرح أمره ليسمح له بدخول قاعة المؤتمر أحاطت به نصف دزينة من الجنود وطرحوه بالقوة على الأرض وأبقوه راقداً. وبينما كان الجنود يمسكون به لووا ذراعيه خلف ظهره وكبّلوه. وأجبر بعدها على السير معهم بعيداً عن الموقع، كل هذا وهو يصيح محتجاً بأنه صحافي وأن من حقه بالتالي أن يغطي المؤتمر. هذا الحادث الذي شهده كثيرون في القاعة خلق شعوراً سيئاً بين الصحافيين العراقيين ما كان يمكنهم اخفاؤه.

إن الغالبية الساحقة من العراقيين، بينما تشعر بعدم الارتياح لمرأى القوات الأمريكية، فهي تبدو في حالة تسليم بحقيقة وجود هذه القوات وقانعة بأن تترك لحالها، وهو شعور تبادلها إياه القوات الأمريكية. مع ذلك، فإن الهجمات على القوات الأمريكية قد استوجبت، وهذا أمر مفهوم، درجة أكبر من الحذر بين القوات الأمريكية، وخفضت مستوى التسامح. ونتيجة لهذا، فإنه حتى العراقيين الذي يتخذون موقفاً حيادياً، يتعرضون الآن لقيود وشكوك أشد. ويخلق هذا دائرة سلبية من الاستياء والعداء. وحقيقة أن المهمة الأولية للقوات الأمريكية هي ـ أو قد أصبحت ـ حماية النفس، تفضي إلى أوضاع أو مواقف يؤسف لها. وقد شاهدت الكاتبة جثة رجل قتيل في شارع رئيس من شوارع بغداد بالقرب من دبابة وقوات أمريكية، وحشد من العراقيين تجمعوا على الجانب المقابل من الطريق، ولم يكن ثمة دليل على أن القوات كانت تفعل أي شيء لحماية الجثة أو إزالتها. كان وضعاً خطراً يمكن أن يفجّر مواجهات.

من الناحية الأخرى، فإن المدنيين الأمريكيين نادراً ما يشاهدهم العراقيون العاديون. فهم منتشرون على نطاق واسع ويتحملون أعباء عمل ثقيلة بدرجة قاسية. أعدادهم صغيرة، ويتجمعون بصورة عنقودية، حيث لا يمكن الوصول إليهم الا في القصر الجمهوري أو في مركز المؤتمرات المجاور. ونادراً ما يحاول المدنيون الأمريكيون أن يغامروا بالخروج إلى المدينة، ومع تدهور الأحوال الأمنية فإنهم يخضعون لقيود متزايدة في تحركاتهم. إنه من المستحيل في الحقيقة على أي عراقي أن يقترب من القصر ما لم يكن وسط القلة المميزة التي تعمل لدى سلطة التحالف المؤقتة. والوصول إلى مركز المؤتمرات صعب ومرهِق وانتقائي، وفي كل الأحوال يتطلب انتظاراً طويلاً تحت الشمس والتعرض لعمليات تفتيش متعددة. إنها تجربة لا تبعث على السرور، حتى بالنسبة الى عراقي يجيء الى موعد مع مسؤول أمريكي في المركز. ويتجنب معظم العراقيين مهانة محاولة الدخول إلى أي من هاتين القلعتين الحصينتين.

ومن ثم، فإن معظم العراقيين لا يرون إلا الوجه السلطوي، والعقابي غالباً، للاحتلال الأمريكي. قليلون هم الذين يرون الجانب المتمدن والإنساني، فهو يبقى بعيداً وفي غير متناول أحد. إن الصورة العراقية عن الأمريكيين تتشكل بفعل ما يرون في الشوارع. مع ذلك، فإن ثمة إقراراً واسع الانتشار بأن العراق اليوم يعتمد اعتماداً كلياً بالنسبة الى استقراره على وجود القوات الأمريكية، وكثيرون من العراقيين مقتنعون بأنه لولا وجود القوات الأمريكية لانحدر العراق إلى حرب أهلية.

تجد المجموعات المعادية لأمريكا أنه من السهل استثمار إحباطات الناس، إذ توجد الآن سوق مزدهرة للوطنية وتيار تحتي من التخويف من أي شخص لا يعدّ وطنياً بدرجة كافية. وبطبيعة الحال، فإن الوطنية تقاس بالعداء لأمريكا. حتى رجل دين مثل مقتضى الصدر، وبرنامجه هو الشيعية والدين، يختار مهاجمة رجال الدين الآخرين والإسلاميين غيره، لا من ناحية نقص تقواهم أو عنفوانهم العقائدي، إنما على أساس تعاونهم مع «العدو» ضد المصالح الوطنية للعراق. ومن الأمور المفهومة

إن هذا يخلق مناخاً من الضغط النفسي الحاد على العراقيين الذين هم على استعداد للتعاون مع الولايات المتحدة.

إن واحدة من المشكلات الخطيرة التي تقوّض العلاقات العراقية ـ الأمريكية هي غياب المعلومات التي تصل إلى الجمهور العراقي عن سياسات سلطة التحالف المؤقتة وأهدافها ونشاطاتها. فالعراقيون يعيشون في الظلام. وتحلّ الشائعات وخرافات المدن محل الحقائق. وعلى سبيل المثال، فإن الولايات المتحدة لم تفسّر السبب في نقص الطاقة الكهربائية، بل في تدهورها بدرجة كبيرة في بغداد منذ حزيران/يونيو. ويذهب العراقيون إلى أنه ـ على رغم كل شيء قبل الحرب ـ كانت خطوط الهاتف تعمل والكهرباء كانت أكثر توفراً وليس أقل، والمحروقات كانت وفيرة وزهيدة الثمن. لقد فشلت سلطة التحالف المؤقتة في معالجة هذه الأمور ومثيلاتها بطريقة علنية منظمة، حتى تكون الأسباب واضحة (حتى وإن لم تكن مقبولة) للمواطنين العراقيين. وكما ذكرنا من قبل، فإن معظم العراقيين يعتقدون أيضاً بأن العراق غارق في النقود، وهم لا يدركون أن العراق هو في الحقيقة دولة مفلسة. لقد أخفق مجلس السلطة المؤقتة إخفاقاً مزعجاً في حملته لإعلام الرأي العام.

٦ ـ الحياة السياسية

إن السياسة المعلنة للولايات المتحدة هي دعم بناء الديمقراطية في العراق، وقد اعتُبر تعيين المجلس الحاكم في تموز/يوليو خطوة أولى في هذا الاتجاه.

مع ذلك، فحينما عيّنت سلطة التحالف المؤقتة مجلس الحكم، تبنّت مشروعاً للتمثيل النسبي الطائفي والعرقي، بدلاً من التمثيل السياسي. وهكذا شغل الشيعة نسبة ٥٠ بالمئة + واحد، أي ١٣ مقعداً من ٢٥ من مقاعد الممثلين؛ وشغل العرب السنّة والأكراد نسبة ٢٠ بالمئة أو ٥ مقاعد لممثلين لكل منهما؛ فأصبح هناك مقعد واحد لكل من المسيحيين والتركمان. ويخلق هذا أوضاعاً شاذّة مثيرة للاهتمام، مثل إدخال زعيم شيوعي في صفوف الشيعة. وكان هذا التوزيع العرقي والديني قد جرى تبنّيه في اجتماع المؤتمر الوطني العراقي (INC) في مدينة صلاح الدين في عام ١٩٩٢، وعلى الرغم من الدعوات إلى إقامة التمثيل العراقي على أساس الانتماء السياسي، فإن التوزيع العرقي والطائفي ظل ملحاً. وعندما عيّنت سلطة التحالف المؤقتة مجلس الحكم، تبنّت وأكدت هذه السمة للعملية السياسية. وقد تكرّر التقسيم العرقي والطائفي في تركيب الوزارات واللجنة التحضيرية للدستور، ولا شك في أنه سينتشر إلى المراتب الأدنى للحكومة.

وعند مستوى أخطر، **فإن نظاماً للحصص قائماً على الطائفة والعرق يقوّض الأمل بإنجاز مواطنة عراقية عامة بتأكيد الهوية الطائفية والولاء على حساب الهوية العراقية.** وخلال سنوات حكمه الخمس والثلاثين، وبالأخص منذ عقد الثمانينيات، نجح صدام بتجزيء المجتمع العراقي إلى هوياته المكوّنة وبقمع الطوائف المختلفة بصورة متناوبة. وهكذا ارتد العراقيون إلى ولاءاتهم الأولية: طائفتهم، عرقهم، قبيلتهم، مدينتهم.

والآن، فإن هذا النظام يستعاد وكل فرد يريد أن ينخرط في العملية السياسية يتعيّن عليه أولاً أن يعلن عن هوية عرقية أو طائفية أو على الأقل قبلية، وأن يلعب الورقة العرقية والطائفية. ولم يعد الإعلان عن «عراقية» المرء كافياً: **على المرء أن «يعلن» عن هوية طائفية. وهذا يضع العراق تماماً على طريق اللبننة، وهو احتمال (يُزعَم أن السياسيين العراقيين يشجبونه) يحمل في طياته بذور أخطار مستقبلية جسيمة على العراق.** والحقيقة أن الانقسام الطائفي والعرقي يلوح بالفعل في مجلس الحكم، خاصة في ما يتعلق بمسألة العلاقة بين الدين والدولة، وهي مسألة خلافية. فالسنّة في مجلس الحكم مهتمون بالدعوة إلى فصل الدين عن الدولة لدوافع طائفية قصوى خاصة بهم.

ومن أجل تكرار نظام الحصص في تشكيل مجلس الحكم زيد عدد الوزارات إلى ٢٥. وقد أتاح هذا أيضاً لكل عضو في مجلس الحكم أن يعيّن أحد الموالين في مركز وزاري. وقد **ظهر انتقاد بالمحاباة في تعيين الوزراء، والحقيقة أن بعض الوزراء هم ذوو صلات عائلية بأعضاء مجلس الحكم.** ومن بين الوزارات الخمس والعشرين وصفت أربع بأنها وزارات «سيادية»: الداخلية، والشؤون الخارجية، والنفط، والمالية. وقد خصصت اثنتان منها للشيعة، وواحدة للأكراد وواحدة للسنّة. لهذا، فإنه إذا تبين ـ على سبيل المثال ـ أن مسيحياً هو المرشح الأكثر تأهيلاً لوزارة المالية (وهي واحدة من الوزارات السيادية) سيكون من المستحيل تعيينه (ويتناقض هذا تناقضاً صارخاً ومثيراً للسخرية مع الوزارة الأولى في العراق في أوائل عشرينيات القرن الماضي، حينما كان أول وزير للمالية يهودياً عراقياً). وقد دار لغط كثير حول من يحصل في مجلس الحكم على أية وزارة، وبينما تعتبر المساومات والحلول الوسط جزءاً لا يتجزأ من الديمقراطية، فإن هذه كانت مساومة على مخصصات ومناصب عرقية وطائفية.

وبالمثل، فإن اللجنة التحضيرية للجمعية التأسيسية مؤلفة أيضاً من ٢٥ عراقياً (كلهم رجال) عينهم مجلس الحكم، وهو يكرر التقسيم العرقي والطائفي لهذا المجلس. ونظراً لأن العملية الدستورية والدستور نفسه سيكونان نسيج التطور والاتجاه السياسيين لمستقبل العراق، فإن تركيب الهيئات التي تتعامل مع الدستور هو أمر أكثر حرجاً حتى من تركيب الوزارات. إن الأساس الطائفي والعرقي للعملية السياسية في العراق وتسيّد نظام الزبائنية يتناقضان مع إقامة ديمقراطية في عراق قائم على مواطنة عراقية عامة ومتساوية. وكما في لبنان، فإنه يمهّد الطريق لانقسام في المستقبل ولتدخل قوى خارجية، وهذان خطران يهدّدان العراق الذي لا يزال مستهدفاً وغير مهيأ لمواجهتهما. إن العملية الدستورية الآخذة بالتشكل سترسخ ـ على الأرجح ـ الطبيعة المختلّة لهذه العملية السياسية. وما لم يتمّ التصدي لهذا التيار بظهور أحزاب سياسية وطنية يمكن الاعتراف بها، وخاصة من جانب الوسط الديمقراطي، تكون الآفاق محدودة أمام ديمقراطية حقيقية.

منذ نيسان/أبريل الماضي تشكلت قرابة ٧٠ مجموعة سياسية جديدة في العراق، بالإضافة إلى المجموعات السياسية التي كانت قد تشكلت في الخارج قبيل سقوط نظام

حكم صدام حسين (مثل المجلس الأعلى للثورة الإسلامية (SCIRI) والمؤتمر الوطني العراقي (INC)). مع ذلك، فإن المشهد السياسي في العراق يعرقله عدد من الانتكاسات. وكبداية، فإن تكوين حزب سياسي، حتى بالنسبة الى المجموعات القديمة (برنامج سياسي معلن، واستراتيجية معلنة، ودائرة انتخابية، وانتخاب قيادات ... إلخ) لا يزال مشروعاً غير مكتمل. ومع استثناءات قليلة **ليست الأحزاب السياسية شيئاً أكثر من مجموعات من الموالين تتحلق حول شخصية قيادية، ولا وجود لهيكل تنظيمي حقيقي. ونظراً لاحتمال أن تجري انتخابات خلال عام واحد أو أقل، فإن غياب أحزاب منظمة سيكون عقبة أمام خلق حياة سياسية ديمقراطية.**

ثانياً، إن المجموعات السياسية العربية الوحيدة التي تملك قدرات تنظيمية وتعبوية هي مجموعتا الإسلاميين والبعث الجديد. هاتان وحدهما تملكان القدرة المؤسسية، والشبكات (عبر الجوامع ورجال الدين في حالة، وعبر الخلايا وإطارات الحزب القديمة في الحالة الأخرى)، والأنظمة القيادية التراتبية (رجال دين وقادة خلايا) لصياغة رسائل سياسية، والوصول إلى داعمين، وتعبئة مواطنين وإطلاق طاقاتهم. بالإضافة إلى هذا، يبدو أن هذين القطاعين يملكان من الأموال ما يكفي لتشغيلهما، وباستطاعتهما أن يعتمدا على دعم خارجي. وعلى النقيض من هذا، فإن الوسط الديمقراطي، الذي يمكن ـ على الأرجح ـ أن يجذب غالبية السكان، لا يملك ببساطة المؤسسات أو القدرة التنظيمية لتعبئة الجماهير. فهو لم يلتئم شمله معاً كقوة اجتماعية وسياسية، وقد أخفق في تفصيل ونشر رؤية واضحة للمستقبل. ومرة أخرى، فإنه مع قرب موعد إجراء انتخابات، سيجد الوسط الديمقراطي من الصعب عليه أن يتنافس مع الإسلاميين والبعث الجديد، كما سيجد أنه يخاطر بأن تتغلب عليه هاتان الجماعتان الأفضل تنظيماً وتمويلاً.

وفي ما يتعلق بمشاركة النساء في العمل السياسي، فإنها ضعيفة. ولا يوجد في مجلس الحكم سوى ٣ نساء من مجموع أعضائه الخمسة والعشرين، أي أقل من ١٥ بالمئة. ولا توجد سوى وزيرة واحدة (سبق أن شغلت منصب وزيرة للأشغال العامة في حكومة أربيل) في المجلس الوزاري الجديد الذي عيّن أخيراً. ولا توجد نساء في اللجنة التحضيرية للدستور. وفي بلد تمثل فيه المرأة ـ على الأرجح ـ نسبة ٦٠ بالمئة من السكان، وحيث النساء يحصلن على درجات جامعية وينخرطن في قوة العمل منذ أربعينيات القرن العشرين، فإن هذه انتكاسة ضخمة. وعلى الرغم من أن كثيراً من التنظيمات النسائية قد شكّل، إلا أنها لم تكتسب حتى الآن أي نفوذ في أي من المضمارين السياسي أو الاجتماعي. ومرة أخرى، فإنه مع التخطيط لعقد انتخابات في المستقبل القريب لا تملك النساء قدرة تنظيمية على القيام بحملات انتخابية والمنافسة على منصب. وإذا ما تمّ تعيينهن في أية مناصب على الإطلاق، لا بد من أن يكون هذا عن طريق الاستغناء عن سياسيين من الرجال.

وعلى الرغم من السياسة الأمريكية المعلنة لدعم بناء ديمقراطية في العراق، فإن مبالغ تافهة من المال فقط قد خصصت وأنفقت لدعم عملية الدمقرطة. لقد منحت

مبالغ ضئيلة جداً لتقوية المنظمات غير الحكومية العراقية ولمؤسسات المجتمع المدني، ولم يمنح شيء منها لبناء مجموعات مراقبة ونشر، وهذه جوهرية لدعم الحكم الصالح، ولحماية الحقوق. ولم تعتمد أية أموال على الإطلاق للتربية الديمقراطية والتربية المدنية، هذا في وقت يتوقع فيه الناس أن يصوّتوا على دستور في استفتاء عام. إن من الضروري ـ في أي اعتماد جديد لأموال في العراق ـ أن تخصص مبالغ كبيرة لبرامج تبنّي الديمقراطية سواء على مستويات المؤسسات أو القواعد الشعبية.

٧ ـ العملية الدستورية

إن كتابة دستور عراقي جديد هي الجهد الأكثر أهمية ـ الذي يلي استعادة الأمن ـ الذي سيواجهه العراقيون في الشهور المقبلة، وسيضع الأساس لنظام سياسي واجتماعي جديد. مع ذلك، فإن هذه المهمة تعوقها بالفعل المشكلات نفسها التي ظهرت في العملية السياسية حتى الآن.

لقد دعا آية الله سيستاني، المرجع الشيعي الأعلى، إلى إجراء انتخابات لتكوين جمعية تأسيسية لكتابة الدستور. ويدرك أعضاء مجلس الحكم ـ بمن فيهم الإسلاميون ـ أن هذه الدعوة غير عملية في الوقت الحاضر، وقد حاولوا تجنب أو «تأويل» هذه التوصية بتعيين لجنة تحضيرية للتوصية بآلية لاختيار الجمعية التأسيسية. وبصدد هذه النقطة، فإن مجلس الحكم ـ وامتداداً له اللجنة التحضيرية التي عيّنها ـ تتجاذبهما مصالح متعارضة بشأن مسألة انتخاب جمعية تأسيسية. فمن ناحية، ستطيل الانتخابات هذه العملية، الأمر الذي يسمح لمجلس الحكم بأن يطيل فترة صلاحيته ويعزّز مركزه في السلطة، ولكنه قد يكشف ضعفه. ومن الناحية الأخرى، يرغب مجلس الحكم في أن يكسب الرأي العام بتسريع عملية خلق حكومة منتخبة، معلناً العودة إلى السيادة، ومنهياً الاحتلال. وسيكون من المثير للاهتمام أن نرى التوازن الذي سيقيمه مجلس الحكم بين هذه المصالح المتنافسة.

كيف سيتم اختيار الجمعية التأسيسية، ما هي امتيازاتها، ومن الذي سيتولى فعلياً صياغة الدستور؟ هذه لا تزال أسئلة معلقة، ولكن نظراً للصيغ التي تحددت بخلق مجلس الحكم، فإن المرجح أن تحذو الجمعية حذوها، على نحو ما فعل المجلس الوزاري. فسوف يحدّد تكوين الجمعية التأسيسية ولجنة الصياغة المسائل الدقيقة بشأن مستقبل الديمقراطية في العراق. وهي ستقرر نظام الحكم، وطبيعة التمثيل وتعريف المواطنة وحقوقها، والحقوق المدنية وحدود سلطة الحكومة، وسلطات الهيئات الإقليمية، وحقوق وحدود حرية الكلام وما إلى ذلك.

إن الموضوعين الأكثر أهمية والأكثر إثارة للجدال اللذين ستتعرض لهما الجمعية التأسيسية هما مسألة العلاقة بين الدولة والدين ومسألة الفدرالية. وحول مسألة دور الدين، فإن المناقشة ستدور بين أولئك الذين يودّون أن يروا دوراً قوياً للدين وقوانين الشريعة بوجه خاص، في تحديد التشريع وتنظيم شؤون المجتمع، وأولئك الذين يريدون

أن يُبقوا على الدولة خارج الشؤون الدينية. أما بشأن الفدرالية، فإن المناقشة ستكون بين الأكراد الذين يريدون أن يروا فدرالية قائمة على هوية عرقية وغيرهم ممن يريدون فدرالية مبنية على وحدات من الأراضي (إقليمية). ومن الأمور القابلة للتصور، لتجنب حالة استعصاء ممكنة، أن تعقد صفقة بين المتشدّدين من الجانبين: عرض بقيام اتحاد فدرالي مبني على أساس عرقي بين العرب والأكراد، مقابل مُدخل ديني قوي في شؤون الجانب العربي من الاتحاد. وثمة موضوع ثالث يمكن أن ينطوي على نزاع، هو اقتراح إقامة نظام حصص عرقية/طائفية للحكومة، يحذو حذو السابقة التي وضعت في تشكيل مجلس الحكم والوزارات. وفي كل الأحوال، وفي المدى الذي به تحدّدت حتى الآن الترتيبات السياسية بفعل القوى صاحبة السلطة على مجلس الحكم، فإن هذه القوى ستؤثر بقوة أيضاً في نتيجة العملية الدستورية والشكل الذي سيكون عليه الدستور الجديد.

٨ ـ الوسائط العامة للمعلومات والإعلام

المعلومات العامة ناقصة في إمداداتها في العراق، والإعلام لا يستفاد به بدرجة كافية. ونتيجة لهذا يعيش معظم العراقيين في الظلام. يتغذّون على شائعات وخرافات المدن. ومع انتشار الأقمار الاصطناعية تحول الناس نحو مشاهدة قنوات الجزيرة والعربية وأبو ظبي والعالم (وهذه محطة تلفزيونية إيرانية ناطقة بالعربية) ـ للاستماع إلى الأخبار عن العراق.

والمعلومات من سلطة التحالف المؤقتة محدودة، على أقل تقدير. ولا يملك العراقيون معرفة ـ أو فهماً ـ للنشاطات أو السياسات والإنجازات أو التحديات التي تواجه سلطة التحالف المؤقتة أو مجلس الحكم. الناس في مدينة ما ليست لديهم أدنى فكرة عما يجري في المدن والبلدات الأخرى في العراق. القواعد واللوائح التي تؤثر في حياة الناس لا تنشر على نطاق واسع، ما يؤدي إلى التباس عام. قليلون جداً من العراقيين يعون مدى ضآلة ما يملكه العراق من نقود. كثيرون يعتقدون أن أرصدة العراق المجمدة في الولايات المتحدة هائلة، ولا تحتاج إلا لأن تطلق سراحها الحكومة الأمريكية. المعلومات عن توزيع المرتبات ومعاشات التقاعد هي أيضاً نادرة، حتى بالنسبة الى أولئك المعنيين بها. لا توجد معلومات عن السبب في أن بغداد تعاني نقصاً في الكهرباء، وبعض البغداديين يعتقد أن التحالف إنما يعاقبهم.

في حزيران/يونيو الماضي اقترحت مجموعة من المهنيين العراقيين ـ من أجل مواجهة هذا النقص الخطير في المعلومات ـ أن تعقد سلطة التحالف المؤقتة مؤتمراً صحافياً يومياً في موعد يحدّد سلفاً، لإعطاء موجز عن أحداث اليوم المهمة وإجابات عن الأسئلة. واقترح ـ بالإضافة إلى هذا – أن تذاع هذه الإفادات الصحافية على محطة التلفزيون العراقية الوحيدة «الشبكة الإعلامية العراقية» (Iraqi Media Network). ومن شأن هذه الإفادات المذاعة تلفزيونياً أن تضمن جمهوراً من ٢٤ مليون عراقي.

كذلك، فإن مجلس الحكم لم يقم بوظيفته على نحو أفضل في ما يتعلق بتوفير

المعلومات للرأي العام. لقد أخفق مجلس الحكم في توفير معلومات في وقتها ودقيقة عن نشاطاته ومداولاته لرأي عام لديه شغف بأن يعرف. ولم يعط سلطة التحالف المؤقتة ولا مجلس الحكم معلومات عن إنتاج العراق من النفط وإيراداته، أو عن نشاطات إعادة الإعمار، أو السياسات الاقتصادية أو غير ذلك من المعلومات ذات الصلة التي يملك الرأي العام العراقي حقاً في أن يتمّ إعلامه بشأنها. وفي بيئة من التوقعات القلقة والإحباطات المؤسفة، فإن الحاجة إلى الاتصال وإلى معلومات نزيهة هائلة، والحفاظ على تدفق الاتصال، هي عامل جوهري في بناء الثقة وكسب الدعم من السكان. لقد تردّد في الأخبار بالفعل الكثير بشأن إخفاق محطة تلفزيون «الشبكة الإعلامية العراقية» ومحطتي الإذاعة المرتبطتين بها في الصعود إلى مستوى احتياجات البلد. وحتى الآن، فإن الأنباء الطيبة هي أن هذه المحطة ليست تحت سيطرة مجلس الحكم أو أية وزارة. مع ذلك، فإن مجلس الحكم يسعى لتكون له مسؤولية الإشراف على «الشبكة الإعلامية العراقية».

وبينما تحسّن التلفزيون والإذاعة منذ حزيران/يونيو، فإنهما يظلان ضعيفين. وفي وقت يمر فيه البلد بهبّة اجتماعية واقتصادية، والناس بحاجة إلى معلومات وإلى مناقشة وفهم، فإن معظم وقت التلفزيون مكرّس لترفيه من الدرجة الثالثة، بما في ذلك المسلسلات الدرامية العربية وشرائط الفيديو الموسيقية ذات النوعية الرديئة. إن أحد الأسباب هو النقص المزمن في الأموال للشبكة الإعلامية العراقية، التي يتعيّن عليها أن تتصارع مع انعدام الكفاية والتجهيزات القديمة، ونقص طواقم الأفراد المؤهلين. مع ذلك، فإن المشكلة ليست مالية أو تقنية على سبيل الحصر. إن برمجة الشبكة الإعلامية العراقية تملأ الوقت فحسب بما هو تحت يدها. والشبكة تفتقر إلى رسالة وتركيز متماسكين، وليست لديها استراتيجية موجِّهة. وحقيقة كونها تحت سيطرة الحكومة لا تعني أنها ينبغي أن تكون بلا أهداف سياسية أو اجتماعية. وسواء كان النموذج الذي تحتذي به هو «هيئة الإذاعة البريطانية» ((BBC)) أو «الخدمة الإذاعية العامة» (Public Broadcasting Service) الأمريكية). أو التلفزيون التجاري، فإنه يتعيّن على المحطة أن تهتدي بفلسفة ما وأن تكون لها استراتيجية لتحقيق أهدافها. وفي المناخ الحالي السائد في العراق، فإن هدف الحدّ الأدنى يمكن أن يكون تزويد الرأي العام بالمعلومات بأتم صورة ممكنة ودعم الوعي العام.

ولكي تحقق «الشبكة الإعلامية العراقية» هذا الهدف المحدود، لا يتطلب الأمر مجرد مصادر وخبرات تقنية، بل يتطلب أيضاً قيادة فكرية تستطيع أن تشكل رسالة وأن تضع استراتيجية. وتحتاج الشبكة الإعلامية العراقية ـ على الأقل ـ إلى مجلس محافظين مستقل ليضع الأهداف والاستراتيجيات التي تتلاءم مع احتياجات البلد، وإلى قيادة قوية تترجم الأهداف والاستراتيجيات إلى برامج ذات محتوى ثري.

٩ ـ مؤشر الحرية

بوجه عام، فإن مؤشر الحرية مرتفع نسبياً. في آب/أغسطس الماضي كانت ١٦٧

صحيفة ومجلة تنشر في العراق (مقابل ٣٠ في حزيران/يونيو)، وهناك أكثر من ٧٠ حزباً سياسياً، بعضها لا يتجاوز عدد أعضائه عدد أصابع اليد الواحدة، ما يعبّر عن مدى واسع من الآراء السياسية (أو عن عدم وجودها بتاتاً). كذلك، فإن مجموعات نسائية كثيرة وعشرات من المنظمات غير الحكومية قد تشكلت، بما فيها مجموعات لحقوق الإنسان تحقق في جرائم نظام حكم صدام. وعقدت الروابط المهنية القديمة انتخابات، وظهرت روابط جديدة، تغطي كل مهنة وكل مصلحة خاصة يمكن تصورها. وفي بعض الحالات، هناك تعدد في المنظمات المعنية بموضوع واحد. وباستطاعة الناس أن يتظاهروا بحرية وأن يفعلوا هذا بصفة خاصة للاحتجاج على سلطة التحالف المؤقتة. وحرية العبادة لا يعوقها شيء.

تتمتع الصحافة المطبوعة بحرية غير مسبوقة، ولكنها تتوخى الحذر في خطابياتها. وفي الوقت الحاضر، فإن حرية الصحافة يمكن أن تعزى إلى غياب الحكومة، ومن ثم إلى عدم وجود لوائح مقيِّدة. ولم تقع محطة التلفزيون الوحيدة ومحطتا الراديو تحت سلطة مجلس الحكم. وبينما لا توجد وزارة للإعلام، فإن من السابق لأوانه التخمين بما إذا كانت أية قيود ستفرض على الوسائط الإعلامية.

على النقيض من ذلك، فإن **النظرة العامة الى الحريات الشخصية ليست براقة**، خاصة بالنسبة الى النساء. فكما ذكرنا المشاركة السياسية للنساء لا تكاد تذكر. وهناك ضغط قوي على النساء لارتداء الحجاب. وقد أعلن أحد الشعارات الملونة المكتوبة على الجدران في حرم إحدى الجامعات «أن إمرأة غير محجبة هي إمرأة فاسقة». وبينما لا يؤدي هذا إلى إجبار أية طالبة أنثى على ارتداء الحجاب، إلا أنه يخلق بيئة من الترهيب والخوف. وقد أدت أعمال اختطاف الشابات وحالات الاغتصاب إلى الحدّ بدرجة قاسية من حرية الحركة بالنسبة الى النساء، وغالباً ما تُمنع الفتيات من الذهاب إلى أي مكان من دون صحبة رجل. وفي البصرة، وهي تقليدياً مجتمع مفتوح وتعددي، وصل الضغط الديني إلى حدّ أنه ليس باستطاعة إمرأة أن تخرج بلا حجاب، بما في ذلك النساء المسيحيات. ولقد هزم ـ لحسن الحظ ـ اقتراح بفرض حظر على الطالبات من دخول فصول مناهج التربية البدنية في الجامعات، وسيعرض بدلاً من ذلك الفصل بين الجنسين في فصول التربية البدنية.

لقد فرض المتطرفون الدينيون قيوداً أخرى. ووقعت هجمات على المحال التي يملكها مسيحيون والتي تبيع الخمور علناً، وبعضها أضرمت فيه الحرائق. كذلك، فإن بعض المجموعات وزعت منشورات ضد أصحاب المحال الذين يبيعون الأقراص المدمجة (C. D.) وشرائط الفيديو، وأمرت بفرض حظر على بيع أية تسجيلات عدا الدينية منها. وقد تعرّض المانداثيون – وهم أقلية دينية عاشت في سلام في جنوب العراق منذ العصور القديمة ـ للاستهزاء وشجبوا باعتبارهم من أتباع الشيطان. ويفرض مثل هذا الترهيب والتهديد خطراً حقيقياً على الحريات الفردية، وفي غياب قوانين للحماية أو عواقب لذلك، فإن الأرجح أن تتصاعد □

هل المشكلة صورة أمريكا... أم استراتيجيتها؟

تقديـم

ثمة دلائل كثيرة على أن النخبة الحاكمة الأمريكية ـ الإدارة ومراكز الدراسات التي تمدها بالأفكار في صورة خطط أحياناً وتوصيات أحياناً أخرى ـ تبدي هذه الأيام اهتماماً فائقاً بمشكلة «صورة أمريكا في الخارج». والتركيز في هذا الوقت بالذات هو على صورة أمريكا في «العالم العربي والإسلامي».

لكن هذا الاهتمام يبدو دائماً في صورة رغبة في تحسين «صورة أمريكا» دون تغيير جوهري، بل حتى دون تغيير جذري، في السياسات الأمريكية المنتهجة تجاه العرب والمسلمين وقضاياهم وطبيعة نظرة أمريكا إلى أولئك وهؤلاء.

هذا ما يكشف عنه تقريران مقدمان من اثنين من أبرز مراكز البحث الأمريكية وأكثرها نفوذاً في صانع القرار الأمريكي، وتقدم **المستقبل العربي** في ما يلي ترجمة «الملخص التنفيذي (Executive Summary) لكل منهما وتوصياتهما إلى الإدارة الأمريكية بدون تصرف. موضوع واحد يجمع التقريرين هو «الدبلوماسية العامة» الأمريكية وحاجتها إلى استراتيجية جديدة في «العالم العربي والإسلامي» من أجل تحسين صورة أمريكا ـ حسب تعبير أولهما ـ ومن أجل «كسب عقول» العرب والمسلمين، حسب تعبير التقرير الثاني.

التقرير الأول صنعته «قوة مهام» (Task Force) مستقلة في إطار مجلس العلاقات الخارجية الأمريكي في نيويورك بعنوان: «العثور على صوت لأمريكا: استراتيجية لإعادة تنشيط الدبلوماسية العامة الأمريكية» (Finding America's Voice: A Strategy for Reinvigorating U.S. Diplomacy) تمّ نشره في أيلول/سبتمبر ٢٠٠٣.

والتقرير الثاني وضعته «المجموعة الاستشارية بشأن الدبلوماسية العامة للعالم العربي والإسلامي» في واشنطن بعنوان: «تغيير العقول لكسب السلام» (Changing Minds, Winning Peace)، وقد رأس هذه المجموعة دبلوماسي أمريكي مخضرم هو إدوارد جيريجيان مساعد وزير الخارجية الأسبق لشؤون الشرق الأوسط، وكان قبل ذلك سفيراً لأمريكا لدى كل من تل أبيب ودمشق. أما تاريخ نشر التقرير فهو ٢٠٠٣/١٠/١.

أهم ما تدل عليه توصيات التقريرين اللذين يتوجه أولهما إلى الإدارة وثانيهما إلى الكونغرس أمران: **الأول** أن ثمة إدراكاً كافياً لمدى تردي الصورة الأمريكية في العالم العربي والإسلامي، **والثاني** ـ وهو أهم ـ أن ثمة اعتقاداً لدى صانعي الأفكار الأمريكيين بأن الأمر يتعلق فقط بأسلوب عمل أجهزة «الدبلوماسية العامة» أكثر مما يتعلق بالاستراتيجية العسكرية أو سياسات أمريكا وعلاقاتها الخارجية مع هذا «العالم».

إن كلا التقريرين يكشف عن اقتناع قوي بأن صورة أمريكا الملطخة هي نتاج دعاية معادية شريرة وليست نتاج استراتيجية أمريكية عدوانية أو مطامح امبريالية (...).

المستقبل العربي

التقرير الأول

العثور على صوت لأمريكا: استراتيجية لإعادة تنشيط الدبلوماسية العامة الأمريكية(*)

بيتر بيترسون ـ ديفيد إي. موري
كاتي بلومغارون ـ شبلي تلحمي
هنري غرونوالد ـ جنيفر سيغ
شيرون هيربستمان

تعاني الولايات المتحدة من مشكلة آخذة في النمو. فاستطلاعات الرأي العام تردد أصداء ما يرى في الافتتاحيات والعناوين الرئيسة الأجنبية، وفي المناقشات القانونية وفي التقارير التي تصدر عن اجتماعات شخصية ومهنية. العداء لأمريكا هو سمة ثابتة للرأي السائد على نطاق واسع بين الجماهير والنخب حول العالم. استطلاع أجرته صحيفة **تايمز** اللندنية، وقد أجري قبيل حرب العراق مباشرة، وجد المستجيبين منقسمين بالتساوي حول من يشكل خطراً أكبر على السلام العالمي، الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش أو الرئيس العراقي (آنذاك) صدام حسين. في الوقت ذاته اجتذبت الاحتجاجات الأوروبية المناهضة للحرب ملايين من الناس. وخاض زعماء وطنيون عديدون الانتخابات بنجاح على أساس برامج انتخابية معادية لأمريكا. والأمريكيون، في الداخل وفي الخارج يواجهون مخاطرة مستمرة من التعرض لهجوم مباشر من جانب أفراد وجماعات صغيرة أصبحت تحتكم الآن إلى قوة تدميرية أكبر. ويتصل مقدار السخط في العالم اتصالاً مباشراً بمقدار الخطر الذي يواجهه الأمريكيون.

والأمر الأكثر مدعاة للمفاجأة، هو مدى السرعة التي تحول بها تيار التعاطف. ففي أعقاب ١١ أيلول/سبتمبر مباشرة تدفقت على الولايات المتحدة عواطف دافقة عما وصفه المستشار الألماني غيرهارد شرودر بأنه «تضامن غير مشروط». وأعلنت صحيفة **لوموند** الفرنسية على غلافها «كلنا أمريكيون»، وفي تحرك غير عادي استدعى أعضاء

(*) ملخص تنفيذي لتقرير أصدرته مجموعة عمل مستقلة برعاية مجلس العلاقات الخارجية (الأمريكي). وتكونت المجموعة من: بيتر بيترسون (رئيساً)، وكاتي بلومغارون، وهنري غرونوالد، وديفيد إي. موري، وشبلي تلحمي (رؤساء لجنة العمل) وجنيفر سيغ مديرة المشروع، وشيرون هيربستمان منسقة المشروع.

حلف شمال الأطلسي المادة الخامسة من معاهدة الدفاع المشترك بينهم، واتفقوا على أن أي هجوم ضد الولايات المتحدة هو هجوم ضد الجميع.

لقد تغير الكثير. ما بدا في ١١ أيلول/سبتمبر أنه مشكلة صورة أمريكا في العالم الإسلامي نما ليصبح مسألة أضخم. من باريس إلى القاهرة، من بون إلى عمان، من مدريد إلى موسكو إلى اسطنبول وجاكارتا، يعارض المواطنون العاديون بنشاط قرارات السياسة الأمريكية الأساسية. وقد تبين لمسح مستقل أنه في سبع دول من ثمانٍ أجريت فيها استطلاعات، تعتقد كثرة على الأقل أن للسياسة الخارجية الأمريكية أثراً سلبياً في بلدهم(١).

إن التحديات التي نتجت بالنسبة للدبلوماسية الأمريكية بينما الزعماء يستجيبون للرأي الشعبي، من إحباط الوصول إلى القواعد العسكرية في تركيا إلى عدم قدرة الولايات المتحدة على جمع تأييد في مجلس الأمن القومي من أجل تحرير العراق، هي تحديات خطيرة وعواقبها حقيقية.

لقد اتخذ الرئيس، والإدارة، الخطوات الأولى لتناول هذه المشكلة عن طريق تحسين الدبلوماسية الأهلية لبلدنا ـ أي البرامج والجهود الرامية إلى شرح ـ والدفاع عن ـ القيم والسياسات الأمريكية للرأي العام الأجنبي مباشرة. وفي حين اتخذت فعلاً خطوات مشجعة قليلة، فإنه يتعين على الإدارة أن تفعل ما هو أكثر، وأن تفعل هذا على وجه السرعة. لقد أدى العجز عن التوصل إلى اتفاق بشأن الحرب في العراق إلى إطلاق سخط عارم فاقم خلافات سياسية وثقافية مع أقرب حلفائنا.

تعاني أمريكا مشكلة خطيرة في صورتها الخارجية. لقد تدهور الرأي العالمي بشأن الولايات المتحدة بصورة خطيرة. وكثيرون في أنحاء العالم، من أوروبا الغربية إلى الشرق الأقصى، يرون الولايات المتحدة كبلد متغطرس، منافق، تستوعبه ذاته، مستغرق في ذاته، ويحتقر الآخرين. الثقافة الأمريكية، وكذلك اللغة والصناعة تهيمن على الساحة العالمية على نحو يجده كثيرون لا يدعو إلى الارتياح.

وبينما لا يفكر أحد أن ثمة خلافات جوهرية بين الولايات المتحدة والدول الأخرى في السياسة والمواقف، فإن كثيراً من أشد الأفعال الأمريكية إثارة للجدال كان يمكن أن تولد عنها قدراً أقل من التطاحن لو أنها قدمت تقديماً أفضل. فمن الرفض الصريح لمعاهدة كيوتو بشأن تغيير المناخ إلى ما يبدو رفضاً للمحكمة الجنائية الدولية، تبدو الولايات المتحدة ناقدة نزّاعة إلى العرقلة وليست ناقدة بناءة. والأفضل كثيراً أن تكون لها

---

(١) مركز بيو لبحوث الشعب والصحافة (Pew Research Center for the People and the Press). استطلاع أجري في آذار/مارس ٢٠٠٣ بناء على استقصاء ما بين ٥٠٠ و١٠٠٠ من البالغين في بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا وبولندا وروسيا وتركيا. وكان هامش الخطأ ما بين ٣ و٥ نقاط بالمئة صعوداً أو هبوطاً.

مقاربة مختلفة: مقاربة تحبّذ المشكلات حيثما أمكن والابتعاد عن طاولة التفاوض فقط كخيار أخير ودائماً مع تفسير جيد لأفعالنا.

أفضل من هذا بدرجة كبيرة أن نقوم بعملية مختلفة: عملية يكون من شأنها أن تنتج اقتراحاً أمريكياً بإصلاح عيوب معاهدة كيوتو (أو على الأقل رصدها) وليس جعل الولايات المتحدة متصلبة بشأن ارتفاع الحرارة العالمي ورافضة لعشر سنوات من العمل الذي قام به ١٦٠ بلداً والذي صب في هذا الاتفاق. وكان باستطاعة واشنطن أيضاً أن تجد طريقة أفضل لمفصلة الشواغل مع المحكمة الجنائية الدولية بدلاً من الاكتفاء بالانسحاب وإظهار عدم اهتمامها.

إن الغضب وسوء الفهم العميق تجاه أمريكا أوضح ما يكونان في الجزء من العالم حيث توجد مشاعر متفاقمة بالظلم موجهة ضد الولايات المتحدة ولا بد من النظر إليها في سياق انحدار ويأس وإحباط ومهانة وغيرة، خاصة في وجه ثراء أمريكا غير المسبوق ـ والواضح للغاية ـ مع ما هو مزعوم من انعدام التعاطف لديها. **إن واحداً من أكبر التحديات التي تواجهها الولايات المتحدة الآن في العالم العربي هي إدراك أن أمريكا في آن واحد تدعم نظماً حاكمة غير ديمقراطية وتدعم إسرائيل عن غير حق مع لامبالاة إزاء معاناة الفلسطينيين وإذلالهم.** كلا هذين التصورين مصدر توتر مستمر للعالم العربي، وكلاهما مثلان على أن السياسة والدبلوماسية العامة متداخلان بصورة لا يمكن فصلها.

. لماذا ينبغي أن تعنى الولايات المتحدة بما إذا كانت محبوبة أم لا؟ لأننا ـ في هذه اللحظة من قوتنا في اقصاها ـ مستهدفون. والعداء لأمريكا يهدد أمننا القومي ويشل فاعلية دبلوماسيتنا، الولايات المتحدة ليست فقط معرضة لمخاطر زائدة من وقوع هجوم مباشر من جانب أولئك الذين يكرهونها أكثر من غيرهم، بل لأنه يصبح من الصعب أكثر وأكثر على أمريكا أن تحقق مطامحها الطويلة الأجل بينما هي تخسر أصدقاءها ونفوذها. وتصبح الولايات المتحدة ـ بمكانتها على هذا القدر من القوة ووحدها ـ بمثابة مانع الصواعق تتلقى مخاوف العالم وازدراءه للحداثة واللامساواة والعلمانية والعولمة.

إن الولايات المتحدة تواجه تحديات كبرى في الخارج: تحويل العراق إلى مكان أفضل وأكثر أماناً، لعب دور في أفغانستان، محاربة الشر العالمي للإرهاب، ومواجهة مخاطرة تجدد الصراع في شبه الجزيرة الكورية. وليست هذه معارك يمكن الفوز فيها بالقوة العسكرية وحدها، ولا يمكننا الفوز فيها وحدنا. تحتاج الولايات المتحدة إلى شركاء أقوياء وراغبين عند كل خطوة، وتحتاج واشنطن ـ لكي تواجه هذه التحديات– أن تركز على الدبلوماسية التقليدية، الدبلوماسية بين دولة ودولة، لكن يتوجب عليها أيضاً أن تخلق دبلوماسية أهلية قوية وصلبة؛ دبلوماسية قادرة على كسب القلوب والعقول وعلى أن تبيّن للناس أن الولايات المتحدة تستطيع مرة أخرى أن تحوز الثقة والإعجاب.

إن الشعور المعادي لأمريكا الذي يشاهد في الشارع ينعكس في أفعال القادة الأجانب .**أولئك الذين وقفوا مع الولايات المتحدة وهي تحرر العراق إنما فعلوا هذا**

في وجه معارضة مباشرة وضارية من مواطنيهم. ينبغي أن يهتم القادة بما يفكر فيه الرأي العام في بلدانهم، وينبغي بالتالي أن يهمنا أيضاً. وكما لاحظ السناتور ريتشارد لوغار عن ولاية انديانا، رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ «تستجيب معظم حكومات الدول للرأي العام، سواء جرى التعبير عنه في صناديق الانتخاب أو في الشوارع»(٢).

هذا العداء لأمريكا الآخذ بالتنامي هو مشكلة عميقة ومنتظمة ولا يمكن «إدارتها» بإصلاح سريع، ولا بمقاربة دفاعية تأتي بعد أن يقع ما يقع وبدافع الأزمة. فإذا لم توقف عند حد فإن عواقبها في المستقبل ستكون أشد جسامة من ذلك.

ولا يعني أخذ الرأي العام الأجنبي في الحساب إغفال المصالح الأمريكية، فضلاً عن القيم الأمريكية. لكن من قبيل السذاجة أن لا ندرك أن مواقف الخارج يمكن أن تعرقل بنجاح السياسات الأمريكية. لهذا ينبغي أن يكون من إجراءات العمل الروتينية أن نفكر بردود الفعل المرجحة إزاء التحركات الأمريكية. وينبغي على أمريكا ـ حيثما أمكن ـ أن تجعل سياساتها منسجمة مع سياسات الآخرين. أما حيثما لا يمكن عمل هذا، فإنه يتعين على واشنطن أن تكون غير مبالة لتقديم المعاذير، ولكن أن يكون لها ـ على الأقل ـ موقف تستطيع أن تشرحه.

المسألة هنا ليست مسألة السماح لذيل الرأي العام الأجنبي بأن يهز كلب السياسة الخارجية الأمريكية. فمن شأن هذا أن يكون خطأ بالغ الخطورة. الأحرى أنه يتعين على الولايات لمتحدة أن تأخذ آراء الآخرين وسياساتهم ومنظوراتهم الثقافية في الحسبان وهي تصوغ وتوصّل سياستها كي تجعل هذه السياسة أكثر فاعلية، مفهومة ومقبولة على نحو أفضل.

إن الافتقار إلى استجابة جادة لهذه المشكلة يوحي بأن الولايات المتحدة آخذة بالسقوط في فخّين: **الفخ الأول** هو الاعتقاد بأنه لا يهم كثيراً ماذا يعتقد الآخرون بأمريكا، مع أن كل حس سليم وخبرة يبرهنان على غير ذلك. إن على الولايات المتحدة مسؤوليات خاصة ويتعين عليها أن تقود وأن تتحمل أعباءها في هذه العملية. لكن القادة الناجحين يحتاجون إلى شركاء وأتباع، وهؤلاء أصبحوا قلة بصورة متزايدة.

أما الخطر الثاني فهو أن واشنطن تعتقد أنها اتخذت بالفعل الخطوات الضرورية داخل الحكومة وخارجها للتصدي لهذه المشكلة الكبيرة. والخطوات الجديدة التي اتخذها الرئيس تلقى الترحيب كثيراً، ولكنها ليست كافية. إن مشكلة تنامي العداء لأمريكا مشكلة هائلة واستجابة أمريكا لها ينبغي أن تكون عاجلة وجوهرية ومستدامة.

لهذا يدعو هذا التقرير إلى تغيير ثوري: من الطريقة التي تشكل بها واشنطن وتنفذ

---

(٢) بيان افتتاحي للسناتور لوغار في جلسة استماع حول الدبلوماسية العامة والإسلام في ٢٧ شباط/فبراير ٢٠٠٣.

أهداف السياسة الخارجية الأمريكية، إلى الطريقة التي تجند بها وتدرب مسؤولين عموميين، إلى الطريقة التي تحدد بها مهام السفارات الأمريكية والدبلوماسيين الأمريكيين.

لا تستطيع الولايات المتحدة ـ باعتبارها أقوى دولة في العالم ـ أن تكون محبوبة أبداً على صعيد عالمي، وسيكون من الخطأ أن تحاول أن تكون. فهناك أولئك الذين تعمق لديهم البغض للولايات المتحدة وتغلغل داخلهم وأصبح لا عقلانياً إلى حد أصبح إقناعهم بعيد المنال. فهذه المعركة هي معركة من أجل كسب الوسط... ونحن نخسرها.

وهذا التقرير هو حول استراتيجيات لمخاطبة أولئك القادة والشعوب الذين مسهم العداء لأمريكا لكنهم ظلوا قابلين للتواصل. وتستطيع الولايات المتحدة أن تصل إلى هؤلاء الناس بالإنصات إلى احتياجاتهم وإلى مناظيرهم، والبدء بحوار حقيقي معهم، وبالأخذ في الاعتبار واقعهم الثقافي والسياسي بينما تصوغ واشنطن سياستها الخارجية. ونحو هذه الغايات تتوجه قوة المهام هذه واستراتيجيتها.

استنتاجات

توصلت قوة المهام هذه إلى مجموعتين من الاستنتاجات: **المجموعة الأولى** هي بشأن ما يجري في العالم وجعل الحاجة إلى دبلوماسية أهلية فعالة أكثر إلحاحاً بكثير.

١ ـ **العداء لأمريكا في صعود في جميع أنحاء العالم.** تذكر استطلاعات الرأي والتقارير الاخبارية والتعليقات الصحفية والمناقشات التشريعية والاتصالات الشخصية اليومية حكاية متواصلة بدرجة مثيرة للانزعاج. النقد الحاد لمواقف الولايات المتحدة وثقافتها وسياستها الخارجية أصبح الأمر المعتاد.

٢ ـ **العداء لأمريكا الآخذ بالتنامي يشل بصورة متزايدة سلامة أمريكا ويحد من تحركاتنا.** فيما العالم يصبح أكثر انفتاحاً وديمقراطية، يحوز الأفراد والجماعات مزيداً من السلطة للتأثير في الشؤون العالمية بصورة مباشرة وغير مباشرة وعبر حكوماتهم. ويشمل هذا جماعات متطرفة قادرة على أن تحمل أكثر من وزنها، على أن تحوز سلطة أكبر كثيراً مما توحي به أعداد أعضائها أو قدراتها المالية، أو قدراتها التدميرية. والآن فإن حتمية قيام دبلوماسية أهلية فعالة تتطلب استخداماً أوسع كثيراً لقنوات اتصال جديدة وأكثر ملاءمة لأدوارها، وتتطلب حواراً ومناقشة في اتجاهين وليس اتصالاً على طريقة الضغط إلى أسفل باتجاه واحد.

أما **المجموعة الثانية** من الاستنتاجات فهي بشأن ما تفتقر إليه حكومتنا ويمنعنا من الاستجابة بطريقة أكثر فاعلية. ولقد اتخذت الإدارة والكونغرس الخطوات الأولى. مع ذلك فحتى الآن لم تقطع هذه المبادرات شوطاً كبيراً نحو تحقيق الأهداف ذاتها التي حددها الرئيس (الأمريكي) بنفسه. لقد قامت واشنطن ببداية، ولكن المشكلة تمضي إلى أبعد كثيراً من المدى الذي تتعامل معها فيه الجهود الحالية.

٣ ـ **الدبلوماسية العامة تعامل على أنها من قبيل الأفكار التي ترد متأخرة.** إن

الولايات المتحدة تفعل أقل ما ينبغي بشأن هذه المشكلة لأن البلد لم يستوعب الحاح الوضع وخطورته استيعاباً كاملاً. لهذا فإن الدبلوماسية العامة تزاح غالباً إلى هوامش عملية السياسة، ما يجعلها تصبح عاجزة فعلياً. ويتعين على واشنطن أن تدرك أن الدفاع عن الوطن، وملاحقة الإرهابيين وتدميرهم واستخدام الدبلوماسية العامة لجعل من الأسهل على الحلفاء أن يدعموا الولايات المتحدة وأن يخفضوا غواية الإرهاب ـ كلها أجزاء من المعركة ذاتها. فلم يتم إدخال شواغل الدبلوماسية العامة ـ كيف تؤثر الأفعال والكلمات الأمريكية على باقي العالم والنتائج التي تحدثها هذه الأفعال ـ ضمن أسس عملية السياسة الخارجية الأمريكية.

٤ ـ الحكومة الأمريكية لا تستخدم القطاع الخاص بدرجة كافية. إن واشنطن لا تنهل من المواهب والمصادر الواسعة للقطاع الخاص الأمريكي. وبينما تتخلف الحكومة كثيراً في هذا الصدد، فإن القطاع الخاص الأمريكي يقود العالم في معظم المجالات الاستراتيجية الرئيسة التي تتطلبها دبلوماسية أهلية فعالة: التقانة، السينما والإذاعة، أبحاث التسويق، والاتصالات. وستعطي الدبلوماسية العامة نتائج تتجاوز كثيراً ما يمكن أن تحصل عليه بإنفاق الدولارات الحكومية إذا كان هناك دور أكثر اتساعاً للقطاع الخاص. ولدى قوة المهام هذه مبررات عدة لهذا الاعتقاد الجازم:

أولاً: يرجح أن يكون الجهد المستهدف من جانب الحكومة الأمريكية حكومات أجنبية، ويتعين على الحكومة الأمريكية أن تراعي بروتوكولات يمكن أن تشيع غموضاً في رسائلها.

ثانياً: تنحو الاتصالات الرسمية للحكومة الأمريكية لأن تكون جامدة نسبياً وأن تنطوي بعناية على حدود مرسومة بدقة.

ثالثاً: قد تتطلب الحكومة الأمريكية في بعض الأوقات درجة من إمكانية الإنكار. ونشاطات القطاع الخاص يمكن أن توفر إمكانية الإنكار تلك.

رابعاً: من المهم توصيل إيمان الولايات المتحدة بالديمقراطية والمناقشة المفتوحة ـ الأخذ والعطاء ـ في ثقافة تزدهر على النقد المشروع والصدق. وهذا شكل قوي من أشكال الدبلوماسية العامة.

خامساً: ليس من المرجح أن تجذب الحكومة الأمريكية عدداً كافياً من المهنيين ذوي القدرات الابداعية حقاً إلى صفوفها أو أن تستخدم الأحدث والأكثر حدة بين أشكال الإعلام أو الاتصالات أو التقانة. بالإضافة إلى هذا تعتقد «قوة المهام» أن «المتحدثين» باسم الإعلام أو صناعة الترفيه قد يكونون أكثر ميلاً إلى التعاون مع مصادر القطاع الخاص، مثل المنظمات غير الحكومية (NGOs)، منهم مع الحكومة الأمريكية مباشرة. وعلى سبيل المثال تتطلع «قوة المهام» إلى حاملي رسالة ذوي مصداقية ومستقلين من قطاعات كثيرة من الحياة الأمريكية، بما في ذلك الأمريكيون العرب والأمريكيون المسلمون، حاملو رسائل يعكسون تعقد المجتمع الأمريكي وتنوعه.

٥ ـ السياسة الخارجية الأمريكية يتم توصيلها غالباً بأسلوب يربي مشاعر الإحباط والاستياء. غالباً ما يتم توصيل السياسة الخارجية الأمريكية بأسلوب الضغط إلى أسفل الذي لا يأخذ في الحسبان منظور الجمهور الأجنبي أو يفتح الباب لحوار ونقاش. لهذا يُنظر الأمريكيون على أنهم نادراً جداً ما يكونون «منصتين» للعالم بينما هم يحددون مصالحهم ويدافعون عنها في الخارج. ويغذي أسلوب الكر والفر هذا مشاعر الإحباط والسخط في الخارج، إذ يشعر الجمهور الأجنبي بأن آراءه يتم تجاهلها أو رفضها.

٦ ـ تخصص الولايات المتحدة مصادر ضئيلة جداً لبرامج الدبلوماسية العامة. وبرمجة الدبلوماسية قليلة التمويل بدرجة قاسية بالمعايير المطلقة وبالمقارنة مع الاعتمادات الأخرى. **فمقابل كل دولار ينفق على القوات المسلحة تنفق الحكومة الأمريكية سبع سنتات على الدبلوماسية.** ومن هذه السنتات السبع يتم إنفاق ربع سنت فقط على الدبلوماسية العامة (بما في ذلك برامج التبادل والبرامج التعليمية).

توصيات

أولاً: أعيدوا التفكير في الكيفية التي تصوغ بها الولايات المتحدة سياستها الخارجية ورسم استراتيجيتها وتوصلها

١ ـ اجعلوا صياغة السياسة الخارجية أكثر حساسية لشواغل الدبلوماسية العامة. كان ادوارد ر. مورو، رجل الأخبار الأسطوري ـ الذي عينه الرئيس (الأسبق) جون كنيدي مديراً لوكالة الاستعلامات الأمريكية ـ يحث على إدخال مسؤولي الدبلوماسية العامة في «مراحل الإطلاق» وليس فقط في «كوارث السقوط»، وبعبارة أخرى إشراكهم في صنع السياسة الخارجية. فمن شأن هذا أن يساعد (١) على تأمين أن يكون صانعو السياسة واعين لرد الفعل المرجح للرأي العام الأجنبي إزاء سياسة قادته؛ (٢) النصح بكيفية توصيل السياسات على أفضل وجه مقنع لجمهور أجنبي؛ و(٣) تأمين أن يكون الدبلوماسيون الأمريكيون مستعدين لمفصلة السياسات قبل إعلانها.

إن «قوة المهام» تتبنى بقوة هذه المقاربة، التي تدمج الدبلوماسية العامة في عملية صنع السياسة المتواصلة وبالتالي تجعلها «حاضرة في لحظة الخلق»(*). لا بد أن تكون الدبلوماسية العامة جزءاً مكملاً للسياسة الخارجية وليست شيئاً يأتي فيما بعد لبيع

(*) هذا التعبير (Present at the Creation) هو في الأصل لوزير الخارجية الأمريكي الأسبق دين اتشيسون (Dean Acheson) الذي كتب تحت هذا العنوان مذكراته عن فترة توليه هذا المنصب (المحرر).

سياسة خارجية أو للرد على نقد بعد أن يكون الحدث قد وقع. وهي ينبغي أن لا تقرر مسائل السياسة الخارجية، إنما يتعين أن تؤخذ بعين الاعتبار في الوقت نفسه الذي يجري فيه صنع السياسة الخارجية. وبهذه الطريقة ستساعد في تحديد سياسات خارجية قصوى وكذلك في تفسير كيفية مواءمة السياسات الأمريكية مع قيم الدول الأخرى ومصالحها، وليس فقط قيم الأمريكيين ومصالحهم. وخلافاً لهذا فإن الولايات المتحدة ستتعرض للمشكلات نفسها التي تعرضت لها لسنوات كثيرة بشأن سياسة حقوق الإنسان: أن يطلق الرئيس سياسة خارجية لم تتضمن حقوق الإنسان. ثم، حينما يُهاجم، تفرد واشنطن بساط خطابياتها المتعلقة بحقوق الإنسان، لكن الناس في الخارج لن يأخذوها بجدية.

٢ ـ **عليكم بتقوية هيكل تنسيق الدبلوماسية العامة.** في العام الماضي اتخذت الإدارة خطوات أولى نحو خلق هيكل تنسيق الدبلوماسية العامة (PDCS) بصورة فعالة، على نحو ما أوصت به «قوة المهام» هذه وآخرون. وقد ساعد «مكتب الاتصالات الدولية» (OGC) الذي شكل حديثاً في البيت الأبيض و«لجنة تنسيق السياسة بشأن الاتصالات الاستراتيجية» على تنسيق الرسائل والتنظيم الكلي أثناء حرب العراق وعواقبها المستمرة.

مع ذلك، فإن من الضروري أن تكون هناك قيادة قوية ومصادر زائدة لكي تتمكن هذه الهياكل من إنجاز أهدافها. وسيتطلب هذا قائداً فردياً يملك حق الوصول بانتظام إلى الرئيس ووزير الخارجية ووزير الدفاع وغيرهم من مسؤولي القمة. ويتعين أن يتمتع مستشار الدبلوماسية العامة بثقة الرئيس وتقديره، وأن يكون لديه ـ كذلك ـ فهم عميق استراتيجي وعملي لقوة الاتصالات في بيئة المعلومات العالمية في اليوم الحاضر. كما يتوجب أن تكون أولوية هذا القائد أن يؤمّن أن توجه هياكل الدبلوماسية العامة الجديدة الجهود معاً عبر الوكالات والوزارات، لا أن تخلق مزيداً من التناحر البيروقراطي.

وينبغي أن تشمل هذه المسؤوليات الرسمية الإشراف على تطوير أولويات استراتيجية للدبلوماسية الأهلية، وتقديم المشورة للرئيس وكبار صانعي السياسة بشأن الرأي العام الأجنبي واستراتيجيات الاتصالات والتخطيط الطويل الأجل للدبلوماسية الأهلية .**ويتعين أيضاً أن يراجع هذا الشخص بدقة كل البيانات الرئاسية للنظر في أثرها في الخارج في ضوء ما هو معروف عن الاتجاهات والحساسيات الأجنبية.**

وينبغي أن يساعد هيكل تنسيق الدبلوماسية العامة على تحديد استراتيجيات الاتصالات وتوجيه هياكل الدبلوماسية العامة وفي التخويل الأفقي لملكية هذه الجهود إلى وكالات الحكومة الأمريكية والحلفاء والشركاء في القطاع الخاص.

وينبغي أن تماثل هياكل تنسيق الدبلوماسية الأهلية مجلس الأمن القومي في دوره لمستشار ومركّب ومنسق وواضع أولويات.

وينبغي أن يتضمن هيكل التنسيق أعضاء على مستوى مساعد وزير أو أعلى

يعينهم الآتون: مساعد الرئيس لشؤون الأمن القومي(*)؛ مدير مكتب الاتصالات العالمية في البيت الأبيض؛ وزير الأمن الداخلي؛ وزراء الخارجية والدفاع والخزانة والتجارة؛ المدعي العام(**)؛ مدراء المخابرات المركزية والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية (USAID)؛ ورؤساء هيئة محافظي الإذاعة (BBG) ورؤساء هيئة الأركان المشتركة.

٣ ـ **أصدروا توجيهاً بقرار رئاسي بشأن الدبلوماسية العامة.** إن من الجوهري أن يعلن الرئيس بوضوح التزام أمريكا بإصلاح دبلوماسيتها الأهلية وجعلها عنصراً مركزياً في السياسة الخارجية الأمريكية. وينبغي أن يحدد التوجيه بقرار رئاسي الخطوط العامة للاستراتيجية الجديدة لأمريكا وأن يوفر هيكل تنسيق لتعزيز الأصول المدنية والعسكرية الحكومية للدبلوماسية الأهلية.

٤ ـ **اشرعوا في تقييم منظم للاستعداد الدبلوماسي وحددوا أولويات الإنفاق** عبر «مراجعة رباعية(***) للدبلوماسية الأهلية» (QPDR). ويتعين أن تتخذ هذه المراجعة للدبلوماسية الأهلية نموذجاً لها «المراجعة الدفاعية الرباعية» فيجريها وزير الخارجية بالتشاور مع اللجنة الاستشارية الأمريكية بشأن الدبلوماسية العامة.

٥ ـ **حسّنوا قدرة أمريكا على أن تنصت إلى الرأي العام الأجنبي.** حتى لا تثير الولايات المتحدة كثيراً من الصخب يتعين عليها أن تنصت جيداً. **إن الحكومة الأمريكية تنفق من ٥ ملايين إلى ١٠ ملايين من الدولارات فقط سنوياً على استطلاع الرأي العام الأجنبي (بينما ينفق قطاع الأعمال الأمريكي عليها ٦ مليارات من الدولارات).** ولا يغطي هذا المبلغ نفقات البحوث التي تجرى لحساب كثير من الحملات السياسية (الانتخابية) لعضوية مجلس الشيوخ أو لمناصب حكام الولايات أو غير ذلك من الحملات، ومن الواضح أن قسماً ضئيلاً من القطاع الخاص الأمريكي ينفق في هذه المجالات. ومن الحيوي أن تخصص واشنطن أموالاً إضافية للبحوث، من أجل تشكيل برامج وجهود من بداياتها ومن أجل أن تستمر في رصد وتقييم واختبار فاعليتها. فلا بد أن تعرف الولايات المتحدة مقدماً ردود الفعل المرجحة ومستوى المقاومة إزاء سياساتها والكيفية التي يستطيع بها الأمريكيون توصيلها على أفضل وجه.

٦ ـ **عليكم بصياغة رسائل تبرز التداخلات الثقافية بين القيم الأمريكية وقيم باقي العالم.** ويتعين على الحكومة لكي تعزز فهماً أفضل للسياسات الأمريكية أن تجد سبلاً لربطها على نحو أكثر وثوقاً بقيم ثقافية أمريكية، بما في ذلك التقاليد الديمقراطية وحرية التعبير .**فينبغي تقديم مهمة حفظ السلام في كوسوفو أو المعونة الإنسانية الأمريكية لأفغانستان والعراق كانعكاسات للقيم الثقافية الإنسانية.**

(*) مساعد الرئيس لشؤون الأمن القومي هي التسمية الرسمية لمنصب مستشار الرئيس للأمن القومي (المحرر).

(**) المدعي العام في النظام الأمريكي هو في الوقت نفسه وزير العدل (المحرر).

(***) تتم كل أربع سنوات (المحرر).

ثانياً: ابنوا مؤسسات جديدة لتعزيز جهود الدبلوماسية العامة

١ ـ عليكم بجسر الهوة بين مبادرات القطاعين العام والخاص عن طريق خلق «مؤسسة الدبلوماسية العامة» (CPD)، وهي مستقلة لا تهدف إلى الربح. وخبرة المؤسسة العامة للإذاعات مناسبة تماماً، ولهذا تقترح «قوة المهام» كياناً مماثلاً ليكون نقطة ارتكاز لتدخل القطاع الخاص في الدبلوماسية العامة.

إن من شأن «مؤسسة الدبلوماسية العامة» أن تملك القدرة على:

ـ أن تعمل كدرع حراري بين الحكومة والمشروعات المثيرة للجدال.

ـ أن تعمل كنقطة ارتكاز لتدخل القطاع الخاص في السياسة العامة .

ـ أن تقبل منحاً من القطاع الخاص.

ـ أن تجذب الإعلام والشخصيات التي لا ترغب في العمل بصورة مباشرة مع الحكومة الأمريكية.

ـ أن توفر حاملي رسائل ذوي مصداقية للجمهور المتشكك.

ـ أن تدعم الأصوات الإقليمية الداعية إلى الاعتدال والإعلام المستقل.

٢ ـ أنشئوا معهد التدريب المستقل للدبلوماسية العامة (IPDI). وهذه المؤسسة الجديدة ـ مستقلة عن الحكومة ـ من شأنها أن تجذب أفضل المواهب وأحسن التقنيات من المؤسسات والجامعات الأمريكية للمساعدة على تجنيد وإعداد نوع جديد من مهنيي الجسم الدبلوماسي لإنجاز الأدوار الحيوية للدبلوماسية العامة.

٣ ـ أقيموا فيالق احتياطي الدبلوماسية العامة. ومن شأن هذه الوكالة ـ التي تؤسس على غرار وكالة إدارة الطوارىء الاتحادية(*)، كنموذج إغاثة من الكوارث، ومن شأنها أن تجمع العمليات داخل الولايات المتحدة وفي الخارج، وتعتمد خطة عمل، وقاعدة معلومات للمهارات، وتدريب دوري، وتصاريح أمنية محدّثة، ولوائح منظّمة مبسطة للدخول من جديد، وتعديل متطلبات التعيين المؤقت، وتجنيد خبراء مميزين من القطاع الخاص من المهن المناسبة لأداء مهام قصيرة الأجل.

ثالثاً: تحسين ممارسة الدبلوماسية العامة

١ ـ عبر إصلاحات في وزارة الخارجية الأمريكية، أمّنوا أن تكون الدبلوماسية العامة مركزية لعمل كل السفراء وغيرهم من الدبلوماسيين الأمريكيين. فالدبلوماسيون ينخرطون في مهام أساسية للدبلوماسية العامة في السفارات في جميع

(*) FEMA هي في النظام الأمريكي بمثابة هيئة الدفاع المدني (المحرر).

أنحاء العالم، وكثيرون منهم يؤدون عملاً جديراً بالإعجاب. مع ذلك ينبغي أن يكون الدبلوماسيون الأمريكيون بوجه عام أفضل استعداداً بكثير.

في عصر يتحاور فيه رؤساء الدول كثيراً ـ وحيث تعليمات المقار الرئيسية وتقارير الميدان تتم في الوقت الفعلي ـ فإن دور السفير كدبلوماسي عام يصبح متزايد الأهمية. إن مهارات الدفاع العام ومهارات اللغة المحلية جوهرية لسفراء اليوم. وطالما أن السفراء لا يتولون هذه المهام ينبغي أن يكونوا مرتاحين إلى ـ وأن يسعوا إلى فرص ـ الالتقاء بمجالس التحرير (في الإعلام) وكذلك إلى إصدار تصريحات عامة والظهور على شاشات التلفزيون وغير ذلك من وسائط الإعلام المحلية. إن إنابة سلطة التحدث باسم الولايات المتحدة من دون متطلبات مفرطة للتصريح الأمني والفهم الزائد من قبل صانعي السياسة للحاجة إلى إتاحة مضمون آني، هي أمور حيوية لنجاحهم.

٢ ـ إدعموا بدرجة أكبر تدريب السفراء الأمريكيين. تقدم وزارة الخارجية في الوقت الحاضر دورة تدريبية لمدة أسبوعين للسفراء الجدد، ويكرس قدر صغير من الوقت فقط للدبلوماسية العامة. وتوفر وزارة الخارجية عادة موجزاً مطبوعاً يتراوح بين صفحة واحدة وصفحتين حول الدبلوماسية العامة في البلد الذي يعين لديه السفير. ويكرس يومان للتدريب على المهارات الإعلامية. مع ذلك فليس هذا أمراً الزامياً ولا يشترك فيه جميع السفراء.

وينبغي أن توسع الدورة التدريبية على هدي خطوط البرنامج الجديد لوزارة الخارجية لأفراد الجسم الدبلوماسي. وقد اقترحت وزارة الخارجية ـ بالنسبة لمسؤولي الشؤون العامة ـ خطة تدريبية مدعمة تبدأ في أيلول/سبتمبر ٢٠٠٣ تزيد فترة التدريب إلى ١٩ أسبوعاً كحد أقصى.

٣ ـ وسعوا المدى الذي يُعيَّن فيه حاملو رسائل أمريكا في الخارج. يتعين على الولايات المتحدة أن تجد موظفين محليين لحمل بعض العبء عن طريق تحديد وتطوير حاملي رسائل محليين ذوي مصداقية مثل الشباب والمعتدلين من العرب ورجال الدين والصحفيين والشخصيات التي تظهر في برامج التلفزيون الحوارية، الذين بإمكانهم أن ينتقدوا العيوب في مناطقهم بدرجة من المصداقية أكبر مما يستطيع أن يفعله أبداً دبلوماسي أمريكي.

كذلك يتعين على الولايات المتحدة أن تستخدم على نطاق أوسع حاملي رسائل ذوي مصداقية ومستقلين لتأكيد تنوع الحياة الأمريكية، بمن فيهم رجال الإطفاء ورجال الشرطة من العرب الأمريكيين، الذين تدافعوا إلى مركز التجارة العالمية والأمريكيين العرب والمسلمين، بمن فيهم النساء والأطفال الذي ماتوا أو فقدوا أحباء لهم يوم ١١ أيلول/سبتمبر؛ والمسلمين الأمريكيين الذي تزدهر حياتهم في الولايات المتحدة والذين يمكنهم أن يشهدوا بالاحترام الذي تلقاه ديانتهم، بمن فيهم نجوم الرياضة مثل محمد علي وغيرهم من المشاهير والقادة من ميادين مثل قطاع الأعمال والعلم والطب.

٤ ـ عززوا باطراد العلاقات ذات المغزى بين الحكومة الأمريكية والصحفيين الأجانب. غالباً ما يشعر الصحفيون الأجانب بأنهم يعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية مبعدين إلى الأطراف خارج إطار الجهود للتواصل مع الولايات المتحدة. **وطالما أن الحكومة الأمريكية تهمش الصحفيين الأجانب فإنها تترك للاغتراب مجموعة من حاملي الرسائل ذات الفعالية العالية والمصداقية عالية.** لهذا ينبغي أن تواصل زيادة قدرة الصحافة الأجنبية على الوصول إلى المسؤولين الأمريكيين على مستوى عال، وأن تصر على أن يخصص كبار صانعي السياسة وقتاً لإطلاع الصحفيين الأجانب في مراكز الصحافة الأجنبية(*)، وأن يتيحوا أن تجرى معهم مقابلات صحفية شخصية. هذا المجهود المنسق والمتواصل لإشراك الصحفيين الأجانب بصورة فعالة ينبغي أن يتم في كل الأوقات، وليس فقط أثناء الأزمات.

٥ ـ ادعموا أصوات الاعتدال في البلدان الأخرى، مع توجيه انتباه خاص في الأجل الطويل إلى الشباب، بهدف تمكينهم من الانخراط في مناقشات فعالة عبر وسائل متاحة أو يتم انتشارها في مجتمعاتهم. يتعين على الولايات المتحدة أن لا تدافع عن موقفها وحدها. يتعين على أمريكا أن تشجع المناقشة والحوار مع الإسلام بشأن اختطاف مكنونها الروحي عن طريق دعم أصوات إقليمية ـ غالباً بواسطة أطراف ثالثة كالمنظمات غير الحكومية ـ هي أصوات اعتدال وسلام وصحافة مفتوحة وحرة.

٦ ـ تبنوا مقاربة «ارتباط» تنطوي على إنصات وحوار ونقاش وبناء علاقات. من الناحية التاريخية كانت الولايات المتحدة تتواصل إلى حد كبير عبر طريقة «الضغط لأسفل» التي تفتقر إلى قاعدة واسعة وتفسير مناسب للإعلام الأجنبي. إن السياسة توضع والخطب تُلقى والبيانات الصحفية تُكتب والمؤتمرات الصحفية تعقد، كلها بتركيز أولي على مخاطبة الإعلام الأمريكي. وفي هذه المقاربة حيث يمارس «الضغط لأسفل» لا تتحرك الحكومة في الغالب الأغلب في مناقشة مفتوحة حول الكيفية التي وصلت بها القرارات المتعلقة بالسياسة. فالاتصالات موجهة بشكل أولي نحو جمهور أمريكي محلي يفترض فهماً أكيداً لنظام الحكم الأمريكي، وهي معرفة يفتقر إليها الرأي العام الأجنبي غالباً. وكثيراً ما تخفق واشنطن في ربط سياساتها بقيم الآخرين، أو حتى بشكل صريح بقيمنا نحن أنفسنا، ولهذا فإنها تفقد الفرصة لإظهار كيف أن هذه السياسات هي انعكاس للحرية والديمقراطية الأمريكيتين.

٧ ـ استجيبوا لوقائع البث عبر الأقمار الاصطناعية ووقائع عصر الانترنت. إن التيارات الحالية في تقانة المعلومات تحول الكيفية التي يتواصل العالم بها ويتعلم. ولقد اتضح أثر البث عبر الأقمار الاصطناعية للجميع أثناء حرب العراق. وسوف يحتاج

(*) في أنحاء الولايات المتحدة كلها توجد أربعة مراكز للصحافة الأجنبية، مقارها في واشنطن ونيويورك ولوس أنجيلوس وشيكاغو، وهي تابعة لوكالة الاستعلامات الأمريكية التي أصبحت منذ سنوات قليلة تابعة لوزارة الخارجية الأمريكية (المحرر).

الدبلوماسيون وأعضاء مجلس حكام البث الإذاعي وغيرهم في الدبلوماسية العامة لأن يفهموا أيضاً أن ثورة الانترنت تغير من الأساس العلاقة بين مضمون المعلومات وقنوات الاتصال، على الرغم من أن الانترنت في معظم البلدان النامية لا يزال أبعد ما يكون عن الاندماج على نطاق واسع. إن مجلس حكام البث الإذاعي وبتأكيده المفرط بصورة غير متناسبة ـ على الإذاعات بالراديو والتلفزيون ـ ينبغي أن يعطي أولوية عليا للتقانات الرقمية الجديدة، بما في ذلك ثراء المضمون وخدمات الانترنت في مجال اللغة تحديداً.

وعلى الرغم من أن الانترنت في الوقت الحاضر ذو قيمة محدودة بعض الشيء في مجال الوصول إلى غالبية الجمهور الذي تستهدفه أمريكا في الخارج، فإن جمهور الانترنت «على الخط» الذي تصل إليه فعلاً هو جمهور مؤثر وينبغي عدم تجاهله. ويصدق هذا بشكل خاص في البلدان التي تسيطر فيها الدولة على وسائط الإعلام، حيث الانترنت (وهو أصعب على المراقبة) يمكن أن يكون المصدر الوحيد للمعلومات الحرة. وحيث يفسح نموذج البث الإذاعي البسيط ـ من واحد إلى كثرة الذي كان سائداً في الماضي ـ الطريق لطابور أكثر تعقيداً من التفاعلات بالضغط والجذب بين مزودي المضمون والجمهور، ينبغي أن تستخدم الدبلوماسية العامة كل مصادر الاتصالات المتاحة.

٨ ـ **أقيموا جسوراً بين المجتمع الأمريكي والمجتمعات الأخرى مستخدمين سبلاً ثقافية عامة في كل مجال من الفن والموسيقى والمسرح والدين والنشاط الأكاديمي.** إن الدبلوماسية العامة في الأجل القصير، هي أداة للتأثير في الآراء وتعبئة الرأي العام الأجنبي على نحو يدعم المصالح والسياسات المباشرة. **أما في الأجل الطويل فتحتاج الولايات المتحدة إلى برامج لبناء حوار مفتوح مع الرأي العام الأجنبي في مناطقه الرئيسة.** وكذلك بناء علاقات شخصية ومؤسسية مبنية على أفكار وقيم مشتركة، مثل تبادل الطلاب والمهنيين، المعارض الفنية، المكتبات الأمريكية في الخارج، والوقفيات الأكاديمية. وينبغي أن تربط جهود أمريكا القصيرة الأجل والطويلة الأجل ـ لكي تكون فعالة ـ باستراتيجية شاملة. ويمكن أن يدار بعض هذه البرامج عبر السفارات (معارض فنية، مكتبات أمريكية) وغيرها عن طريق المنظمات غير الحكومية (الخدمات الصحية) والمؤسسات الأكاديمية.

رابعاً: تحسين التمويل وتحديد الاعتمادات

١ ـ **ضعوا تمويل الدبلوماسية العامة في خط واحد مع دورها كمكوّن حيوي من مكونات السياسة الخارجية والأمن القومي.** ليست لأمريكا اليوم أولويات أعلى من الدبلوماسية العامة. ولكي تطور الدبلوماسية العامة برنامجاً فعالاً وشاملاً ينبغي أن تمول بمستويات أعلى بدرجة كبيرة. فلقد خلق تهميش الدبلوماسية العامة ميراثاً من الجهود غير الممولة وغير المنسقة. ثمة حاجة إلى ميزانية تتجاوز كثيراً مبلغ المليار دولار تقريباً الذي تنفقه وزارة الخارجية الأمريكية ومجلس حكام البث الإذاعي على برامجهما للدبلوماسية العامة.

٢ ـ **احشدوا دعم الكونغرس للدبلوماسية العامة.** إن دور الكونغرس في تخويل واعتماد المصادر للدبلوماسية العامة دور حيوي، وزيادة المصادر لها أكثر ترجيحاً إذا أحس الكونغرس بأنه له سيطرة مالية على الدبلوماسية العامة، وتقديراً لروابط الدبلوماسية العامة بالسياسة الخارجية. فينبغي أن يكون التعاون مع أعضاء الكونغرس البارزين أولوية للمشاركين على مستوى رفيع في «هيكل تنسيق الدبلوماسية العامة».

ختام

بإيجاز، **لقد كان أداء الولايات المتحدة دون المستوى بكثير في جهودها لامتلاك قلوب وعقول الرأي العام الأجنبي.** وقد ترك تهميش الدبلوماسية العامة ميداناً من جهود بلا تمويل أو تنسيق كاف. وقد أدى نقص الإدارة السياسية وغياب استراتيجية كلية إلى جعل برامج الدبلوماسية العامة في الماضي عاجزة فعلياً في عالم الاتصالات الذي يزداد ازدحاماً اليوم. وفي حين أن الدبلوماسية العامة ليست وصفة سحرية لمشكلة الصورة التي تظهر بها أمريكا، فإن جعل هذه الدبلوماسية أحد المكونات الجديدة لعملية صنع السياسة الخارجية هو خطوة حيوية نحو أمن البلد.

التقرير الثاني

تغيير العقول.. لكسب السلام:
توجه استراتيجي جديد للدبلوماسية العامة الأمريكية في العالم العربي والإسلامي

إدوارد جيرجيان

السفير الأمريكي السابق لدى سوريا،
ومؤسس معهد جيمس بيكر الثالث للسياسة العامة في جامعة رايس.

ملخص تنفيذي

في لحظة حرجة من تاريخ بلدنا أثبت جهاز الدبلوماسية العامة أنه غير كفوء وخاصة في العالم العربي والإسلامي.

ويكمن النقص، لا في الرجال والنساء المتفانين في وزارة الخارجية وغيرها الذين يمارسون الدبلوماسية العامة نيابة عن أمريكا في أنحاء العالم، وإنما في نظام أصبح بالياً يفتقر إلى التوجيه الاستراتيجي والمصادر. والأنباء الطيبة هي أن الكونغرس والسلطة التنفيذية يدركان مدى إلحاح المشكلة وهما مستعدان لمقابلة التحدي.

إن الحلول التي ندعو إليها تساير هذه الأزمنة، حيث تخوض صراعاً كبيراً طويل الأجل ضد قوى التطرف، سواء كانت علمانية أو دينية. إننا ندعو إلى تحول دراماتيكي في الدبلوماسية العامة؛ في الطرق التي بها تتواصل الولايات المتحدة لتوصل قيمتها ولتعزز أمننا القومي. ويتطلب هذا التحول نهاية فورية لنقص التمويل الخطير والذي يبلغ حد العبث للدبلوماسية العامة في زمن خطر، حينما نجح أعداؤنا في نشر مزاعم غير دقيقة إلى حد بشع عن نياتنا وأفعالنا.

ويشكل نجاح خصومنا في صراع الأفكار صدمة كلية لأن القيم الأمريكية مشتركة على نطاق واسع للغاية. وكما يعبر أحد محاورينا الإيرانيين «من يمكن أن يكون لديه أي اعتراض على الحياة والحرية والبحث عن السعادة؟». لقد قيل لنا أيضاً إنه لو لم تعرف أمريكا نفسها فإن المتطرفين سيفعلون هذا عنها.

تتطلب الدبلوماسية العامة، أولاً وقبل كل شيء، **اتجاهاً استراتيجياً** جديداً، تُغذيه جدية والتزام يتمشى مع خطورة دفاعنا القومي ومع الدبلوماسية التقليدية بين دولة

ودولة، وينبغي أن يكون هذا الالتزام بقيادة الإرادة السياسية للرئيس والكونغرس وأن يتزود بالطاقة عن طريق مصادر مالية وبشرية كافية.

إننا نعترف تماماً بأن الدبلوماسية العامة هي جانب واحد فقط من الصورة. وتشير الاستطلاعات إلى **أن كثيراً من السخط الموجه لأمريكا نابع من صراعات واستياءات حقيقية من سياساتنا، بما فيها تلك المتعلقة بالصراع الإسرائيلي ـ الفلسطيني والعراق.** ولكن مجال عملنا محدود بصورة واضحة بمسائل الدبلوماسية العامة، حيث نعتقد بوجوب بذل مجهود جديد ذي مغزى.

توصيات محددة

البنية

ـ يتطلب تحقيق تحول في الدبلوماسية العامة عملية تشغيل جديدة وبناء معمارياً جديداً. إننا نوصي بإلحاح بتغييرات هيكلية محددة تتعلق بتنظيم العلاقة العملية بين البيت الأبيض ومجلس الأمن القومي ووزارة الخارجية. وينبغي إعلان توجيه رئاسي إلى الوكالات الحكومية المعنية كافة يؤكد أهمية الدبلوماسية العامة في تعزيز المصالح الأمريكية وتأسيس هذه التغيرات.

ـ يتعين أن تكون وكالة التنمية الدولية الأمريكية ووزارة الدفاع ـ وكلتاهما تنخرط في نشاطات لها بُعد مهم في الدبلوماسية العامة ـ أكثر ارتباطاً بالاتجاه والتنسيق الاستراتيجيين المعززين اللذين نقترحهما.

ـ ينبغي إقامة معيار لثقافة جديدة داخل هياكل الدبلوماسية العامة.

ـ **ينبغي أن تقام منشأة دائمة لدراسة المجتمعات العربية والإسلامية وعلاقتها مع الولايات المتحدة** ومن أجل تقوية الحوار بين الثقافات وبين العقائد.

ـ ينبغي إقامة مؤسسة مستقلة للدبلوماسية العامة لتسهيل تمويل التطبيقات الإذاعية وتطبيقات الانترنت الخاصة وغير الهادفة إلى الربح.

ـ باستثناء الوظيفة الإخبارية ينبغي أن يوضع البث الإذاعي الدولي تحت الإشراف الاستراتيجي للمكتب الجديد للمستشار الخاص للرئيس.

ـ تتطلب أهمية الدبلوماسية العامة في مقابلة التحدي الاستراتيجي الذي تواجهه أمريكا في العالم العربي والإسلامي زيادة هائلة في التمويل. فإن المستوى الحالي للتمويل غير كاف بصورة عبثية وخطيرة، ولا يمكن لأي قدر من إعادة برمجة المصادر الموجودة أن يصحح هذا الوضع.

ـ ثمة حاجة ماسة إلى طاقم مهني إضافي للدبلوماسية مكرس لمسائل العالم

العربي والإسلامي، وينبغي أن يعزز بصورة دراماتيكية المستوى المهني للطلاقة في اللغات المحلية ومستوى المعرفة بالمجتمعات العربية والإسلامية.

ـ نظراً للانخفاض الجذري في المنح الدراسية من الوكالة الدولية للتنمية المقدمة لطلاب في المنطقة من ٢٠ ألفاً في عام ١٩٨٠ إلى ٩٠٠ في الوقت الحاضر، ينبغي أن تحدث زيادة كبيرة في تمويل المنح الدراسية على نحو شامل.

ـ ونظراً للأهمية الاستراتيجية لتقانات المعلومات، فإن قسماً كبيراً من الميزانية ينبغي أن يوجه لتوفير مصادر الانترنت وتقانات الاتصال الأخرى بصورة أكثر فاعلية.

ـ ينبغي تكريس زيادات رئيسة في المصادر لمساعدة العرب والمسلمين على اكتساب قدرة الحصول على التعليم الأمريكي، سواء في المؤسسات التعليمية الأمريكية أو في البلدان العربية والإسلامية. **إننا نحث على الإبداع في الربط بين المؤسسات التعليمية الأمريكية ونظيراتها في المناطق (العربية والإسلامية).** وينبغي ان يقدم التزام مالي حاد ـ من القطاعين العام والخاص على السواء ـ للمؤسسات التعليمية مثل الجامعة الأميركية في بيروت والجامعة الأمريكية في القاهرة، وغيرهما.

البرامج

ـ ينبغي توسيع ودعم برامج في تقوية التدريب على اللغة الإنكليزية، وهو أداة حيوية للتواصل والتعليم وفرص العمل، عن طريق زيادة التمويل والمصادر البشرية.

ـ ينبغي إجراء توسع سريع في مدى اتساع برامج «الزوايا الأمريكية» للمؤسسات المحلية، خاصة بالنظر إلى تناقص إمكانية الوصول إلى المنشآت الأمريكية.

ـ ينبغي إطلاق مبادرة رئيسة جديدة ـ هي مكتبة المعرفة الأمريكية ـ وهذه تضم ترجمة آلاف من أفضل الكتب الأمريكية في كثير من مجالات التعلم إلى اللغات المحلية وجعلها متاحة للمكتبات ومراكز الدراسات الأمريكية والجامعات و«الزوايا الأمريكية».

ـ ينبغي السعي إلى خلق برامج للدراسات الأمريكية في البلدان العربية والإسلامية، عن طريق جهود متضافرة مع القطاع الخاص ومع الجامعات المحلية.

ـ ينبغي أن يوسع برنامج المتحدث والمتخصص الأمريكي بدرجة كبيرة.

ـ ينبغي أن توسع عمليات التبادل المهني والبرامج التعليمية ذات الأمد القصير والتي تصل إلى شرائح أكثر تنوعاً من العالم العربي والإسلامي.

ـ ينبغي القيام بمراجعة دقيقة مستقلة لمزايا مبادرة شبكة تليفزيون الشرق الأوسط □

سيطرة بالمشاركة:
ثمن ذهاب الجيش التركي إلى العراق

مؤسسة ستراتفور(*)

ملخص

بعد مفاوضات شاقة حول نشر قوات تركية في العراق، يبدو من المرجح أن تنضم أنقرة إلى واشنطن في ممارسة سيطرتها على هذا البلد المحتل. وعلى الرغم من أن هذا لن يوقف الهجمات على القوات الأمريكية في العراق، إذ أنه يمكن أن يعين الولايات المتحدة في محاولاتها الرامية إلى تخليص نفسها تدريجياً من العبء الأساس، عبء صد حرب المقاومة.

تحليل

تحت ضغط من الحكومة، وعلى الرغم من معارضة شعبية كبيرة، أقر البرلمان التركي مؤخراً قراراً يؤيد إرسال قوات إلى العراق. وهكذا أصبح لدى أنقرة ضوء أخضر يسمح لها بأن تتفاوض مع سلطة التحالف بقيادة الولايات المتحدة على شروط نشر القوات، المخطط لها مبدئياً أن تكون نحو ١٠ آلاف رجل. ومن المرجح أن يبدأ المسؤولون الأمريكيون والأتراك خلال أيام محادثاتهما حول التفصيلات خلال الأيام

(*) ترجمت المستقبل العربي هذا التحليل الذي صدر يوم ١٣ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٣، بالكامل عن مؤسسة «ستراتفور» (Stratfor) الأمريكية (التنبؤ، التبصر والمخابرات العالمية هو الشعار الثابت على إصداراتها). وقد برز دور «ستراتفور» في السنوات الأخيرة كمصدر للمعلومات والتحليلات الاستخباراتية والاستراتيجية. وهي واحدة من عدد قليل من المؤسسات الخاصة تستعين الوكالات الاستخباراتية والأمنية الأمريكية (بما فيها السي. آي. إي. والبنتاغون ومجلس الأمن القومي ووكالة الأمن الدفاعي) بتحليلاتها، في ما تصدره هذه الوكالات من تقارير (المحرر).

القادمة. ويقول مسؤولون في أنقرة أن المفاوضات يمكن أن تستغرق مدة تصل إلى أسبوعين، حسب ما أوردت الصحيفة التركية *Turkish Daily News*.

وكانت تركيا قد رفضت ــ في الأسابيع التي أدت إلى الهجوم الأمريكي على العراق ــ إرسال قوات إلى الحرب أو السماح لقوات أمريكية بأن تستخدم ترابها كنطقة انطلاق. فما الذي سبب هذا التحول السياسي؟ إن هذا التحليل، الذي يستمد مادته من بيانات صادرة عن مصادر ستراتفور داخل الحكومة التركية، وكذلك من البيانات العامة للقادة الأمريكيين والأتراك، سيتفحص هذا السؤال، كما سيتفحص السؤال عن ما تسعى أنقرة للحصول عليه بالمقابل، وكيف يمكن أن تنتهي المفاوضات.

تركيا: عند مفترق طرق جيوسياسية

هذه الأيام أيام رائعة لصانعي القرار الأتراك: فمنذ أن جاء حزب العدالة والتنمية ذو الجذور الإسلامية إلى السلطة في أواخر العام الماضي، والبلد في خضم عملية إعادة صياغة لمسارها الجيوسياسي وأولوياتها الجيوسياسية. وحينما يكون بلد في مفترق طرق فإن باستطاعته أن يسلك أي طريق ــ حتى الأقل توقعاً ــ إذا كان هذا يناسب على نحو أفضل مصالحه الوطنية.

ولقد كان آخر الأمثلة على هذا بالنسبة لتركيا ما حدث في أعقاب الحرب العالمية الأولى حينما أسس كمال أتاتورك الدولة الحديثة. مع ذلك فإن صياغة اتجاه جيوسياسي استغرق سنوات عديدة: أولاً تحول أتاتورك إلى معارضة الوفاق (entente) ــ أي تحالف الدول الغربية الذي كانت تنتمي إليه الولايات المتحدة ــ وهزم التدخل اليوناني ــ البريطاني بين عام ١٩١٩ وعام ١٩٢٢ ببعض مساعدة عسكرية من دولة ناشئة أخرى هي روسيا السوفياتية. وتشعر أنقرة بأن الوقت قد حان لكي تسير تركيا في مسار تحدده مصالحها الوطنية الخاصة، بغض النظر عن مدى ملاءمتها أو مخالفتها لأهداف قوى أخرى.

وهكذا كانت قد أنكرت أنقرة على واشنطن التصريح بمرابطة قواتها المقاتلة على الأراضي التركية في آذار/مارس: فلم تر الحكومة في تحرك كهذا ما يفيد المصالح الوطنية. ولكن، بعد سبعة أشهر بدا أفضل لتركيا أن تتدخل عسكرياً في العراق من أن تستمر في الابتعاد. ومما يثير السخرية أن الحكومة الجديدة، وهي تخطط لنفسها موقفاً جيوسياسياً أكثر استقلالية ــ تجد مفيداً أن تنحاز مجدداً باتجاه واشنطن.

القوات التركية في العراق: ما هو موضع الخطر؟

إن عديداً من المصالح الوطنية الرئيسة تجعل من الحتمي أن تتدخل أنقرة عسكرياً في العراق على الجانب الأمريكي، والأكثر أهمية بين هذه المصالح أن تضمن

أن لا يكون بالإمكان أن يهدد تركيا شيء من الجنوب ومن المنظور التركي يتطلب هذا عدة خطوات:

أولاً: يعتقد المسؤولون في أنقرة أن الحكومة الجديدة في بغداد ينبغي إما أن تكون موالية لتركيا أو على الأقل ودية تجاه تركيا(*) وهذا يعني أنه يتعين على الحكومة التركية أن تمارس بعض النفوذ في بغداد، وهو أمر يمكن أن يكون أسهل إذا ما نشرت قوات (تركية) بأعداد كبيرة في العراق. وتفهم أنقرة تماماً أن الولايات المتحدة تعتزم أن يكون لها نفوذ مسيطر في العراق لسنوات قادمة، ولن يكون في هذا مشكلة لأنقرة إذا وافقت واشنطن على إعطائها مكانة «الترتيب الثاني في القيادة».

ثانياً: يخشى القادة الأتراك من أن تصبح إيران قوة سائدة في العراق أو أن تشارك في هذا الدور كحليف رئيس للولايات المتحدة. وفي أي من هاتين الحالتين فإن النفوذ التركي سيكون مستبعداً: **فلقد تصارعت تركيا وإيران على ما يسمى الآن العراق لعدة قرون، وخاضتا خلال ذلك حروباً دامية.** ويبدو الآن أن إيران في وضع أفضل لكسب هذه المباراة، إذا أخذنا بعين الاعتبار روابطها القوية مع الغالبية الشيعية في العراق ونفوذها عليهم. ولكي تعكس هذا الوضع فإن تركيا لا بد أن تضع قواتها على الأرض في العراق.

ثالثاً: تشعر تركيا بانه يتعين عليها أن تحل المسألة الكردية. على الرغم من أن أنقرة تقصر هذا الهدف رسمياً على إزالة مجموعة حرب العصابات التابعة لحزب العمال الكردستاني (المعروفة باسم كاديك KADEK) والتي تعمل في جنوب شرق تركيا وشمال العراق، إلا أن هدفها الاستراتيجي الأوسع يذهب إلى مدى أبعد من ذلك كثيراً.

إذ يبدو أن تركيا تسعى لإضعاف القوى الكردية المتشددة في العراق، بإلحاق هزيمة عسكرية بها إذا اقتضت الضرورة. فإذا ما وقف الأكراد العراقيون جانباً بلا حراك بينما تسحق القوات الأمريكية والتركية وحدات «كاديك» تكون السيطرة الكردية في شمال العراق قد تلاشت. مع ذلك فإنه إذا تدخل الأكراد العراقيون وشنوا هجمات ضد القوات التركية على النحو الذي يهددون به، فإن أنقرة ستجد فرصة لشن حملة عسكرية ضد كافة المتشددين الأتراك في العراق. بالإضافة إلى هذا فإنه يكاد يكون من المؤكد أن القوات الأمريكية ستتدخل لصالح الأتراك، الأمر الذي يناسب كثيراً وضع أنقرة.

رابعاً، تريد أنقرة نصيباً من ثروة الطاقة المكتشفة في شمال العراق، بما في ذلك الحصول على حق أساسي في التعبير عن رأي الشركات التركية في قطاع الطاقة. ومرة أخرى فإن وضع القوات على الأرض سيساعد في هذا المجال. وعلى الرغم من أن

(*) التأكيدات المطبوعة بحرف أسود كلها للمستقبل العربي (المحرر).

القوات التركية ستنشر مبدئياً خارج كركوك وحقول نفط الشمال الأخرى، فإن من الممكن أن توسع أنقرة وجودها العسكري بحجة تصاعد العنف.

خامساً، تحتاج تركيا إلى تقوية نفسها اقتصادياً وعسكرياً لتحقيق أهدافها الجيوسياسية في العراق وغيره. فإذا ما أرسلت أنقرة قوات إلى العراق فإن واشنطن ــ حسب استدلالات المشّرعين ــ يمكن أن ترد الجميل في صورة قروض، من كل من واشنطن وصندوق النقد الدولي، فضلاً عن المعدات العسكرية.

وأخيراً، من المؤكد أن القدرة على السعي لتحقيق جدول أعمالها من دون إغضاب الولايات المتحدة هي فرصة جذابة لأنقرة في العراق، حيث يعتقد المسؤولون ــ وهم على الأرجح محقون ــ أن باستطاعتهم أن يعيدوا تنشيط التحالف السابق عن طريق إرسال قوات لمساعدة القوات الأمريكية المحاربة.

يكاد يكون من المحتم أن تتعرض القوات التركية لهجمات متكررة في العراق، ولكن هذه الاستراتيجية ــ من وجهة نظر أنقرة ــ يمكن أن تكون أقل مخاطرة من الوقوف مكتوفة الأيدي بينما تكسب قوى أخرى نفوذاً على البلد (العراق). وبالإضافة إلى هذا فإنه يبدو لنا **أن القادة الأتراك، وإن كانوا يتحدثون عن نشر هذه القوات على أنه نشر قوات لحفظ السلام، هم لا يعبأون حقاً بما إذا كانوا سيتورطون في حرب**: فكلما زاد عدد الجنود الأتراك الذين يقاتلون في العراق، كانت الفرص أفضل لأنقرة للتأثير في تطورات المستقبل في هذا البلد وفي المنطقة.

المكافأة: مطالب أنقرة

طبقاً لهذه الأهداف تضع أنقرة نقاط التفاوض التالية في حوارها مع واشنطن، حسب ما تقوله مصادر في الحكومة التركية لستراتفور:

– الإبادة المؤكدة لوحدات حزب العمال الكردستاني وبنيتها التحتية في العراق، إما بواسطة عمل أمريكي أو تركي، أو بمجهود مشترك.

– حراسة أمريكية لخطوط الإمدادات التركية عبر المناطق الكردية إلى المثلث السني. ومن شأن هذه أن تكون بالإضافة إلى **ضمانة مطلقة من واشنطن بأن الأكراد لن يحصلوا أبداً على استقلال أمر واقع أو استقلال باعتراف قانوني**.

– أن يكون العراق دولة متحدة ذات حكومة موالية للولايات المتحدة وموالية لتركيا، وينبغي أن يزيد دور التركمان في الحكومة العراقية.

– تأكيدات من واشنطن أو تعاون من جانبها، لتأمين أن لا تنقل السلطة إلى الشيعة العراقيين كعملاء لإيران، وأن لا يكون لطهران دور في العراق. وستطلب

أنقرة من واشنطن أن تتخلى عن استراتيجية الاعتماد على إيران والشيعة العراقيين كحلفاء أساسيين لها ضد حركة المقاومة السنية، وستحث أنقرة واشنطن على أن تشغل تركيا هذا الدور.

– الحصول على نصيب من صناعة النفط العراقية يكون الثاني من حيث الحجم بعد نصيب الولايات المتحدة. وبصفة خاصة فإنه يتعين أن يكون لتركيا رأي رئيس في كيفية معالجة النفط العراقي في الشمال وأين تذهب عوائده. وبالمعنى نفسه يتعين أن تصبح المؤسسات التركية مشاركة رئيسة في صفقات النفط في الشمال.

– لا دور للعربية السعودية والدول العربية الأخرى في مستقبل العراق. وهذا هدف تعتقد أنقرة أن واشنطن نفسها تسعى إليه.

– مزيد من المعونة المالية من الولايات المتحدة ومن صندوق النقد الدولي.

– شحنات جديدة بكميات ضخمة من المعدات العسكرية الحديثة للجيش التركي، وبتخفيضات كبيرة في أثمانها.

– ضوء أخضر للقوات التركية لمقاتلة الأكراد والعراقيين وإلحاق الهزيمة بهم إذا ما وقعت **أية هجمات ضد خطوط الإمدادات التركية في شمال العراق.** وهذه نقطة غير قابلة للتفاوض من الجانب التركي حسب ما قالته المصادر لستراتفور. فإذا ما هوجمت خطوط الإمدادات فإنه ستتوجب إقامة سيطرة عسكرية تركية على تركستان العراق، والمرجح أن تقترح أنقرة إمكان أن تشارك فيها القوات الأمريكية.

– يتعين أن تعمل القوات التركية في العراق تحت قيادة تركية، وإن كان من الممكن ان تنسق أنقرة مع القيادة أمريكية بشأن عمليات مكافحة حرب العصابات.

وعلى الرغم من أن أنقرة تفهم أن مطالبها جسورة، فإنها ترى أن الولايات المتحدة تستميت للحصول على قوات تركية في العراق، معتقدة أن أحداً غيرها ــ ولا حتى تحالفاً يُجمع معاً من عشرات من الدول سيكون قادراً حقاً على إعانة القوات الأمريكية على الأرض، إذا وضعت في الاعتبار الانقسامات العميقة بين أهداف ولغات البلدان المشتركة وخبرة الأتراك السابقة بالمناخ والتضاريس العراقية. فإذا ما قبلت واشنطن هذه الشروط ستجدد أنقرة تحالفها التام مع الولايات المتحدة، إنما على أساس أكثر ندية من ذي قبل. وبالمقابل ستلتزم أنقرة تماماً بتهدئة العراق، إلى نقطة تتسلم فيها بالكامل من الأمريكيين مسؤولية المناهضة لحرب العصابات من الأمريكيين، ما يطلق سراح القوات الأمريكية لتحقيق أهداف إسقاط قوتها في العراق .**وبصفة أساسية فإن القوات التركية ستقوم بكل العمل القتالي بينما سترابط القوات الأمريكية في العراق لأغراض استراتيجية.** ولكن هذا سيكون الحال فقط إذا سلمت واشنطن بمطالب تركيا.

وجهة نظر واشنطن:
تركيا أو الأمم المتحدة

ستكون المفاوضات التركية مع واشنطن بشأن الانتشار في العراق صعبة حقاً. فإن لواشنطن رؤيتها الخاصة للعراق، ولا يتناسب معها تماماً دور تركي مفرط القوة (من منظور واشنطن) وتسليم كامل بمطالب أنقرة. مع ذلك **فإن المرجح أن توافق إدارة بوش** على معظم نقاط تركيا التفاوضية، لأسباب عديدة.

من ناحية، إن الوقت الباقي لكي تقرر واشنطن كيف تهزم حركة المقاومة العراقية يمضي سريعاً، وقبل فرص إعادة انتخاب الرئيس جورج دبليو. بوش تتضاءل الفرص بدرجة لا يمكن تعويضها، وقبل أن تصبح النفقات المالية للعمليات في العراق غير محتملة اقتصادياً. من سيكون قادراً وراغباً في أن يلعب في الوقت المناسب دور العامل الفاصل على الأرض في العراق؟ بالتأكيد ليست هوندوراس. وحسب تفكير ستراتفور يبدو أن الجيش التركي وحده، الذي يملك ما يكفي من القوة عدداً وتدريباً ــ وكذلك باعتباره على ألفة مع مسرح الحرب وتكتيكات حرب العصابات المحلية، هو خيار قابل للحياة.

وسيتطلب هذا أشياء أكثر كثيراً من نشر القوة المبدئية المؤلفة من ١٠ آلاف رجل، ولكن رئاسة الأركان التركية لديها خطة متابعة للتوسع السريع في وجودها العسكري في العراق. كذلك سيتطلب الهدف النهائي تضحيات بشرية كبيرة ومتواصلة، ولكن احتمال هذه التضحية بين صفوف الجيش والرأي العام التركيين أعلى مما هو بين الأمريكيين.

وثمة سبب آخر لترجيح أن تقبل واشنطن معظم مطالب تركيا، وهو **أن انتشاراً تركياً من شأنه أن يخلّص القوات الأمريكية إلى حد كبير من الحرب، ما يسمح لها بأن تخدم الهدف الذي من أجله جاءت إلى العراق في المحل الأول: أن تسقط القوة على بلدان أخرى في المنطقة تعتبر خصوماً محتملين للولايات المتحدة مثل سوريا أو العربية السعودية أو إيران.**

بالإضافة إلى هذا فإنه إذا سارعت واشنطن إلى عقد صفقة مع أنقرة، ستخلق الولايات المتحدة فرصة للتغلب في المناورة على المعارضة التي تواجهها في مجلس الأمن الدولي بشأن العراق: فحين تنشر قوة ضخمة ــ من الجنود الأتراك المهرة على الأرض تستطيع واشنطن ببساطة أن تلغي مسودة القرار الذي تطلب فيه تفويضاً من الأمم المتحدة بإرسال قوات أجنبية. ومن شأن هذا أن يحفظ إدارة بوش من أن تسلم سيطرتها على العراق إلى الأمم المتحدة ــ على الرغم من أنها ستضطر إلى إشراك تركيا في هذه السيطرة.

ومن ثم يبدو هذا ــ في عيون واشنطن ــ أهون الشرين □

الخطاب والقومي(*)

الطاهر لبيب

أستاذ جامعي من تونس.

أن تكون «قومياً» تنتمي إلى «قوم»، بما في الانتماء من عضوية الطبيعي، فهذا لا يحتاج منك إلى جهد. الجهد هو في المرور من معطى الطبيعة إلى تعبير الثقافة. الصعوبة كلها في هذا المرور، وكذلك اللبس كلّه: عربي، عروبي، قومي عربي، حالات وعبارات موصوفة، في ما جرى من حديث الناس، يتجاذبها تجريب الطبيعة وممكن العبارة. قد تكفي النبرة لتحويلها من «مرتبة» إلى أخرى: «سجّل أنا عربي»، مثلاً، في أفواه الجماهير المتظاهرة. وهي، في أغلب حالاتها سياقيّة: قد تكفي المشاركة في مؤتمر لتحويل كل المشاركين فيه ـ خلال فترته ـ إلى «قوميين عرب»، منهم من يعود إلى موقعه سالماً بعروبة لاقومية، ليكون «مجرد عربي» في بيته أو دون ذلك...

أن «تخطب» على الورق أو في الناس، بما في «الخطبة» من أوجه البلاغة، فهذا مما تتيح لك طبائع اللغة: لسانياً، كل ما يقال خطاب. لكن الخطاب إذا كانت مرجعيته خارج بنية القول، في الفضاء الاجتماعي، أصبح التماسك شرطاً في البحث عن معانيه، باعتباره مساراً للفكر نحو الحقيقة. هذا التماسك (Cohérence) يصبح هاجساً معرفياً عندما يتخصص الخطاب، أي عندما ينضبط في نسق معرفي (أو في «براديغم»). والقومي، معرفياً، هو نسق من الأنساق، أو هكذا كان يجب أن يكون.

الخطاب والقومي ملتبسان. وليت «الواو» فصلت بينهما، بدءاً، قبل الربط بين نعت ومنعوت. لو كانت «الواو» لأثارت أسئلة محرجة تحوّل القولَ القومي إلى خطاب. من هذه الأسئلة ما يتصل بتماسك الخطاب ومنها ما يتصل بإنتاج المعنى. وهما أمران قديمان: منذ فلاسفة اليونان والخطاب يحدّده تماسكه، سواءً كان همه مراعاة منطقه الداخلي (لوغوس) أو كان همه الإيهام والإغراء، كما هو الحال عند السفسطائيين. أما العرب، أهل

(*) ينشر بالتزامن مع مجلة الآداب.

البيان وتصريف القول، فالمعنى من بلاغتهم وأسرارها. كان هذا قبل أن تتبرّج ألفاظ المتأخرين وقبل أن تستبد الألفاظ بالمعاني. كان هذا قبل أن تتوالى أزمنة التاريخ المتعاقبة على تفكيك العلاقة بين الدال ومدلوله، في لغة فقدت صرامتها، فتسيبت معانيها.

عندما واجه المعاصرون من العرب مفهوم الخطاب في الفكر الغربي وعندما حاولوا، بوجه خاص، سحب تساؤلاته الابيبستيمولوجية على «أركيولوجيا المعرفة» في ثقافتهم (فوكو محفّز أول) لا شك في أنهم فوجئوا بالتباعد بين حقلين: بين حقل القول وحقل المعنى. للأسف، تصرفوا وكأن منطق المعنى من منطق القول وأوجدوا «الخطاب العربي المعاصر»، بطوله وعرضه، لتوسيع إمكانية الربط بين المنطقين. الأوروبيون قالوا، بدءاً، «خطاب المنهج» وقالوا الخطاب الفلسفي والخطاب العلمي وخطاب الحداثة. الخطاب عندهم ـ ما داموا في حقل المعرفة ـ مرتبط بنسق. وإذا قيل «الخطاب الغربي»، فلا شك أن القائل عربي أو هو من في وضعه لأن الخطاب عنده لا ينفي تداخل المرجعيات والأنساق والأزمان وما كان وما سيكون...

وضع الروّاد معالم قاسوا بها أبعاد الفكر القومي. ومهما عطل التاريخ مدلولات قولهم وعلّق طوباوياتهم فهم كانوا، قطعاً، أكثر حرصاً ممن جاء بعدهم على إدراج معارفهم في بناء خطابهم: خطابهم الذي بدا يتماسك، داخلياً، في رؤيته وفي أجهزة مفاهيمه، وبدا منتجاً لمقولات قابلة للتداول في أوساطها. بهذا المعنى، كان لهم خطاب، بقطع النظر عما يؤخذ عليه. المهم أنه لم يكن في عهدهم هذا المشهد الذي يكون فيه صاحب المعرفة في «موقف» بين معرفة لاقومية وقومية لامعرفية.

وأصل المشهد أن الفكر العربي، خلال النصف الثاني من القرن العشرين، عاشر الإيديولوجيا على حساب المعرفة. قلّةٌ هم الذين عانوا، حقاً، صعوبة المعادلة. يكفي أن نعود، مثلاً، إلى إنتاج مركز دراسات الوحدة العربية الذي يلخص هذه المعاناة ولا يُستغنى عنه في رصد أنماط الفكر القومي وتساؤلاته ومنعطفاته: بالإمكان، بوجه خاص، تتبع انسحاب بعض المقولات إلى تخوم الخطاب القومي أو إلى خارجه بعد أن كانت مركزيّةً فيه، وبالإمكان كذلك تتبع ما تسلّل، عبر النقاش، إليه من مقولات ما كان يتّسع لها، من نوع أن قومية العربي من وطنيته. وللتاريخ، فإن هذه المقولة الانعطافية كانت للمغاربة مساهمةٌ في بنائها.

هل هناك الآن «خطاب قومي»: خطاب وقومي في الوقت نفسه؟ الجواب: لا. مبدئياً، ما هو قومي، شأنه شأن ما هو ماركسي أو إسلامي، هو نسق يشمل الرؤى والمعارف والقيم المترابطة، على وجه التميّز والتخصيص. مبدئياً، القول القومي قابل للتحويل إلى خطاب. ولقد كان خطاباً في مرحلة سابقة، بالمعنى الذي أشرنا إليه. أما غيابه، اليوم، فليس لأنه تراجع، لأسباب خارجة عنه، أو بسبب الأوضاع، كما يقال، وإنما لأن بنيته المعرفية تكسّرت. ومعلوم أن هذا ليس خاصاً بالخطاب القومي، ولكن هذا الخطاب معرّضٌ أكثر من غيره لتدخّل عناصر التفكيك المعرفي: التّقاوُل والتّناصّ فيه لا حدود لهما، ومَداخِلُه والقائلون فيه من كل حدب وصوب... من الصعب أن تكون ماركسياً، حتى هذه الأيام، من دون حدود دنيا من المعرفة بالماركسية، ولكن يبدو من غير الصعب أن

«تُدلي بدلوك»، في اتجاهات معاكسة أو مشاكسة، باعتبارك قومياً بالطبيعة وباعتبار ما تبَنى على هذه الطبيعة من مواقف. المرور بالتساؤل المعرفي يبدو غير ضروري لأن الموضوع مطروح لجميع من ينتمون إلى هذه الأمة ! ولهذا كان الكلام والكلام على الكلام في ما هو من «شؤون الأمة» أمراً مشاعاً، سهلاً. من منّا لا يسمع أو يقرأ «خطبة» يومية استنهاضية أو تيئيسية في القومية العربية؟ ولا محصلة لما يقال أو يكتب، لأن من تسويات الأوضاع العربية تسويةَ الآراء فيها. المشهد حي ومباشر: أغلب ما تراه على الشاشات هو مشاهد ورثة يتناهبون إرثاً «قومياً».

لا يمكن أن يتماسك خطاب أو أن ينتج المعنى في وضع كهذا. وإذا كان الحسّ المشترك هو الطاغي، من وجهة معرفية، فإن مما ساعد على التفكيك ربط الخطاب بأحداث لا تنتهي، ولا تنتهي تفاصيلها. كل حدث «على الصعيد العربي»، مهما ضعفت دلالته العابرة هو فرصة للقول. قد يكون السؤال «القومي» بخصوص غضب رئيس دولة أو بخصوص تأخير زيارته إلى بلد «شقيق». وهناك، دوماً، من يجيب عن سؤال كهذا. لم يتفكك الخطاب القومي بسبب وجود هذه الأحداث وإنما بسبب انفتاحه عليها. ولقد نجحت وسائل الإعلام لا بتحويل أصحاب الخطاب القومي إلى خطباء، فحسب، وإنما، أيضاً، بتحويلهم إلى مُفْتين في كل شيء.

اختصاراً، ما يسود اليوم من عناوين «الخطاب القومي» قد لا يعني، في واقع الأمر، أكثر من أي قولٍ أو كلام موضوعه الشأن العربي ومنحاه الدفاع عن هذا الشأن. البقية اختلاف في اللهجة والمواقف. ومفروغ منه أن القول بغياب الخطاب القومي لا يعني أن ما ليس موضوعاً لهذا الخطاب الغائب ليس قومياً، بالضرورة. أغلب الناس، يعبّرون عن قوميتهم ويدافعون عنها من دون معرفة نسق خطابها، إن كان لها خطاب. وقد يتعمّد البعض منهم إعلان خروجه عنه. ليس، إذاً، في نفي الخطاب القومي، كخطاب، أيّ نفي لقومية القومي. كل ما أردتُ تأكيده أن القوميين، اليوم، بلا خطاب قومي، سواء كانوا من يتاماه، أو ممن يريدون بعثه حياً، أو ممن لهم مشروعُ تجديده.

إذا كان هذا، فما يعني «تجديد الخطاب القومي»؟ ماذا نجدّد، عملياً؟ ومن يجدّده؟ وكيف؟ في هذه الأسئلة سؤال ضمني قد يبدو إخراجه منها غريباً: لماذا نجدّد؟ وهو يكون أقل غرابة إذا استحضرنا أهداف بعض «التجديد» التي حدّدتها نخب سياسية وفكرية «تحديثية» في مجتمعات ماقبل حداثية. لقد كان تجديدها أو تحديثها ـ والنعوت كثيرة ـ ذا هدف أول هو إنقاذ النخبة ذاتها لذاتها. لذلك كان من سمات الإنقاذ أن يكون التجديد في لحظات أزمة. وهي أزمة تسمى، في العادة، «أزمة مجتمع»، ولكنها، أيضاً، أزمة نخب.

لماذا يجدّد المثقفون العرب خطابهم؟ عندما انتشرت طلائعية الأدب والفن، كان من ذهب إلى أنها بحثُ البرجوازية الصغيرة عن حل لعقدتها. بدا هذا للبعض، إذّاك، مضحكاً، ولكن تبيّن، مع الزمن، أن الرأي لا يخلو من فطنةٍ، إذا نُظر إليه من وجهة ما تبحث عنه الطبقات والفئات الاجتماعية من حل لمشاكلها الخاصة. المثقف العربي محظوظ، من هذه الوجهة، بما يجده من «صعيد عربي» يضع قوله فيه، تلقائياً ومباشرةً، مع افتراض أنه يتحدث باسمه، وكأنه يمثله. وهو ما جعل القول يغمر ما هو فئوي أو صنفي، إضافة إلى

غمر ما هو فردي أو شخصي. تساءل المثقف العربي عن «انتليجنسيته»، في الثمانينيات ولمدة قصيرة، فاقترب قليلاً من موضعه كصنف اجتماعي، قبل أن يتفرّع كلامه، من جديد، في متاهات الوضع العام.

ماذا نجدّد؟ لا يتجدّد إلا القديم. لذلك ففي التجديد، بالضرورة، علاقة بالماضي القريب أو البعيد. التجديد لا يحمل معنى القطيعة. ولأنه كذلك فله، إجمالاً، آفاق وحدود إصلاحية، وله، أحياناً، آفاق وحدود ترميمية. التجديد، في معناه العام، إصلاحي بالدرجة الأولى. وهو كجهد فكري قرينُ الاجتهاد. ولأن روافده من أزمنة مختلفة، ما مضى منها وما يأتي، فهو معرض للتلفيقية. إن ما يسمى خطاباً عربياً لا يمكن تقطيعه إلا أفقياً: عندئذ تظهر التداخلات بين المرجعيات والأنساق، بمقولاتها ومفاهيمها المتناثرة على سطحه الممتد من جاهلية الحديث إلى ما بعد الحداثي، تماماً كما قد تتناثر على أعمدة صفحة واحدة من جرائدنا اليومية.

بعض الذين أدركوا صعوبة الجديد في التجديد، فضلوا الحديث عن «التأسيس»، بما في ذلك التأسيس لخطاب عربي. مرّت فترة تبارى فيها المؤسسون في كل مجال وباب. وها نحن نعود إلى التجديد. وهذا منتظر: كلما عجزت مجتمعات عن التجاوز نحو الأمام تراجعت حلولها إلى الوراء. حدث هذا للخطاب القومي، أيضاً، عندما التجأ إلى «الإسلامي». وبقطع النظر عن مبرراته، سواء كانت ثقافية أو تحالفية، فإن هذا الاتجاه التجديدي تعبير عن صعوبة الخطاب في المضي قدماً، بدافع ذاتي. وبصورة أعم، فالافتراض أنه إذا خنقْتَ «عربياً» خرج منه «إسلامي»! والعكس أقل احتمالاً.

لا نجد لمفهوم القطيعة التي قام عليها تاريخ الفكر الحديث أي أثر جدّي في الفكر السائد عربياً وإسلامياً، كما لا نجد تمايزاً واضحاً بين الأنساق الفكرية. لذلك، لا نعرف، تحديداً، ماذا نجدّد. وما دام الأمر كذلك، فليس مستغرباً أن يكون من بين مشاريعنا «تجديد حضاري»، مثلاً. مشروع كهذا، مع نبل مقصده، يؤشّر بوضوح على اتساع ما يجب تجديده عبر الزمان والمكان، إلى حدود الاستحالة النظرية والعملية. ويبدو أن الخطابات العربية الكبرى ـ باعتبارها تصاغ عبر رصيدِ ثقافةٍ كبرى ـ محكوم عليها بحمل مشاريع كبرى مستحيلة الإنجاز. الاستحالة هي ذاتها محرّك هذه الخطابات، حتى الآن.

من يجدّد؟ ما دام التجديد على ألسنة كل من قالوا وفي أقلام كل من كتبوا، فهو لن يكون. التجديد، بمعنى إنتاج الجديد، هو إنتاج للمعنى. وأغلب من يقولون ويكتبون ينتجون اللامعنى. يمكن القول، من دون تردّد، إن أغلب ما ننتجه اليوم ونتواطؤ على تداوله، عربياً، هو من قبيل اللامعنى. هذا باعتبار أن مجموع الإنتاج «نص» واحد، أو هو جملةٌ طويلة لا تنتهي. بهذا يكون، في مجموعه، كبيت امرئ القيس (قفا نبكِ ...) عند الجرجاني في دلائل الإعجاز، لمّا أعاد توزيع ألفاظه توزيعاً أراد منه توضيحَ غياب المعنى. وقد لا يختلف «الخطاب» عن ذلك، لما فيه من توزيع المقولات توزيعاً لا ينتظم بسبب التكرار والتمطيط والتنافر والتناقض والفراغات وما لا يُحيل على مدلول. وأبرز ما يكون ذلك في جملة ما يُقال ويُكتب، كمادةٍ خام، في وسائل الإعلام العربيّة، كما قد يكون في كتابات يقوم تناسلها على مبدأ «التكرير». وللتوضيح: ليست «في الإعادة إفادة»،

خلافاً لما يُقال، لأن «الفائدة» ـ إن كانت ـ تكون خارج إنتاج المعنى. واللامعنى هو، تحديداً، عدم إنتاج المعنى.

وإذا كنا لا نرى اللامعنى، فلأننا تعودنا البحث عن المعنى. كل آليات الفهم، بدءاً بالنحو، وُضعت لإدراك المعنى. ولعله حان الوقت، أمام انحلال المعاني، أن نوجد آليات لكشف اللامعنى ولمحاصرته. أما إجرائياً، فليس هناك غير تمنّي أن تكفّ أغلب الألسنة والأقلام عن القول والكتابة! وإذا كان هناك «تشهير»، فليكن بمنتجي اللامعنى لا بمن ينتجون المعنى...

وليس هذا خاصاً بالعرب: من يؤسسون الخطاب أو يجدّدونه يُعدّون على الأصابع في كل لحظة من لحظات تاريخ أي مجتمع. قطعاً، لنا نصوصنا المؤسسة أو المجدّدة في تاريخنا العربي الحديث والمعاصر. أوائل القوميين، فكراً، أسسوا خطاباً، من دون شك. أسماؤهم المعروفة لا تزال مرجعيّةً صريحة أو ضمنيّة. أما الأحياء، فمنهم عندي، على سبيل المثال لا الحصر، عبد الله العروي، بدءاً بـ«الايديولوجيا العربية المعاصرة» ومروراً بنصوص أخرى يمكن القول إنها أسست لخطاب تاريخي عربي معاصر: مهما كان التوازي أو التقاطع أو الاختلاف معه فهو غير قابل للتحاشي أو التناسي. مساهمات هشام جعيط أو وجيه كوثراني، بل بدايات الجابري أيضاً وكل ما جرى مجرى المساهمة الجادة تندرج إضافته في نسيج خطابي كان للعروي نسجُ خيوطه البارزة. وهذا معنى التأسيس، وإن كان نسبياً، دائماً: جهد عبد العزيز الدوري في تحديث الخطاب التاريخي العربي سابقٌ وبَنّاء. في مجال أكثر حصراً، ودائماً على سبيل المثال، فتح هشام شرابي، هو الآخر، آفاقاً لخطاب عربي عن «البطركيّة» مِيزتُه الكبرى في تماسكه البنائي. لكن كيف لمثل هذه النصوص أن تؤثر وقد غمرها طوفان الألسنة والأقلام؟ لا نعرف، ملامح المجدّدين لخطاب قومي يجمع بين التماسك وإنتاج المعنى في اللحظة التي نعيشها، ولكننا نعرف ملامح المجدّدين بلا تجديد.

كيف نجدّد؟ من السذاجة الاجابة، هنا، عن هذا السؤال. **أولاً**، لأنه سؤال قديم، بعض أجوبته المتأخرة أقل تقدماً من أجوبته القديمة. **وثانياً**، لأن من لا يعرف لماذا نجدّد؟ وماذا نجدّد؟ ومن يجدّد؟ لا يعرف كيف يجدّد. المقصود، إذاً، إعادة طرح السؤال لا ارتكاب خطأ الاجابة عنه. هذا السؤال كان ولا يزال تحدّياً معرفياً وقومياً. ومما يتضمنه أن الوقت قد حان لأخذ مسألة «القطيعة» مأخذ الجد: إلى متى ونحن بين ماض ولّى ومستقبل لا يأتي؟ وهو يتضمن، أيضاً، إعادة المعنى إلى الخطاب القومي. وهذه مسألة كبرى لأن بناء خطاب متماسك، ينتج المعنى القومي، لن يعاني صعوباته الراهنة فحسب، وإنما سيواجه أيضاً صعوبات التفكك العام بين الثقافة والمجتمع. وهو ما يعني أن الربط بين الخطاب والحركات والفئات الاجتماعية التي تحمله سيكون أصعب. ثم إن وراء كل هذا توجد اللغة الماسكة بكل الخيوط: تناسيها كارثة مستمرة في مجتمع فقد وسيلة التعبير الأولى.

كيف نجدّد خطاباً يكون خطاباً وقومياً في آن واحد؟ سؤال لا جواب عنه من دون التوقف عند حاجز «الواو»!□

مستقبل الفكر القومي العربي(*)

زياد حافظ

باحث لبناني مقيم في الولايات المتحدة.

مقدمة

تعيش الأمة العربية أحلك أيّام تاريخها الحديث. فالعراق، مهد الحضارات والوعي القومي العربي يرزح تحت احتلال باسم «الحرية» و«الديمقراطية». في الوقت نفسه، تتعرض فلسطين، أرضاً وشعباً، إلى عملية اغتصاب من قبل حكومة كيان تمّ وصف رئيسه بـ «رجل سلام» من قبل رئيس الولايات المتحدة. إضافة إلى ذلك، هناك وجود لقواعد عسكرية أمريكية في أكثر من قطر عربي وحصار لأكثر من قطر، وسط حالة من الإرباك العام بين النخب العربية، أو التي نصّبت نفسها كذلك، لا يدحضها إلا تحرير جنوب لبنان والانتفاضة المستمرة منذ ثلاث سنوات تقريباً في فلسطين المحتلة، ومقاومة تتعاظم يوماً بعد يوم في وسط العراق وقد تشمل قريباً كافة القطر. فالانتفاضة في فلسطين المحتلة أربكت الكيان الصهيوني والإدارات الأمريكية (كلينتون وبوش) والنظام العربي وأبواقهم الذين أدانوا أسلوب المواجهة التي اعتبروها غير حضارية وناتجة من غرائز بشعة تغذّيها ثقافة الموت على حدّ زعمهم. والواضح أن أسلوب المقاومة المتّبعة في فلسطين المحتلة عرّت مشروع الكيان الصهيوني وزعزعته بنسف عامودي الأمن والرخاء اللذين أقيم عليهما الكيان وكشفت آفاقه المسدودة، وألغت تفوّقه التكنولوجي الذي أرعب وما زال يرعب النظام العربي الرسمي. أما المقاومة الوطنية العراقية فهي تنفي مزاعم المحتل الأمريكي عن رضى الشعب العراقي بوجوده، وأصبحت تكبّده بخسائر يومية وبارتفاع ملحوظ قد لا تستطيع الإدارة الأمريكية تحمله داخلياً.

(*) في الأصل محاضرة ألقيت في النادي الثقافي العربي في بيروت بتاريخ ٢٠٠٣/٨/٦ بدعوة من المنتدى القومي العربي.

أما الإرباك في صفوف «النخبة» فأتاح الفرصة لإعداد هجمة مركزة على القومية العربية والفكر القومي برمّته على صفحات الجرائد وعبر الفضائيات العربية. والهدف من تلك الهجمة المركزة هو كسر الوعي القومي الذي ما زال راسخاً في الوجدان العربي على رغم كل الانتكاسات التي مرّت بها الأمة العربية على مدى الخمسين السنة الماضية. فالعلاقة واضحة بين الوعي والثقافة، إذ إن الوعي يولد الفكر، والفكر يولد الموقف السياسي (أي المواجهة والمقاومة مثلاً)، والموقف السياسي يولد الثقافة، وبخاصة ثقافة المواجهة، وهذه الأخيرة تعزّز مجدداً الوجدان. ذلك هو المعنى الحقيقي والفعلي للمطلب الأمريكي لتغيير الثقافة والبرامج التعليمية بحجة إدخال القيم الديمقراطية الكابحة للنزعات الإرهابية التي تولدها الثقافة العربية الحالية، على حدّ زعمهم. غير أن الواقع مخالف كلياً لتوجهات المسؤولين الأمريكيين وحلفائهم في المنطقة، كما جاء في استطلاع للرأي العام العربي أعدّته مؤسسة أمريكية في خريف عام ٢٠٠٢ ليؤكد أن المقوّم الأساسي الأكثر ذكراً لهوية المواطن العربي في معظم الأقطار الممسوحة في ذلك الاستطلاع هو انتماؤه للعروبة، وذلك قبل المقوّم أو الهوية الدينية أو القطرية[١]. من ناحية أخرى، أفاد وزير دفاع الكيان الصهيوني شاؤول موفاز عندما كان رئيساً للأركان في مقابلة في غاية الأهمية لإحدى الصحف الإسرائيلية، أن هدف الهجوم على مدن الضفة الغربية لم يكن لتدمير «البنية التحتية للإرهاب» كما كانوا يزعمون، بل لكسر «وعي الإنسان الفلسطيني» الذي يجب عليه أن لا يفكر في يوم من الأيام أن بإمكانه إقامة مواجهة ناجحة مع الكيان الصهيوني[٢].

وبالتالي، تتركز الهجمات على إعلان وفاة القومية العربية على صفحات الجرائد وعلى الفضائيات لتغييب الخطاب القومي العربي من الوعي العربي، غير أن ذلك ليس بجديد، فقد تمّ إعلان الوفاة بشكل دوري ومنتظم منذ سبعينيات القرن الماضي في شتّى المحافل. لكن اليوم، يستثمر غلاة «الواقعية» أو «العقلانية» المرتبطة بالتيار العولمي الليبرالي ودوائر القرار الأمريكي، سقوط بغداد واستمرار الاحتلال واضطهاد وقمع الشعب الفلسطيني من قبل قوات الكيان الصهيوني وسط صمت عربي رسمي مدوّ، كبرهان ساطع عن وفاة القومية العربية ونهاية الفكر القومي[٣]. وهذه الطبقة من المثقفين الناشئة هي «من فلول اليسار والحركات والشخصيات المهزومة شعبياً وسياسياً وثقافياً، والتي تملك في الوقت نفسه مداخل العمل الثقافي والإعلامي وإمكانيات مالية كبيرة تواجه حقيقة أنها مرفوضة تماماً»[٤]. ويضيف الكاتب الأردني أن «فهم ثقافة السلام الجديدة

---

(١) James J. Zogby, *What Arabs Think: Values, Beliefs and Concerns* ([Utica, NY]: Zogby International; Commissioned by the Arab Thought Foundation, 2002), p. 50.

(٢) *Maariv*, -/11/2002.

(٣) انظر مشعان الجبوري في برنامج «الاتجاه المعاكس» على قناة الجزيرة في ٢٠٠٣/٧/٨، وكنعان مكيّة في برنامج «الحدث» على قناة المؤسسة اللبنانية للإرسال في ٢٠٠٣/٧/١٣.

(٤) انظر إبراهيم غرايبة متحدثاً عن ثقافة السلام الجديدة على قناة الجزيرة في ٢٠٠٣/٧/١٩.

قائم على ملاحظة صياغة العالم في ديمقراطية لا تتيح لغير النخبة الليبرالية الوصول إلى مواقع النفوذ، وبالمقابل حرمان وتجاهل ومطاردة، وربما اغتيال وتصفية للآخرين الممانعين»[٥]. فالمشروع القومي والفكر القومي على حدّ زعمهم ارتبط بالاستبداد وبشخص الطاغية، وبالتالي نهاية الاستبداد أو الطاغية تعني نهاية المشروع القومي الذي لم يولّد إلا المآسي والويلات لشعوب المنطقة. ومن الطبيعي أنه لا يمكن اختزال المشروع القومي بنظام أو بمؤسسة، ولا الفكر بشخص.

ضمن هذه الهجمات انعقد في صنعاء في أواخر شهر حزيران/يونيو المؤتمر القومي العربي الرابع عشر، مما أثار ردود فعل عديدة من مؤيدة إلى ناقدة و/أو معادية وفقاً لمعايير مختلفة معظمها متجاهل للتطورات التي حصلت على صعيد الفكر القومي العربي منذ بداية الثمانينيات[٦]. وبات واضحاً من شراسة الانتقادات ضد المؤتمر أن المقصود هو الفكر القومي العربي والمشروع القومي العربي بحدّ ذاته، إضافة إلى تصفية حسابات معظمها شخصية ولا تغني النقاش بأي شيء. أما الحقيقة فهي مخالفة كاملاً لما يدّعي أعداء المشروع والفكر القومي العربي. إن ما حصل في العراق لم يكن سقوطاً للمشروع القومي العربي أو الفكر القومي، بل كان سقوطاً لنمط معيّن للدولة القطرية والمشروع القطري، وبخاصة ذلك الفكر القطري الاستبدادي ليس في العراق فحسب بل في كافة الأقطار العربية. لقد تبيّن أن الدولة القطرية، وإن رفعت يافطة القومية، لا تستطيع حماية حدودها، كما أنها لا تستطيع تأمين اقتصادها وتحقيق تنمية مجتمعها سواء على الصعيد الاقتصادي أو الاجتماعي أو الإنساني أو الثقافي. كما أن الدولة القطرية وفقاً لتركيبتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ونهج سلوكها ونظام حكمها السائد لم تستطع إيجاد آلية للتحديث والتغيير في مجتمعها على رغم تجربة استمرّت أكثر من خمسين عاماً في معظم الأقطار. ألم يحن الآن إعطاء الفرصة لدولة الوحدة أو على الأقل إعادة صياغة الدولة القطرية بشكل يلغي أو يحيّد التناقض بين الكيان القطري والدولة القومية؟ أليس إنشاء دولة الوحدة أو المباشرة الحقيقية لبنائها هو الردّ الاستراتيجي على جميع أشكال العدوان التي تتعرض لها أمتنا العربية؟

وهل صحيح أن فقدان الديمقراطية في كافة الأقطار العربية هو السبب الرئيسي، إن لم يكن الوحيد، في إلحاق الهزيمة؟ السؤال لا يعني التشكيك في إقرار الإشكالية للمسألة الديمقراطية، بل محاولة لوضعها في سياقها التاريخي وفقاً للمعطيات السائدة في الحقبة الزمنية التي ارتبطت بها فكرة المشروع القومي بهذا النظام أو ذاك. ولا بد من تخصيص الحقبة الناصرية التي شكّلت المرتكز للمشروع القومي والتي تشكل اليوم محور الهجوم على كل من المشروع والفكر القومي. فالحقيقة أنه لم تغب عن بال جمال

---

(٥) المصدر نفسه.

(٦) «الديمقراطية والمجتمع المدني،» في: يوسف الشويري، **القومية العربية: الأمة والدولة في الوطن العربي، نظرة تاريخية** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٢)، الفصل ٨.

عبد الناصر قضية الديمقراطية، وقد حاول معالجتها وفقاً للظروف التي كانت تحيط بثورة تموز/يوليو[٧] وعلى الأرضية المعرفية السائدة آنذاك. وكانت مشكلة عبد الناصر أنه لم يستطع تجاوز عقدة تعدّد الأحزاب لما كانت عليها قبل الثورة (وربما كان محقاً في ذلك) والتي لم تكن تمثل الشرائح الواسعة للمجتمع المصري والتي كان ينخرها الفساد، وبالتالي لم تستطع تلك الديمقراطية المزيّفة منع الهزيمة ونكبة فلسطين! ليس ذلك تبريراً للنهج التسلطي الذي اتبع في ما بعد، ولكن لا بد من إصدار الحكم عليه من خلال السياق العام للأمور. إضافة إلى ذلك، كان الاجتهاد آنذاك أن الأولوية كانت للديمقراطية الاجتماعية أو الاقتصادية كخطوة لا بد منها قبل بناء الديمقراطية السليمة كما أسهب شرحها في **الميثاق**، فإن التطورات والأحداث، وبخاصة هزيمة عام ١٩٦٧، أتت لتضرب الإنجازات التي حققتها الثورة. فلا ينبغي أن يغفل عن البال أن النمو الاقتصادي الذي تمّ تحقيقه في الجمهورية العربية المتحدة خلال الفترة (١٩٥٤-١٩٦٦) وبخاصة في القطاعات الإنتاجية الحقيقية (صناعة وكهرباء، بناء وتشييد)، تجاوز الستة بالمائة سنوياً[٨].

ليست مهمتنا اليوم الغرق في الردّ على الهجوم المغرض على التيار القومي العربي وفكره، كما لسنا في إطار ممارسة النقد الذاتي الذي بدأ بالفعل منذ الستينيات وما زال مستمراً وكاد يقع في مطب جلد الذات. إن المهمة التي تقع على عاتق المفكرين القوميين العرب هي استكمال العمل التجدّدي الذي بدأ في مؤتمر قبرص في أواخر شهر تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٣ تحت إشراف ومبادرة من مركز دراسات الوحدة العربية. وبات واضحاً من وثائق ووقائع المؤتمر أن الخطاب القومي أدخل بشكل مكثف مفهوم الديمقراطية في أدبياته، وإن كان ذلك غير مستغرب لأن «لكل من مصطلحات الديمقراطية والاشتراكية والعلمانية والوحدة والعقلانية واليقظة والنهضة البرلمانية جذوراً راسخة في ذاكرة أبناء النصف الأول من القرن العشرين»[٩]. وبالتالي لا أساس لتهمة الفكر القومي بأنه يولّد الاستبداد أو العنصرية أو حتى اللاسامية[١٠]. ولن أسترسل في تأريخ تطورات الفكر القومي الجديد لأنني لا أستطيع الإضافة على ما أتى به د. يوسف الشويري في دراسته المهمة الآنفة الذكر، ولأن محور الاهتمام بالنسبة إليّ هو النظر إلى المستقبل، وهذا ما سأركز عليه في ما يلي.

---

(٧) عصمت سيف الدولة، **هل كان عبد الناصر ديكتاتوراً؟** (بيروت: دار المسيرة، ١٩٧٧).

(٨) سعد حسين فتح الله، **التنمية المستقلة: المتطلبات والاستراتيجيات والنتائج: دراسة مقارنة في أقطار مختلفة**، سلسلة أطروحات الدكتوراه؛ ٢٧، ط ٢ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩)، ص ١٣٦. إن هذا المصدر أوجد إحصاءات للفترة ما بين ١٩٥٢ و١٩٦٠ فقط، إلا أن هناك مصادر عديدة تفيد بأن النمو المذكور استمر حتى عام ١٩٦٧ وتوقف بسبب نتائج الحرب (محاضرة لمحمد حسنين هيكل ألقاها عام ١٩٩٥).

(٩) الشويري، **القومية العربية: الأمة والدولة في الوطن العربي، نظرة تاريخية**، ص ٣٢٨.

(١٠) حازم صاغية، **قوميو المشرق العربي: من درايفوس إلى غارودي** (بيروت: رياض الريس، ٢٠٠٠).

أولاً: آفاق الفكر القومي

السؤال الذي يمكن طرحه هو: هل من مستقبل للفكر القومي العربي، ولماذا؟ الإجابة هي: نعم، وذلك لعدة أسباب: **أولاً**، إن الفكر القومي غني وقابل للتطور لأنه يسدّ حاجة في الوعي العربي، كما تدل مختلف الوثائق والنصوص الفكرية التي تمت مراجعتها. فالمرحلة **الأولى** للفكر القومي والتي امتدت طيلة القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الأولى كانت تهدف الى مواجهة الاستبداد العثماني والانفصال عن الدولة العثمانية كردّ فعل على تتريك الدولة. أما في المرحلة **الثانية** التي امتدت من الحرب العالمية الأولى حتى نهاية الحرب العالمية الثانية فكانت لمكافحة الاستعمار والحصول على الاستقلال، وتميّزت ببلورة المضمون النظري للفكر القومي. أما المرحلة **الثالثة** التي امتدت من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى أواخر الستينيات فكانت مرحلة التأييد الشعبي والالتزام بالبرامج الراديكالية. أما المرحلة **الرابعة** التي بدأت منذ أوائل السبعينيات وما زالت مستمرة فهي مرحلة إدخال الديمقراطية إلى قاموس الخطاب القومي العربي والبحث عن المشروع السياسي للمرحلة الراهنة والمستقبلية، لأن ذلك هو المطلب الذي يتجاوب مع منطق الضرورة وإلا لفقد الفكر القومي العربي دوره الوظيفي في تغذية الوعي العربي. والجدير بالذكر أن تلك المرحلة شهدت ابتعاد القيادات والنخب القومية عن مفاصل الفكر القومي العربي والانحراف في السلوك بسبب فقدان الآلية التي كان يمكن استخدامها في المشروع القومي العربي. هذه الآلية تمثلت في الحزب والجيش والآفاق المسدودة التي آلت إليها. أما السبب **الثاني** الذي يدل على مستقبل مشرق للفكر القومي العربي فهو مناعة ذلك الفكر في مواجهة الاضمحلال بعد الهزائم والنكسات. لقد تمت الإشارة أعلاه إلى إصرار أعداء الأمة على إعلان وفاة الفكر والمشروع القوميين بشكل دوري، مما يدل على حيوية ومناعة لهما لا يتحملهما أعداء هذه الأمة.

لقد كانت المسألة المسيطرة على اهتمامات المثقفين القوميين العرب لفترة طويلة من الزمن، هي البحث عن النظرية التي «تمنح الحركة القومية شخصيتها المميزة وتضمن تقدمها المطرد نحو تحقيق الغايات الكبرى»[١١]. وبات واضحاً من مراجعة النصوص الأساسية للفكر القومي العربي أن التركيز كان على مسألتين أساسيتين في الفكر، ألا وهما قضية الوحدة وكيفية تحقيقها، وقضية الديمقراطية وأهمية توفرها كمبدأ أساسي في النهضة العربية الحديثة. والظروف الراهنة تفرض إضافة محور **ثالث** وهو استعادة التراث في الفكر القومي الذي تخلّى عنه، فتم احتكاره من قبل التيارات الدينية. ففي ذلك السياق، أعتقد أن آفاق الفكر القومي العربي تكمن **أولاً** في تطور الفكر العربي عامة؛ و**ثانياً** في الارتباط بمشروع سياسي يؤدي إلى بناء دولة الوحدة في أحسن الأحوال أو الموقف المشترك في أسوأها على أسس توفر الحرية للفرد والمجتمع، ومشروع اقتصادي يمكّن التنمية والفرص للجميع، ورؤية اجتماعية تنصف كافة شرائح المجتمع

---

(١١) الشويري، المصدر نفسه، ص ١٥.

وتمكّن المرأة، ومنظومة ثقافية لا تمسخ التراث ولا تقف عائقاً أمام التجدد الحضاري؛ مشروع واضح المعالم والمفاصل سمته المرونة ليشكل دليلاً للعمل؛ وثالثاً في إيجاد الآلية أو الآليات التي تكفل تنفيذ المشروع وتحويله إلى واقع سياسي وثقافي يغذّي الوعي والمعرفة والوجدان العربي ولا تلغيه التطورات السياسية أو الأمنية الخارجية. كما أن سمة الفكر القومي العربي تفرض أن يكون تحديثياً ومحدثاً للتغيير ومنفتحاً على كافة التيارات الفكرية. ولا بد من الإشارة إلى أن مجهوداً كبيراً قد حصل فعلاً في ذلك الإطار. والدليل الملموس هو على سبيل المثال في منشورات مركز دراسات الوحدة العربية الذي كان منذ اللحظة الأولى لتأسيسه مثابراً على فتح آفاق الفكر القومي على الاتجاهات كافة بغية تحقيق التحديث والتجديد في النشاط الفكري.

لماذا الفكر العربي؟

أعتقد أن الفكر القومي نشأ في الأساس نتيجة لانفتاح الفكر العربي على كافة الاتجاهات الفكرية خلال فترة النهضة العربية في القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين إن لم يكن أيضاً حتّى أواخر الستينيات. والفكر العربي هو وعاء للفكر القومي، وبالتالي لا يمكن للأخير أن يتطور وينمو خارج ذلك الوعاء. والهدف أو الطموح للفكر القومي حسب رأيي هو الارتقاء الى مرتبة الفكر العربي أو جعله الناتج الأساسي لذلك الفكر، إضافة إلى تحقيق المشروع السياسي في الوحدة. فالفكر القومي كما أراه هو فكر إنساني منفتح على كافة التيارات سواء أكانت سياسية أو دينية أو مادية أو إقليمية من منطلق بسيط وواضح، وهو أن كل ما يمكن أن يساهم في تحقيق أهداف الأمة هو من صلب الفكر القومي، وبالتالي لا يمكن فصله عن الفكر العربي. إن الفكر القومي الحديث يهدف إلى حلّ التناقضات الدينية والعرقية والسياسية المزمنة في الوطن العربي عبر مربّع قوامه: العروبة، والإسلام بمفهومه الحضاري، والديمقراطية، والعلم، كل يحمي الآخر منفردين و/أو مجتمعين. من جهة أخرى، لا بد من الإقرار بأن القومية العربية كما نفهمها هي إحدى الحلقات في التطور الإنساني في الوطن العربي، وتوجهاتها عالمية وفقاً لتاريخها ولإرثها، ولا يمكنها أن تكون منغلقة.

أما مقومات الفكر العربي، فهي نفسها التي تربطها بالفكر البشري، ألا وهي **أولاً** الانحياز إلى دور العقل وسلطته ومساندته للحركة والتغيير في الفكر والانقطاع عن الفكر الغيبي والاعتماد على العلم والمنجزات العلمية التي بلغتها الإنسانية في مطلع هذا القرن. فالفكر العربي لن يخرج من المأزق الذي هو فيه إلا إذا عاد إلى سلطان العقل. **ثانياً**، استرجاع دور الفلسفة، أمّ العلوم كما يقول محمد شحرور[١٢]، وإنجاز نظرية للمعرفة غير مرتبطة بمتاهات الجدل العقيم بين الأصالة والحداثة، أو بين الهوية والحداثة والتراث، أو بين صراع الحضارات الخيالية الأسطورية، كما عبّر عنه جورج قرم في مؤلفه الأخير، حيث استعرض المسلمات الفكرية الرئيسية التي استند إليها الفكر الحديث «والتي غالباً ما

(١٢) محمد شحرور، الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة (دمشق: الأهالي للنشر، ١٩٩٠)، ص ٤٣.

قبل بها المثقفون العرب من دون نقد معمق أو من دون التطرق إلى وظيفة هذه المساهمات في الخطاب الغربي، سواء الذي يوجهه إلى نفسه... أو الذي يوجهه إلى الآخر الشرقي»[١٣]. لقد تاه المثقفون العرب في المحاولات التوفيقية بين نظم المعرفة والتراث، وفي مقدمتهم روّاد النهضة العربية، من خلال ازدواجية متعارضة بين من ينشد الاندراج في سياق الثقافة الغربية وبين من يطلب الانسلاخ عن الشيطان الغربي والاحتماء بالهوية الإسلامية[١٤]. من ناحية أخرى، لا بد للفكر العربي من أن ينفصل عن الفكر الديني، فلكل مجاله، قد يلتقي مع الآخر في كثير من الأحيان، وقد يفترق عنه دون تشكيل جدلية عقيمة تنهك الفكريْن دون إغنائهما. فالفكر العربي بروافده الدينية والفلسفية والسياسية أساس مجتمع المعرفة الذي نتوخى بناءه.

والجدير بالذكر أن إنتاج مجتمع المعرفة في الوطن العربي يتطلب مجهوداً كبيراً يبدأ بمراجعة وتدقيق شاملين لمكوّنات ذلك المجتمع بدءاً من المنظومات التربوية (أي من محو الأمية إلى المراحل الابتدائية ثمّ الثانوية وأخيراً الجامعية) وانتهاءً بمعاهد البحوث والدراسات. والقضية لا تشمل طريقة التعليم ومضمون البرامج التعليمية وفقاً لمتطلبات «السوق» فحسب، بل أيضاً وفقاً لرؤيتنا عن ثقافة الإنسان العربي. وأودّ التوقف قليلاً عند دور المدرسة مؤكداً ما ذكره جبران مسعود: «ليس كالمدرسة للعقول أفق رحب تتجادل فيه، ففيها للنابه بث متجدد، وفيها للخامل حافز وتحدّ، وفيها خصوصاً احتكاك الأضداد في الشخصيات الفكرية، وما يولده من إشعاع، ولذا فإن المدارس ـ صغيرة كانت أو كبيرة، غرفة في دار أو صرحاً منيعاً، حمى معابد أو حمى بيوتات – أولى دعائم النهضة وأبعدها أثراً»[١٥]. هذه الكلمة الجامعة تؤكد أن «للمدرسة – الوطنية منها والخاصة ـ أكبر الدور في عملية النهوض التربوي والانبعاث الحضاري، لأنها الملجأ الذي تستقر فيه النفوس، والمكان الذي تهوي إليه الأفئدة. هي باختصار ملاذ طلاب العلم والمعرفة، الذين يتوقون إلى إقامة حياة عادلة، ومستقبل كريم، وبالتالي الصرح الأكاديمي، الذي يرتكز على دعائم العقل، ويميّز بين الجهالة والتقدّم، ويقضي على التخلف والتبعية»[١٦].

من جهة أخرى، لا بد من التركيز على الإنتاج الثقافي في الآداب والفنون والأبحاث في الإنسانيات والإنتاج العلمي عبر المجهود الفردي والمؤسسي المَنهج ونشره عبر وسائل الإعلام المرئية والصوتية والمكتوبة. كما لا بد من إدخال تكنولوجيا الاتصال

---

(١٣) جورج قرم، **شرق وغرب: الشرخ الأسطوري**، ترجمة ماري طوق؛ أشرف على الترجمة جورج قرم (بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٣)، ص ١١–١٢.

(١٤) نصر حامد أبو زيد، **النص، السلطة، الحقيقة: الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة** (بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٥)، ص ٣٥.

(١٥) جبران مسعود، **لبنان والنهضة العربية الحديثة** (بيروت: بيت الحكمة، [١٩٦٧])، ص ٣٦.

(١٦) منذر معاليقي، **معالم النهضة العربية في الفكر العربي الحديث** (طرابلس: المؤسسة الحديثة للكتاب، ٢٠٠٣)، ص ١٠٥.

والمواصلات والاحتساب في صلب ثقافتنا للزيادة من الإنتاجية. كما أن منظومة المعرفة المرجوة لا يمكنها أن تتجاهل البعد الاقتصادي والاجتماعي. فالفرد العربي لا يقرأ بسبب رداءة المنتوج وبسبب كلفته، والأولوية في اهتماماته هي إيجاد لقمة العيش قبل السعي إلى المعرفة والثقافة التي كثيراً ما تبدو نوعاً من الترف.

ثانياً: المشروع الوحدوي النهضوي العربي

أما المحور الثاني للفكر القومي العربي، فهو في تحديد ملامح ومفاصل مشروع يستهوي العقل أولاً، والوجدان العربي ثانياً، لتشكيل برنامج سياسي يحدّد مسار العمل السياسي المطلوب من النخبة المؤمنة بجدواه. أحد الاقتراحات لذلك المشروع تمّ إقرار مبادئه في المؤتمر الذي عقد في قبرص سنة ١٩٨٣ المذكور آنفاً، والذي تبناه المؤتمر القومي العربي في ما بعد منذ بداية تشكيله وانعقاده سنة ١٩٩٠. هذه المبادىء ليست جديدة، بل «إنها كلها حاضرة في الوجدان التاريخي والعقل الجماعي العربي»[١٧]. ولا بد من المزيد من البحث لصقل المضمون وإدخال المستجدات الفكرية ضمن الخطاب القومي. هذه المبادىء هي:

- الديمقراطية في مواجهة الاستبداد.
- العدالة الاجتماعية في مواجهة الاستغلال.
- الوحدة العربية في مواجهة التجزئة.
- الاستقلال في مواجهة الهيمنة الأجنبية والمشروع الصهيوني.
- التنمية المستقلة في مواجهة النمو المشوّه والتبعية.
- الأصالة الحضارية في مواجهة التغريب والمسخ الحضاريين[١٨].

إن هذه المبادىء أخذت «تحل تدريجياً، وخارج الإطار الرسمي أو الحزبي للقومية العربية، محل الشعار الثلاثي الشهير: الوحدة والحرية والاشتراكية، أو الحرية والاشتراكية والوحدة»[١٩]. مما يدلّ على «أن الحياة العربية ازدادت تعقيداً وأضحى التعبير عن هذا التعقيد يتطلب تجشم مسؤوليات أكثر جسامة مما عهدناه من قبل»[٢٠].

---

(١٧) علي خليفة الكواري [وآخرون]، **المسالة الديمقراطية في الوطن العربي**، سلسلة كتب المستقبل العربي؛ ١٩، ط ٢ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠١)، ص ٨.

(١٨) انظر مقدمة سعد الدين إبراهيم ورقة قدمت إلى: **أزمة الديمقراطية في الوطن العربي: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية**، ط ٣ (بيروت: المركز، ٢٠٠٣)، ص ٢٨.

(١٩) الشويري، **القومية العربية: الأمة والدولة في الوطن العربي، نظرة تاريخية**، ص ٣٣٨.

(٢٠) المصدر نفسه.

المبدأ الأول: الديمقراطية في مواجهة الاستبداد

بات واضحاً أن إلحاح «المطلب الديمقراطي» في هذه المرحلة يجعل منه «القاطرة» التي تدفع المشروع الحضاري النهضوي العربي الجديد إلى الأمام[٢١]. وإذا كان صحيحاً أن الحديث عن الديمقراطية بدأ بين مثقفين معنيين بقضية الديمقراطية في ندوة مركز دراسات الوحدة العربية المذكورة نابع من واقع الضرورة «فهناك اتجاه مغال في تقديس الديمقراطية، ليس في حبّها، وإنما في تقديسها، من حيث ما يرتبه من نتائج على وجود الديمقراطية، الإحساس بأن الديمقراطية إذا جاءت، ولا ندري من أين تأتي، تحلّ كل شيء...»[٢٢]. هذا النوع من التفكير الذي يسود عدداً كبيراً من المثقفين، يجب التوقف عنده. وللأمانة، إن موقف إسماعيل صبري عبد الله ينقد ذلك التفكير. فالمسألة تكمن في اختزال المشكلة في أن الديمقراطية هي أساسية لحلّ كل مشاكلنا، وأن شكل الديمقراطية المطلوب هو الديمقراطية الغربية دون الأخذ بعين الاعتبار بعض الوقائع المادية كالأمية المتفشية في عدد كبير من الأقطار العربية، كما أشار إلى ذلك تقرير التنمية الإنسانية لبرنامج التنمية للأمم المتحدة، وما يمكن وصفه بخصوصيات الوطن العربي وتركيباته الاجتماعية.

إن ما هو مطلوب هو أن تنبع الديمقراطية من الواقع الاجتماعي العربي الذي ما زالت تسوده الريفية العشائرية والطائفية والمناطقية، مما يفرض ربما اللجوء إلى إضافة سلوك التوافق في تسوية الأمور. كما لا ينبغي أن يغيب عن البال أن الديمقراطية الغربية وصلت إلى صيغتها الحديثة في النصف الأخير من القرن الماضي، علماً أن مسيرتها بدأت منذ ٤٠٠ سنة! كما لا ينبغي أن يغيب عن البال أن المستوى الثقافي للشعوب يحدّد وتيرة استيعاب التعاطي في الأمور في المجتمعات الديمقراطية. فكيف يمكن تعبئة الوعي دون أخذ بعين الاعتبار الأرضية المعرفية بشكل عام، والأمية بشكل خاص؟ من جهة أخرى، لا بد من الانتباه إلى سلطة أو سلطان المال الذي يغري ويغوي الرأي عند المثقفين، فكيف يكون الحال عند الفئات العادية التي لا تمتلك الأرضية المعرفية اللازمة؟ وأشير إلى الدراسات القيّمة التي أعدّها كل من الباحثين نورينا هارتز وطوم هارتمان[٢٣]، حيث شرحا كيف سيطر رأس المال بشكل عام، والشركات الكبرى بشكل خاص، على مقومات الحياة الديمقراطية وسرقة حقوق الإنسان. وهذا يأخذنا إلى المبدأ الثاني.

---

(٢١) الكواري [وآخرون]، **المسألة الديمقراطية في الوطن العربي**، ص ٨.

(٢٢) إسماعيل صبري عبد الله، «مستقبل الديمقراطية في الوطن العربي»، في: المصدر نفسه، ص ٣١٢.

(٢٣) Noreena Hertz, *The Silent Takeover: Global Capitalism and the Death of Democracy* (New York: Free Press, 2003), and Thom Hartmann, *Unequal Protection: The Rise of Corporate Dominance and the Theft of Human Rights* ([Emmaus, Penn.]: Rodale, 2002).

المبدأ الثاني: العدالة الاجتماعية في مواجهة الاستغلال

قضية العدالة الاجتماعية تثير قضية النظام الاقتصادي والاجتماعي. هذه المسألة ليست خاصة بالواقع العربي، بل هي قضية عالمية. أعتقد أن المقصود من طرح هذه القضية هو معالجة تداعيات النظام الليبرالي في ما يتعلق بتوزيع الدخل. إن النظام الليبرالي معني في إنتاج الثروة وتراكمها وفقاً لمعايير توزيع وسائل الإنتاج التي لا تأخذ بعين الاعتبار مصالح الطبقات الفقيرة، مما يزيد الفجوة بين الطبقات الميسورة التي تتحكّم بمقدرات الوطن وبين الطبقات الشعبية العاملة. وتفاقم الفجوة بين هذه الشرائح يهدّد النسيج الاجتماعي مع مضاعفات وخيمة للمجتمع بأسره. المطلوب إذاً هو البحث عن توازن بين مقتضيات الكفاءة الإنتاجية والعدالة الاجتماعية، وهذا يتوقف على اعتبارات عدّة تختلف من موقع إلى موقع.

المبدأ الثالث: الوحدة العربية في مواجهة التجزئة

شكّلت الوحدة العربية الهاجس الأكبر في تاريخ الفكر القومي وما زالت. فهناك رفض لواقع التجزئة الموروث من حقبة الاستعمار. والوحدة هي هدف قائم بحدّ ذاته بالنسبة إلى القوميين العرب، سواء أكانوا من طبقة المثقفين أم من الناس العاديين، إلا أن ذلك لا يكفي حسب رأيي لتبريرها وإن كانت قناعتي الخاصة الإيمان بها كهدف قائم بحدّ ذاته. إن المطلوب هو إبراز هدف الضرورة والحاجة لبقاء الأمة أمام الهجمات التي تستهدفها ولبناء مجتمعها. إن المجهود الفكري يجب أن ينكبّ على بلورة عامل الضرورة للوحدة العربية وحتميتها.

المبدأ الرابع: الاستقلال في مواجهة الهيمنة الأجنبية والمشروع الصهيوني

لا أعتقد أن هنالك جدلاً في مواجهة الهيمنة الأجنبية والمشروع الصهيوني إلا من أولئك دعاة التطبيع والانخراط في قطار العولمة، لأن ذلك حسب زعمهم هو يقين الموقف «العقلاني» الكفيل بنقل المجتمعات العربية إلى «الحضارة» و«التمدّن». لا داعي للتعليق على ذلك الأمر الذي لا يستحق الاهتمام. أما بالنسبة إلى المشروع الصهيوني، فهذه قضية مبدئية لا يمكن الاجتهاد فيها بما ينافي الحق والأخلاق. ففلسطين أرض عربية محتلة يجب تحريرها، وذلك واجب قومي. أما كيف ومتى، فهذا خارج عن نطاق بحثنا هنا.

المبدأ الخامس: التنمية المستقلة في مواجهة النمو المشوّه والتبعية

يعتقد عدد كبير من الاقتصاديين القوميين أن التنمية المستقلة «تتمثل في اعتماد المجتمع على نفسه وتطوير قدرات أفراده الخاصة مع إعطاء أولوية لتعبئة الموارد المحلية

وتصنيع المعدات الإنتاجية، وبناء قاعدة علمية وتقنية محلية بكل مقتضياتها من نشر المعارف وتكوين المهارات، وتأهيل الكوادر البشرية اللازمة لذلك»[٢٤]، إن ذلك يتطلب قراراً سياسياً للسيطرة على مقدرات الوطن، مما يطرح السؤال حول إمكانية اتباع نمط نمو رأسمالي ومسألة النظام الاقتصادي المطلوب. إن قناعتي المبنية على تجربة طويلة تفيد بأن النظرية لا تطبّق إلا جزئياً، وبالتالي تبطلها أو تفشلها. كما أن نظرية التنمية المستقلة تتجاهل واقع العولمة، وأن العالم أصبح قرية كبيرة تتداخل فيها الاقتصادات والمجتمعات بشكل يصعب فك الارتباط بينها. إن المطلوب هو تنمية القطاعات المنتجة، من زراعية إلى صناعية، ضمن إطار سوق عربية مشتركة تتحرك فيه بحرية الرساميل واليد العاملة العربية وتستطيع التنافس على الصعيد الدولي، ووفقاً لأولويات يتفق عليها ضمن خطة مدروسة توازن بين متطلبات القطاعين العام والخاص. وفي مطلق الأحوال، إن هذا المبدأ يتطلب المراجعة والبحث المستمر لاستيعاب المستجدات على صعيد العلم والتنظيم الاقتصادي.

المبدأ السادس: الأصالة الحضارية في مواجهة التغريب والمسخ الحضاريين

إن إحدى المهام الواقعة على عاتق المثقفين القوميين هي استعادة التراث وإدخاله في المنظومة المعرفية. فعلى صعيد العلوم، مثلاً، لا بد من إدخال المكانة الدولية (Internalization) في الوعي العربي؛ على سبيل المثال، مساهمات الرازي في علوم الطب، ومساهمات جابر بن حيّان والخوارزمي في الكيمياء والرياضيات وفي الأبحاث الحديثة وتطويرها. أما على صعيد الفلسفة والفكر، فمساهمات الأسلاف يمكن إدخالها في المنظومة الفلسفية التي يتمّ بناؤها. على صعيد آخر لا بد للمجهود الثقافي من أن يعكس المشروع القومي في شتى الميادين كالآداب والسينما والفنون. هذا ما حصل في الستينيات، كما أشارت إليه مسودّة التقرير الثاني للتنمية الإنسانية لبرنامج التنمية للأمم المتحدة الذي سيصدر في مطلع العام المقبل. كما لا بد للمثقفين العرب من أن يقدّموا تصوّراتهم للمستقبل الثقافي العربي.

ثالثاً: الآلية أو الآليات للمشروع النهضوي العربي

هناك عدة ملاحظات استوقفتني: **الملاحظة الأولى** هي أنه لا يمكن للفكر القومي أن يدخل الوعي العربي إن لم تكن هناك آليات تجسّد الفكر وتنقله إلى المواطنين، وإلا لكان فكراً مجرداً لا يستهوي إلا القلة، ومرشّحاً للزوال. في المراحل السابقة كانت الآليات المعتمدة لذلك مؤسسة الحزب وثم الجيش. وإذا استطاعت تلك المؤسستان أن تنقلا الفكر

---

(٢٤) فتح الله، **التنمية المستقلة: المتطلبات والاستراتيجيات والنتائج: دراسة مقارنة في أقطار مختلفة**، ص ٢٩.

إلى القاعدة الواسعة من جماهير الامة في مرحلة ما، فلا بد من الإقرار بأنهما وصلتا إلى طريق مسدود، وخاصة مؤسسة الحزب. فهذه المؤسسة اقتبست من التجارب الغربية دون الأخذ بعين الاعتبار المقومات الاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات العربية حيث وجدت، ودون دراسة معمّقة للتجربة الحزبية في الغرب التي تلازمت مع تطوّر اقتصادي واجتماعي معيّن. فالتركيبة الاجتماعية للمجتمعات العربية هي في معظمها ريفية وعشائرية وذات أرضية معرفية محدودة، مما انعكس على تركيبات الأحزاب العربية، فكانت النتيجة نقل الصراعات الاجتماعية السائدة في المجتمعات العربية إلى داخل الأحزاب وما جرّت من تسلط الفئات ومنع بلورة ثقافة ديمقراطية. هذا الموضوع يستلزم بحثاً بحدّ ذاته خارج عن إطار بحثنا، وإن كان محورياً ومركزياً.

الملاحظة الثانية هي أن المركزية في نقل الفكر تكبح التفاعل الفكري بين افراد المجتمع، وبالتالي لا بد للصيغة المؤسسية المنشودة من أن تكون في طبيعتها لامركزية. في هذا السياق، تأتي مؤسسات المجتمع المدني، وبخاصة اللجان الشعبية والنقابات، على سبيل المثال، لتصبح حلقات متكاملة تقوم بالدور المطلوب. من ناحية أخرى، لا بد لي من الإشارة إلى التجربة النموذجية التي تشكّلها ظاهرة المؤتمر القومي العربي ومؤسساته والتكامل مع مركز دراسات الوحدة العربية الذي قد يصبح قاعدة للعمل القومي، خاصة إذا ما تمّ تفعيل الأمانة العامة، حيث إن أعضاءها مطالبون بمجهود فكري وتعبوي وابتكاري غير مألوف بالتشكيلات السياسية المماثلة. فالوصول إلى موقع الأمانة العامة ليس هدفاً شرفياً، بل التزام فكري وعملي لا مثال له. والحكم على ذلك سيكون في المستقبل القريب.

الملاحظة الثالثة هي ضرورة إنشاء منابر خاصة بالتيار القومي العربي، سواء أكان في الإعلام المكتوب أم المسموع أم المرئي. وذلك ضروري حسب رأيي لإيصال وتعميم الخطاب القومي الذي يتمّ تغييبه في وسائل الإعلام العربية. وكما تمت الإشارة سابقاً، فإن وسائل الإعلام العربية هي تحت سيطرة القوى المناهضة للتيار القومي العربي. إن إنشاء الشبكة الإعلامية المستقلة ذات الاتجاه العروبي الواضح مسألة تتطلب استنفار الرأسمالية القومية، وهي موجودة لدعوتها إلى المساهمة وإدارة تلك المشاريع □

جيف سيمونز

استهداف العراق: العقوبات والغارات في السياسة الأمريكية

(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣). ٣٨٧ ص.

أحمد منيسي

باحث في مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.

ـ ١ ـ

على الرغم من أن هذا الكتاب قد صدر في شباط/فبراير ٢٠٠٣، حين كان هناك جدل كبير حول احتمال قيام الولايات المتحدة الأمريكية بحرب ضد العراق، فإن مؤلفه كان متأكداً ـ على رغم هذا الجدل ـ من أن الحرب واقعة لا محالة، ذلك أن الأمر لم يكن مرتبطاً، كما ادعت واشنطن، بامتلاك العراق أسلحة دمار شامل مزعومة، وإنما كان احتلال العراق من أجل تحقيق حزمة من الأهداف الاستراتيجية في الشرق الأوسط، وهو الهدف الأصيل من وراء الضجة التي أثيرت حول أسلحة الدمار الشامل كمبرّر لشنّ الحرب. وقد حدث ما كان المؤلف متأكداً منه بقيام الولايات المتحدة وحليفتها بريطانيا بغزو العراق واحتلاله بعد نحو شهر واحد من صدور هذا الكتاب في آذار/مارس ٢٠٠٣.

مؤلف الكتاب لم تنطل عليه إذاً مسرحية حيازة العراق أسلحة دمار شامل، ولم ينخدع، كما انخدع كثيرون في الوطن العربي والغرب أيضاً، بأنه يمكن تفادي الحرب إذا أبدى العراق تعاوناً كاملاً مع مفتشي الأمم المتحدة. فالقصة كلها كانت ملفقة من البداية إلى النهاية، وإن كانت قد صيغت بإحكام. وقد انتهى المؤلف إلى الجزم بسوء نية واشنطن وحتمية الحرب استناداً إلى جهد كبير بذله في تقصّي السلوك الأمريكي تجاه العراق من خلال رصد شاق وتحليل عميق للتصريحات التي قال بها العديد من المسؤولين الأمريكيين من أركان إدارة بوش حتى قبل أن يتولى بوش الرئاسة.

ففي عام ١٩٩٨ كتبت مجموعة من الأمريكيين المتنفذين رسالة مفتوحة إلى الرئيس السابق بيل كلينتون طالبته فيها باعتماد سياسة تفضي إلى إزاحة النظام العراقي حتى لو اقتضى الأمر أن تقدم الولايات المتحدة على ذلك العمل منفردة.

لكن كلينتون لم ينفذ هذا المطلب واعتمد سياسة إبقاء الحال على ما هو عليه (الحصار والقصف)، الأمر الذي كان يعني استمرار معاناة الشعب العراقي. ولكن ذلك لم ينف أن تغيير النظام العراقي كان أيضاً هدفاً لإدارة كلينتون، فكثيراً ما أكدت مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية في تلك الإدارة أن العقوبات الاقتصادية تستهدف في جانب منها «تغيير النظام الحاكم». وكان الذي حدث أن جورج بوش هو الذي قرر الحرب على العراق، ولا غرابة في ذلك، فالذين بعثوا الرسالة المشار إليها، هم الذين يشكلون إدارة بوش الحالية.

- ٢ -

يقع الكتاب موضع العرض في ٣٨٧ صفحة من القطع المتوسط، ويضم عشرة فصول: في **الفصل الأول**، يتناول المؤلف كيف حاولت الولايات المتحدة بعد أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ الربط بين نظام صدام حسين ومنفذي تلك الأحداث عن طريق دعايات مكثفة ومعلومات مغلوطة، وذلك من أجل غزو العراق الذي قفز على قائمة جدول أعمال السياسة الخارجية الأمريكية مع تولي إدارة بوش المهام، وكيف أن الأمر انتهى بعجز واشنطن عن إثبات وجود هذه العلاقة المزعومة. وكان هذا الفشل هو ما حرك إدارة بوش للبحث عن ذريعة أخرى لشنّ الحرب التي كان قد تمّ الإعداد والتخطيط لها بالفعل قبل انهيار البرجين، وكانت الذريعة هي أسلحة الدمار الشامل المزعومة. وعلى الرغم من أن العراق كان قد أبدى تعاوناً كاملاً مع فرق التفتيش، إلا أنه كان واضحاً أن الحرب قادمة لا محالة، فقد قال كولن باول، وزير الخارجية الأمريكي في ٥ أيار/مايو ٢٠٠٢ «إن الولايات المتحدة يمكن أن تحاول إزاحة الرئيس العراقي من السلطة حتى إذا تمّ الاتفاق على عمليات التفتيش على الأسلحة». وطيلة عام ٢٠٠٢ كان العمل يجري على قدم وساق للإعداد للحرب.

وفي **الفصل الثاني** يتناول سيمونز الآثار الفادحة التي خلفتها سياسة العقوبات التي فرضت على العراق لأكثر من عقد كامل من الزمن، والتي وصلت إلى أقصاها مع نهاية عقد التسعينيات، حيث كان الآلاف من العراقيين يموتون كل شهر من سوء التغذية ومن أمراض كان يمكن تجنبها. وبالطبع كان الأطفال هم الضحية أو الفريسة الأولى للعقوبات. والملاحظة الجديرة بالاعتبار هي أن بعض هذه الأمراض كان نتاجاً مباشراً للأسلحة التي استخدمتها الولايات المتحدة في حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١، حين أسقطت ما يعادل سبع قنابل نووية من نوع القنبلة التي أسقطت على هيروشيما في صورة ذخيرة اليورانيوم المنضب، الأمر الذي أدى في وقت لاحق - فضلاً عن قتلى هذه القنابل بطبيعة الحال - إلى تصاعد معدل التشوّهات المميتة ومعدل الإصابة بالسرطان.

عند هذا الحدّ بدأ بعض المراقبين المستقلين - ومن بينهم دينيس هاليداي، كبير المنسقين السابق للشؤون الإنسانية في العراق التابعين للأمم المتحدة، والذي كان قد استقال احتجاجاً على استمرار

العقوبات ـ يتحدثون عن عملية الإبادة الجماعية التي يرتكبها مجلس الأمن الدولي «الخاضع للهيمنة الأمريكية». وعلى الرغم من صدور العديد من التقارير الدولية الرسمية وغير الرسمية المطالبة بضرورة رفع الحصار تفادياً لتداعيات وضع بلغ حدّ المأساة فعلاً، فإن واشنطن ولندن ظلتا على موقفيهما في إحكام الحصار على العراق من دون أدنى مراعاة للبعد الإنساني، مما حال دون أن تتمكن المنظمات الدولية العاملة في العراق من القيام بدورها. وفي هذا الإطار، أي احتجاجاً على هذا الوضع استقالت غوت بورغهارت، رئيسة برنامج الغذاء العالمي التابع للأمم المتحدة في العراق، في ١٥ شباط/فبراير ٢٠٠٠، قائلة «إنها لا تستطيع أن تتسامح في ما كان يتم فعله بالشعب العراقي»، وهكذا كان مسؤولون كبار في الأمم المتحدة يقدمون دعماً لا لبس فيه لأولئك المراقبين الذين أعلنوا أن الولايات المتحدة وبريطانيا منخرطتان في مؤامرة إجرامية بارتكاب إبادة جماعية ضد سكان مدنيين لا حول لهم ولا قوة .

ويشير المؤلف إلى العديد من الإحصاءات التي رصدت تصاعد معدل الموت في صفوف العراقيين جراء سياسة العقوبات خلال السنوات الثلاث الأخيرة التي سبقت الغزو الأنكلو – أمريكي للعراق واحتلاله في عام ٢٠٠٣، حيث إنه خلال هذه الفترة بدا أن المجتمع العراقي يسير بالفعل نحو حافة الهاوية، وبعد عشر سنوات من الحصار والغارات كان عدد الذين قتلوا قد بلغ أكثر من ٢ مليون نسمة.

وفي **الفصل الثالث** الذي حمل عنوان «منع الإمدادات الضرورية» يّفصل المؤلف في نظام العقوبات القاتلة التي فرضت على العراق، وكيف أن هذا النظام الذي استمد رسمياً من قرارات محدّدة لمجلس الأمن الدولي كان أداة تأديبية يتمّ تدويرها بشكل مشترك بين أجهزة بيروقراطية في بلدان معيّنة ووكالات ذات علاقة بالأمم المتحدة في نيويورك، وتمّ ضبط سيره في النهاية عن طريق القوة العسكرية الأمريكية.

وكاستجابة لغضب المجتمع الدولي المتصاعد وحنقه على هذه العقوبات، اضطرت واشنطن الى أن تضاعف جهودها الدعائية، بينما عملت بجدّ لتعزيز معاناة العراقيين، وفي هذا الإطار، طورت مفهوم «العقوبات الذكية» التي صممت كبادرة دعائية لإخفاء الجهود المتواصلة للإدارات الأمريكية المتعاقبة لحرمان الشعب العراقي من الإغاثة الإنسانية الكافية. بيد أن محاولة تجميل نظام العقوبات القميء من قبل واشنطن لم تنجح، وبات واضحاً أن هذا النظام قد تمّ تسييسه تماماً من جانب الولايات المتحدة، وهو ما أدى إلى تخريب برنامج الإغاثة الإنساني الذي كانت ترعاه الأمم المتحدة. وعلى الرغم من أن الدعايات الغربية ـ الأمريكية والبريطانية ـ بالأساس ظلت توهم العالم بأن برنامج النفط مقابل الغذاء يولد إيرادات كافية لتلبية احتياجات الشعب العراقي، وهو ما أنكره المراقبون المستقلون مراراً، فقد كانت الإيرادات المتاحة تمنع دائماً من توفير إمدادات إنسانية كافية في الوقت المناسب، لأن الممثلين الأمريكيين

والبريطانيين في لجنة العقوبات كانوا يعرقلون متعمدين عقوداً إنسانية بقيمة مليارات الدولارات. وقد أشار مكتب العراق في هذا الصدد في ٧ أيار/مايو ٢٠٠٢ إلى أن القيمة الإجمالية للعقود المحتجزة بلغت أكثر من ٥,٢ مليار دولار تشمل ٢١٢٣ عقداً لشراء إمدادات إنسانية.

وفي **الفصل الرابع** يحصي المؤلف القرارات الصادرة عن مجلس الأمن في ما يخص العراق ويحللها منذ انتهاء حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١، ومن خلال البحث الذي أعمله في ما وراء تلك القرارات وسلوك الولايات المتحدة تجاهها، يخلص إلى أن المقاربة الأمريكية العامة لقرارات مجلس الأمن توضح أن واشنطن لا ترى هذه القرارات كأدوات حصلت على موافقة دولية لدعم حقوق الإنسان، أو لتحرير الشعوب الخاضعة للاحتلال، أو لحماية السلام الدولي، بل ترى فيها آليات لدعم السياسة الخارجية الأمريكية، وميلاً للدعم والتوسع المثير للسخرية للهيمنة الأمريكية. ويؤكد المؤلف أن القرارات الدولية المحدّدة لمجلس الأمن بشأن العراق، وطريقة تنفيذها – مع تجاهل القرارات بشأن إسرائيل – تبرّر هذا التفسير تبريراً كافياً، فواشنطن تستغل بصورة متحيّزة الأمم المتحدة في سعيها لما أصبح يطلق عليه في القرن الحادي والعشرين «الطيف الكامل للهيمنة» في إشارة إلى الاستخدام الأمريكي للوسائل الدعائية والاقتصادية والعسكرية للسعي نحو هدف الهيمنة العالمية.

أما **الفصل الخامس**، فيواصل فيه المؤلف حديثه حول ما أسماه «تخريب الأمم المتحدة» (من قبل الولايات المتحدة بطبيعة الحال) بهدف تكريس الهيمنة الأمريكية على العالم، فيقول إن ازدراء واشنطن لميثاق الأمم المتحدة له صور عديدة ليس أقلها تجاهلها الكلي لكثير من مواد الميثاق. وهو موقف حرّك سلوكها تجاه العراق على مدار أكثر من عقد كامل من الزمان. ويشير في هذا السياق إلى نص المادة ٢، الفقرة ٤، من الميثاق التي تؤكد على أن يمتنع كافة الأعضاء في علاقاتهم الدولية عن التهديد بالقوة أو استخدامها.

وللتدليل على هذا الموقف الأمريكي المتجاهل للأمم المتحدة، يشير المؤلف إلى عدة أمثلة أخرى في هذا السياق، مثل غزوها لبنما في عام ١٩٨٩، ونيكارغوا في عام ١٩٨٣، وموقفها من كوبا وليبيا، ويقول إن مثل هذه الانتهاكات الأمريكية لميثاق الأمم المتحدة حكمت المعاملة الأمريكية للعراق طوال عقد التسعينيات. وينتهي المؤلف في هذا الإطار إلى أن السلوك الأمريكي على الساحة الدولية يؤكد أن الولايات المتحدة لا تنوي أن تراعي أياً من المواثيق الدولية التي طورتها الجماعة الدولية من خلال الأمم المتحدة لحماية حقوق الإنسان والسلام الدولي، حينما تتصور أن ذلك يعرقل السياسات الأمريكية، وهو ما يجعلنا مطمئنين إلى القول بأن تنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية يوحي بقوة بأن واشنطن مذنبة بارتكاب جرائم حرب، استناداً إلى نص المواد ٦–٨ من دستور روما للمحكمة الجنائية الدولية الذي أقرّ في تموز/يوليو ١٩٩٨.

وفي **الفصل السادس** يعرّج المؤلف على تناول قضية مهمة في ملف الأزمة العراقية مع الولايات المتحدة، تتمثل في الدور الإسرائيلي الذي كان غائباً/حاضراً في صياغة آليات التحرك الأمريكية تجاه العراق، فيؤكد أن مكانة إسرائيل ذات صلة عالية بالمعاملة الأمريكية للعراق. وأحد التفسيرات للسبب الذي من أجله أثارت الولايات المتحدة أزمة عام ١٩٩٠ وشنّت الحرب عام ١٩٩١، كان منع هجوم إسرائيلي مزعزع للاستقرار على قدرة العراق العسكرية المتزايدة، وذلك على غرار ما حدث في يوم ٧ حزيران/يونيو عام ١٩٨١ حينما قصفت الطائرات الإسرائيلية المفاعل النووي العراقي بالقرب من بغداد، وهو ما استنكره مجلس الأمن الدولي، واعتبره انتهاكاً لميثاق الأمم المتحدة، وخرقاً للسلوك الدولي المتعارف عليه.

لقد كان العراق ـ وفقاً لما يقوله المؤلف ـ يكنّ عداء عميقاً لإسرائيل، ولم يكن يمكن ضمان أمن إسرائيل إذا سمح له بأن يبقى قوة عسكرية قادرة على تهديد تل أبيب. وهنا، فإن الحرب ضد العراق كانت تعني في أحد جوانبها التأكيد على أمن إسرائيل.

وللتدليل على ازدواجية المعايير في السياسة الخارجية الأمريكية، يعرض المؤلف هنا لكيفية التعامل الأمريكي مع القضية العراقية من ناحية، والوضع في فلسطين من ناحية ثانية، حيث يرصد أبعاد الانحياز الأمريكي المطلق لصالح تل أبيب، وكيف أعطت الولايات المتحدة ـ كشريك واضح لحرب إسرائيل ضد الفلسطينيين ـ الضوء الأخضر لشارون لممارسة سياسات القتل والتجويع بحق الشعب الفلسطيني واغتيال قياداته تحت زعم «الدفاع عن النفس». وفي الوقت نفسه، مارست الإدارة الأمريكية كل أنواع الصلف والتعسف والظلم في تنفيذ سياسة الحصار الجائر على الشعب العراقي.

وكانت أحداث ١١ أيلول/سبتمبر قد مهّدت لحدوث تحالف غير مسبوق بين إسرائيل والولايات المتحدة لمكافحة ما يسمى بالإرهاب، حيث ادعى شارون أنه يحارب الإرهاب في فلسطين، وهي الحجة نفسها التي تذرعت بها واشنطن لتحقيق هدف السيطرة على العالم بحربها في أفغانستان، ثم غزوها للعراق.

ولأن العقوبات التي أحكمت فرضها الولايات المتحدة على العراق كانت استراتيجية أمريكية هدفها ليس إجبار العراق على الانصياع للشرعية الدولية ـ كما ادّعت واشنطن – وإنما النيل من قدرة العراق ومحاصرته بغرض استهدافه لاحقاً أو لحين استهدافه، فقد كان على الولايات المتحدة أن تبذل كل جهودها لمنع حدوث اختراقات لهذه العقوبات، ومن هنا فقد انزعجت الإدارة الأمريكية بشدة ـ كما يقول المؤلف في **الفصل السابع** ـ حينما لاح في الأفق ما اعتبرته اختراقاً. فمع تصاعد معاناة الشعب العراقي بدرجة لم يسبق لها مثيل بحلول نهاية التسعينيات، حيث كان المجتمع قد وصل حدّ الإرهاق بعد عقد من الحصار، بدأت دعوات عربية للانفتاح على العراق بهدف تخفيف معاناته الإنسانية، وقد جاءت هذه الدعوات على خلفية حصول انفتاح عراقي على الحلقة الضيقة في ما

كان يسمى بـ «دول معسكر الضدّ» ممثلة في الكويت والسعودية. وقد بلورت القمة العربية التي عقدت في آذار/مارس ٢٠٠٢ في بيروت مدى تعاطف العرب مع معاناة الشعب العراقي، حيث دعا بيانها الختامي إلى الرفع الفوري للعقوبات، وتعهد باتخاذ الإجراءات الضرورية لاستئناف الرحلات الجوية للعراق.

وعلى خلفية الانزعاج الأمريكي من هذا التوافق العربي على رفع الحصار المفروض على العراق، سارعت واشنطن إلى إرسال وزير خارجيتها كولن باول إلى الدول العربية الفاعلة حاثاً إياها بالتهديد تارة، والوعيد تارة أخرى، على الالتزام بعدم خرق العقوبات، ما عكس مدى التصميم الأمريكي على إحكام الحصار، على الرغم من أن العقوبات كانت أفضت حينها إلى وصول المجتمع إلى حدّ الانهيار.

ويواصل المؤلف في **الفصل الثامن** حديثه عما اسماه «حملة غارات القنابل» لتأمين إحكام الحصار على العراق، فيستعرض ما قامت به واشنطن من حملات جوية على العراق خلال فترة الحصار، ويقول إنه في حزيران/يونيو ١٩٩٣ استخدمت مؤامرة عراقية مزعومة لاغتيال الرئيس السابق جورج بوش كذريعة لمزيد من هجمات صواريخ كروز على العراق، قبل أن تنتظر إدارة كلينتون أموراً صغيرة من نوع توصل محكمة كويتية لقرار إدانة، ولم يزعجها ورود تقارير إخبارية بأن المشتبه فيهم في هذه المؤامرة قد عذبوا للإدلاء باعترافات.

ويعود المؤلف في **الفصل التاسع** الى الحديث مرة أخرى عن نظام العقوبات، بعد الهجوم الذي تعرض له على الصعيدين الإقليمي والدولي لما سببه من معاناة شديدة للشعب العراقي، فيرى أن تلك المعاناة والتعاطف العربي والدولي معها ـ كما سبقت الإشارة ـ وضعا واشنطن في مأزق، فكان ما أطلق عليه «نظام العقوبات الذكية» التي أشار إليها سلفاً أيضاً.

وهنا يحلل المؤلف كيف أن العقوبات الذكية لم تكن سوى محاولة للمراوغة. وعلى الرغم من أنه تمّ الترويج لها بأنها تستهدف معاقبة النظام لا الشعب، في ظل ما أظهره نظام العقوبات القديم من سلبيات خطيرة، فإن معاناة العراقيين ظلت على حالها في ضوء أن العقوبات الذكية تلك كانت بالأساس مجرد مناورة للحيلولة دون خرق نظام العقوبات، وتفادي السخط العارم على ممارسات واشنطن في محاصرتها للعراق.

يتحدث المؤلف في **الفصل العاشر** والأخير عن نيات واشنطن الشريرة بصدد استمرار سياسة الحصار التي كانت مقدمة لحملة عسكرية لاحتلال العراق، هدفها تكريس الهيمنة الأمريكية على العالم انطلاقاً من منطقة الشرق الأوسط. وفي هذا الإطار، كان واضحاً ـ على حدّ تعبير المؤلف ـ أن الولايات المتحدة تستمد دوافعها حيال العراق ـ في جانب منها ـ من الطابع الثرائي البلوتوقراطي والارتزاقي الذي يصبغ السياسة الخارجية الأمريكية، حيث إن العراق من الدول الغنية بالنفط، وبالتالي، فإن احتلاله يعني السيطرة على موارده النفطية، إضافة إلى أن هذا الاحتلال يوفر

مرتكزاً استراتيجياً للولايات المتحدة في الشرق الأوسط .

- ٣ -

هكذا كانت عدة عوامل تدفع في سبيل حملة عسكرية أمريكية ضد العراق، منها ما هو اقتصادي، ومنها ما هو خاص بدافع الهيمنة. كل هذه العوامل تضافرت معاً لتفرز الغزو الأنكلو - أمريكي للعراق واحتلاله، وقد كان واضحاً منذ البداية أن العقوبات وأكذوبة أسلحة الدمار الشامل ليست سوى مزاعم مفضوحة لاستهداف العراق عسكرياً، واحتلاله وهو ما حدث بالفعل □

صدر حديثاً

قراءات في الفكر العربي

التونسي - ابن أبي الضياف - الكواكبي - رشيد رضا - طه حسين - قسطنطين زريق - زكي نجيب محمود - العروي - شرابي - محمود اسماعيل - الجابري

مجموعة من الباحثين

العيِّنة التي تتناولها هذه القراءات تغطي فترة زمنية من تاريخ الفكر العربي الحديث تقع بين منتصف القرن التاسع عشر ونهاية القرن العشرين. ومع أن الفترة هذه مديدة، ويستعصي القول بأن النصوص المقروءة في مواد هذا الكتاب تمثِّلها تمثيلاً جامعاً، إلا أن نصوصها تظل من كبرى النصوص التي نهضت بدور فكريّ رئيس في حقل المعرفة والثقافة في الوطن العربي، ويظل أصحابها في جملة أبرز المفكرين العرب في العصر الحديث.

٢٨٨ صفحة
الثمن: ٨ دولارات
أو ما يعادلها

الجيش والسياسة والسلطة في الوطن العربي (ندوة)

(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٢). ١٥٠ ص.

ولاء علي البحيري
باحثة في العلوم السياسية - مصر.

يتناول هذا الكتاب الذي بين أيدينا موضوعاً بالغ الأهمية، وهو يحلل مسألة العلاقة بين الجيش والسياسة والسلطة في الوطن العربي من زوايا مختلفة، وطبيعة هذه العلاقات في ضوء تزايد حضور المؤسسة العسكرية العربية في الحياة السياسية والعوامل والأسباب الكامنة وراء هذا الحضور.

ينقسم الكتاب موضع العرض إلى ثلاثة أجزاء، هي: **أولاً** السياسة في ميزان العلاقة بين الجيش والسلطة. **وثانياً** الجيش والسياسة في الوطن العربي، وتجربة الجزائر خير مثال على هذا. **وأخيراً** وجهة نظر حول الجيش والسلطة والسياسة في الوطن العربي. ويمكن أن نتناول هذه الأجزاء على التوالي بشيء من التفصيل.

- ١ -

في **الجزء الأول** والمعنون بـ «السياسة في ميزان العلاقة بين الجيش والسلطة» لعبد الإله بلقزيز، أشار الكاتب إلى أن العلاقة بين الجيش والسلطة في الدول العربية تختلف بسبب اختلاف نماذج الدولة في مجتمعاتها، وما يترتب على ذلك الاختلاف من تباين نمط العلاقة بين مجال السيادة ومجال السياسة، حتى بات يصحّ القول إن العلاقة بين الجيش والسلطة في الوطن العربي يمكن أن تتخذ ثلاث صور كما يلي:

أ - جيش السلطة

وهي الصورة القابلة لأن تعاين أو تقرأ من ثلاث نواح، هي:

- **الناحية الأولى:** المؤسسة التي تعدّ مجرد أداة في يد النظام السياسي وتكون قابلة للاستعمال لتحقيق هدفين مترابطين يتصلان بقمع المجتمع وقوى المعارضة التي تبزغ فيه عند الاقتضاء، والحفاظ على ديمومة سيطرة النخبة الحاكمة على السلطة.

ـ **الناحية الثانية:** مؤسسة القطاع الخاص المملوكة للفريق السياسي الحاكم، وليست المملوكة للدولة والأمة بكل ما يترتب على ذلك من تحديد أهدافها وتعيين توجهاتها في ضوء مصالح هذا الفريق، ومن واقع منظوره.

ـ **الناحية الثالثة:** الجيش كميليشيات تواجه عدداً آخر من المليشيات يدور كل منها في فلك جماعة بذاتها.

ب ـ سلطة الجيش

وهذه الصورة يصبح فيها الجيش هو نفسه بمثابة سلطة، ويرجع هذا إلى اتباع أسلوب الانقلاب العسكري في إحداث عملية التغيير السياسي أو الإسراع بوتيرتها. وتبدو في هذه الصورة ثلاثة مشاهد، هي:

ـ **المشهد الأول:** أن يتحول الجيش هو نفسه إلى نخبة سياسية حاكمة، لتتغيّر بذلك ماهيته ووظيفته عما هي عليه في وضعها الأصلي، حيث تقوم النخبة العسكرية الحاكمة بإدارة السلطة، إما مباشرة من خلال حكم عسكري صريح يفرض أحكامه على الحياة العامة، وإما من وراء ستار من خلال وضع شخصية سياسية صورية في الواجهة والإمساك بمفاتيح القرار من قبل الجنرالات الكبار الذين يصبحون وحدهم هم أهل الحل والعقد.

ـ **المشهد الثاني:** أن تتحول السلطة إلى أداة في يد الجيش، بهدف الحفاظ على استمرار الحكم العسكري مع إدخال بعض مظاهر الديمقراطية، مثل وضع دستور وإجراء انتخابات برلمانية، والسماح بحق العمل السياسي لبعض الأحزاب من دون أن ينعكس ذلك على عملية تداول السلطة، بدليل الحرص على منع عودة القوى السياسية المدنية إلى السلطة حتى وإن أحرزت تقدماً في الانتخابات.

ـ **المشهد الثالث:** أن تصبح السلطة عسكرتارية، ويصبح تسلطها شديد الوطأة في كثير من المجتمعات العربية وعلى العديد من أوضاع الحريات العامة وحقوق الإنسان فيها.

ج ـ الجيش الأهلي

وهو يقدم صورة تختلف عن سابقتيها، لأن طرفيها هما الجيش والمجتمع المنفلت من عقال الدولة، أي المجتمع المنطوي على سلطة ذاتية خاصة، وهذا هو حال مجتمع العصبيات الأهلية أو المجتمع العصبوي.

وفي نهاية هذا الجزء، أثار الكاتب سؤالاً هو: ما هي الأسباب المباشرة التي ترجّح ترتيب هذا النمط من العلاقة أو ذاك بين الجيش والسياسة، وبينه وبين السلطة في الوطن العربي؟ وأجمل تفسيره في أسباب ثلاثة:

(١) عسر ميلاد الدولة الوطنية الحديثة، حيث لا تستوي العلاقة بين الجيش والسلطة على قوام حديث إلا في إطار الدولة الحديثة، لكن الدولة العربية المعاصرة لم تشهد بعد مثل هذا التطور. فالدولة الحديثة دولة حق وقانون، ومؤسسات، يسود فيها الدستور ويفصل

فيها بين السلطات الثلاث. وينزل فيها القضاء منزل المرجع والموئل، ويكون فيها الشعب مصدر السلطة، وإن لم يمنع هذا الجيش من أن يستمر مركزاً من مراكز السيادة. وليس هذا بعد هو حال الدولة في بلداننا العربية.

(٢) ضعف الطبقة الوسطى في المجتمع العربي، فمن الواضح أن نشوء هذه الطبقة وتطورها لم يرافقه نمو مماثل في دورها السياسي بما يتناسب مع حجمها الاجتماعي وأهميتها الثقافية، ولعل أوضح مثال على ضعف الطبقة الوسطى العربية يتجلّى في ضعف مؤسساتها الحزبية وتنظيماتها السياسية. وبسبب هذا الضعف السياسي الذي تعانيه وبحكم غياب المؤسسات المدنية الحديثة والمنظمة، بدت المؤسسة العسكرية هي الجهة الأكثر تنظيماً وعقلانية وقوة في المجتمع العربي، والأقدر على إدارة شؤون الحكم في إطاره.

(٣) غلبة المنزع الاستعجالي، هذا المنزع الذي يجسد الانقلابات العسكرية كنتيجة من نتائج وهن القوى الحزبية العربية – القومية تحديداً – وافتقارها إلى القاعدة الشعبية، وبالتالي إلى القدرة على الحشد والتعبئة. ومؤدى هذا أمران أساسيان: **أحدهما** عدم الصبر على إنضاج القوى الشعبية لتكون هي طليعة التغيير ومنفذته بشكل رئيسي، **والآخر** الاعتماد على العسكر في إنجاز هذا التغيير مع تحديد نطاقه الذي يتناسب مع رؤية هؤلاء العسكر لأبعاد التغيير وفلسفتهم في إنتاجه.

ـ ٢ ـ

وفي **الجزء الثاني** من الكتاب الذي أعدّه عبد الحميد مهري، والمعنون بـ «الجيش والسياسة والسلطة في الوطن العربي – تجربة الجزائر» بدأ الكاتب بسؤال حول السبب الذي يدفع الجيش إلى أن يتقمص دور الحزب السياسي ويكون أداة للوصول إلى السلطة وإلى أن يتقمص دور الشرطة، فيقمع المجتمع المدني ويتجاهل مطالبه. وحسبه، فإن الجيش عادة ما يكون أداة بيد غيره من القوى السياسية توظّفه لصالحها. غير أن هذا لا ينفي أنه يتحرك في بعض الحالات بدوافعه الخاصة ونظرته الذاتية لتكييف الأمور، مع ما في ذلك من التقاء أحياناً مع مصالح القوى الوطنية والخارجية، واختلاف معها في أحيان أخرى.

وفي ما يخص المؤسسة العسكرية في الجزائر، فقد تجمعت فيها عدة صفات، منها ما تشترك فيه مع عدد آخر من الدول العربية، ومنها ما تنفرد به على وجه الخصوص، فهي لم تأت نتيجة انقلاب، على الرغم من أن بعض مراحل تطورها كان يتّسم بسمات انقلابية، كونها نشأت وتطورت على مراحل بفعل جملة عوامل مختلفة، بحيث تحوّلت من مجرد تنظيم مسلح خاص تابع لحزب الشعب الجزائري إلى أداة أساسية في معركة الاستقلال باسم جيش التحرير الوطني. ويستعرض الباحث مراحل التطور المشار إليها على النحو التالي:

أ ـ المنظمة الخاصة لحزب الشعب الجزائري، وكانت خاضعة للقيادة السياسية للحزب، ثم ما لبثت أن تطورت

بموازاة التنظيم السياسي للحزب ونسقت معه على عدة مستويات من السلم التنظيمي. لكن التنسيق والتعاون لم يمنعا، مع مرور الوقت، من ظهور نوع من التمايز بين أعضاء المنظمتين ودرجة من التنافس في ما بينهم، كان موضوعه في البداية الطموح لعضوية المنظمة الخاصة التي كانت تعتبر أعلى مستوى في الالتزام والنضال، بحيث اختلفت مسيرة فريقي المناضلين وإن كانوا ينتمون الى المدرسة السياسية نفسها، ويعملون لبلوغ هدف واحد هو الاستقلال الوطني. ثم امتد الخلاف إلى مطالبة كان داعيها الشك في نيات القيادة السياسية، واعتبار التردّد في إعادة تشكيل المنظمة الخاصة ستاراً لتوجّه إصلاحي يتنكر للخط الثوري للحزب.

ب ـ **جيش التحرر الوطني**، فمن المعلوم أنه منذ الإعلان عن بدء الكفاح المسلح في الجزائر، وتشكيل هيئات الثورة ووحداتها المركزية، كانت قيادات الثورة تجمع الوظائف السياسية والعسكرية في قبضتها، لكن الفروق ظلت قائمة بين السياسيين والعسكريين بحيث لم تمنع الصيغة المشار إليها ظهور خلافات حادة وأزمات متعددة بين قيادات الثورة طيلة مرحلة الكفاح المسلح، وذلك على عدة جبهات ومن خلال مؤشرات بدت بسيطة لكنها كانت واضحة الدلالة على التمييز الفعلي بين ما هو سياسي وما هو عسكري. ففي مرحلة الكفاح المسلح قبل الاستقلال يمكن رصد خمس أزمات كبرى في العلاقة بين الجانبين أي بين السياسيين والعسكريين تعود في معظمها إلى مشكلات موضوعية بالغة الصعوبة، لم يسفر أي منها عن حلّ لها ولا هو ساعد على تراكم التجربة المؤسساتية الكفيلة وحدها ببناء المجتمعات والدول الحديثة.

ج ـ **الجيش الوطني الشعبي**، ففي عام ١٩٦٢ حدث انقلاب كبير في المفاهيم والموازين واكب عملية التحرير، وتمّ بناء الجيش وتحديثه ليتلاءم مع عهد الاستقلال وسمي «الجيش الوطني الشعبي»، وساهم لاحقاً في حركة التصحيح التي قامت عام ١٩٦٤. لكن على صعيد آخر، تمّ تقنين الدور السياسي للجيش الذي اعتبر بحكم الميثاق الوطني والدستور طرفاً فاعلاً في إطار نظام شمولي ركيزته جبهة التحرير الوطني والمنظمات الجماهيرية. ومع أن محاولة جرت للحدّ من هذا التقليد مع بواكير التحول الديمقراطي في الجزائر اعتباراً من عام ١٩٨٨، بالعمل على إبعاد الجيش عن السياسة، إلا أن هذا لم يقدر له أن يتحقق، وكانت أول أزمة لاختبار القوة السياسية للجيش، هي الأزمة مع الرئيس السابق الشاذلي بن جديد في أعقاب فوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ في انتخابات عام ١٩٩١.

ـ ٣ ـ

وفي **الجزء الثالث** والأخير الذي أعدّه منذر سليمان والمعنون بـ «وجهة نظر حول الجيش والسياسة والسلطة في الوطن العربي»، تمّ استعراض دور المؤسسة العسكرية في الدولة الحديثة، وهو الدور الذي اتضح، سواء من خلال انتشار رموز الجيش في بعض أبرز المناصب السياسية، أو بشكل غير مباشر

عبر ممثليه أو حلفائه في المجمع الصناعي الحربي الذي يحظى بنفوذ واسع في توجيه السياسة الخارجية. وبالتطبيق على الوطن العربي، يختلف الوضع بعض الشيء، حيث تمّ تعزيز دور المؤسسة العسكرية، إلا أن احتمالات الانقلاب لا تزال واردة بفعل مجموعة العوامل التالية:

- لا تزال المؤسسة العسكرية هي الإدارة الأكثر تنظيماً وجاهزية بحكم موقعها الرئيسي في الهيكلية التنظيمية للمجتمعات العربية، وبقدر ما هي ضامن أكيد واحتياطي لضبط الوضع الداخلي، إلا أنها مرشحة للانقسام وعرضة للتحلل الداخلي.

- عدم حلّ معظم النظم العربية لمسألة الخلافة والانتقال السلمي للسلطة، ورفض المؤسسة العسكرية لإمكانية اللجوء إلى تأسيس حكم وراثي عائلي في العديد من النظم الجمهورية.

- لا تستطيع الأنظمة الملكية التقليدية منع تدخل المؤسسة العسكرية في شؤون السياسة خاصة في ظل غياب القيادات التاريخية وتنازع مراكز القوى داخل الأسرة الحاكمة على تركة الحكم، وإمكانية لجوء أطراف منها الى المؤسسة العسكرية لترجيح كفتها وتمكينها من السيطرة على السلطة.

***

في ضوء الاستعراض السابق لأهم الأفكار التي تضمنها هذا الكتاب، يمكننا أن نخلص إلى أن ظاهرة عودة الجيش إلى الثكنات العسكرية وحبسه فيها، ظاهرة لا وجود لها على مستوى وطننا العربي. جزء من انعدام الظاهرة يرجع إلى انعدامها المماثل على المستوى الدولي، وليست النماذج الحاكمة في إسرائيل وباكستان، بل في الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً، أمثلة على استمرار ظاهرة لها صفة العمومية. لكن جزءاً آخر مردود إلى عوامل خاصة بوطننا العربي، ووضع الجيوش في بلدانه، وارتباط ذلك بعموم السياق المجتمعي، حيث يقف الجيش موحداً في مواجهة تشرذم قوى المجتمع المدني. ويتميز الجيش بمزايا خاصة لا تتاح لعموم المواطنين، وهو يعتبر أداة من أدوات الحراك الاجتماعي، وهذا ما لا توفره العديد من المؤسسات البيروقراطية الأخرى. ذلك لا ينفي أنه قد يكون هناك تفاوت في أنماط التدخل وكثافته وقضاياه ما بين الحالة العربية وغيرها من الحالات، لكن الواقع أثبت أنه بقدر ما تعذر تحييد التأثير الديني في العملية السياسية، بدليل تنامي حركة الإحياء التي نشهدها على مستوى الديانات الثلاث، والتي تمكّن رموزها من مفاتيح السلطة في بلدان العالم المختلفة، فإنه استحال بالمثل تدجين الجيش واختصاص أهل السياسة بشؤونها □

جورج قرم

شرق وغرب: الشرخ الأسطوري

ترجمة ماري طوق؛ أشرف على الترجمة جورج قرم
(بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٣). ٢١٥ ص.

مسعود ضاهر
أستاذ التاريخ في الجامعة اللبنانية.

ـ ١ ـ

يؤكد جورج قرم في كتابه الجديد **شرق وغرب: الشرخ الأسطوري**، وبالأدلة الدامغة، على أن الغرب بات مصاباً بعقدة النرجسية والغرور التي تمنعه من رؤية الشرق على حقيقته، وبالحد الأدنى من الموضوعية. لذا باتت العلاقة بين غرب متفوّق وشرق متخلّف أو عاجز عن مواكبة التطورات العاصفة، وعلى مختلف الصعد، مأزومة جداً على رغم تداخل المصالح الحيوية بينهما، كما أن استمرار هذا الشكل من العلاقات غير الودية يلحق ضرراً بالغاً بمستقبل النظام العالمي الجديد. ناهيك عن أن التفاعل الثقافي بينهما قد ازداد تأزماً في المرحلة الراهنة، وهو يثير إشكالات لا حصر لها. فقد تمّت صياغة الرؤية الثقافية المتبادلة بينهما، على أساس من المخيال الخصب، مع تجاهل شبه تام للدراسات العلمية الدقيقية التي لم تعد تجد مكاناً لها عند أصحاب القرار السياسي والعسكري. وذلك يتطلب تحليل الأسباب العميقة التي جعلت نظرة كل منهما للآخر، ترتدي طابع المتخيل، وتضخّ صوراً مغايرة للواقع، إيجابية أكانت أم سلبية.

يقدم هذا الكتاب، مادة غنية جداً من المعلومات المنتقاة بدقة والتي تنساب بأسلوب ممتع لتصوّر وقائع تاريخية متباعدة في الزمان والمكان. ويعود السبب في ذلك إلى صعوبة التحديد العلمي الدقيق لكل من الشرق والغرب، جغرافياً وزمانياً. فالشرق، مصطلح عام يحتمل امتداداً واسعاً جداً في الجغرافيا والعلاقات الموغلة في القدم، بين شعوب وجماعات ودول ومنظمات وأديان وطوائف وقوميات وأحزاب ومؤسسات متنوعة. وقد اختار الباحث، توصيفها بأسلوب من الترميز الثقافي، في محاولة لتحديد البدايات التي

أفسحت في المجال أمام ظهور شرخ متخيل، أو أسطوري بين عالمين يتجاوران منذ بداية تشكل التاريخ البشري والعلاقات الدولية.

تجدر الإشارة هنا إلى أن الطبعة العربية للكتاب الصادر حديثاً عام ٢٠٠٣ هي ترجمة دقيقة للنص الفرنسي الصادر في باريس عام ٢٠٠٢. ومع أن المؤلف قد أشرف شخصياً على مراقبة النص العربي، فإن العنوان الأصلي بالفرنسية أكثر دقة منه بالعربية، لأنه يعبّر فعلاً عن المقولات الثقافية التي تضمنها الكتاب. ولعل مصدر الارتباك الواضح في مدلول كلا العنوانين يعود إلى ترجمة عبارة «La Fracture imaginaire» بالشرخ الأسطوري. علما أن الكلمة الفرنسية، تشير بدقة إلى وجود شرخ متخيل وليس شرخاً أسطورياً على الإطلاق. والشرخ المتخيل، نتاج موقف متعمد تمّ اتخاذه عن سابق تصور وإصرار، وتم تضمينه حقائق مجتزأة أحياناً، ومتخيلة أحياناً أخرى، وغير علمية في غالب الأحيان.

بعبارة أخرى، يؤكد الإصرار على «الشرخ المتخيل» أنه كان بمقدور الغرب أن يبني مقولاته عن الشرق على أسس علمية دقيقة طالما أن لديه كل الإمكانيات التي تؤهله للقيام بتحليل بنى المجتمعات الشرقية على أسس واقعية وبعيدة كل البعد عن المخيال. دليلنا على ذلك أن عشرات الباحثين الغربيين في مختلف حقول المعرفة العلمية، قدموا دراسات معمقة جداً، وهي تظهر حقائق الشرق بصورة دقيقة. لكن معظم قادة السياسة والفكر من الغربيين، آثروا الاعتماد على مقولات مزيفة عن الشرق، وقد بنيت على مخيال خصب يظهر صورة مزيفة عن الشرق هي أقرب إلى الأوهام الأسطورية منها إلى حقيقة الواقع. وتشكل كتابات برنارد لويس، وفرنسيس فوكوياما، وصموئيل هانتنغتون، وفؤاد عجمي، وسلمان رشدي وغيرهم نماذج فاضحة لكيفية وضع العلم في خدمة ايديولوجيا عنصرية غربية ذات نزعة استعلائية. يضاف إلى ذلك، أن الباحث قد استخدم مصطلح «المتخيل» ومرادفاته اللغوية مرات عدة في هذا الكتاب. لكن ذلك الاستخدام، لم يرشح منه ما يدل على وجود عالم من الأساطير ترك بصمات واضحة على علاقة الشرق والغرب. فالنظرة المتبادلة بينهما، وليست العلاقات نفسها، هي التي كانت نتاج معرفة عن بعد، وغالباً ما اعتمدت على المخيال.

الغرب إذاً، هو الذي صنع «شرقه» عبر المخيال أو التصورات الواهمة وليس من خلال دراسات علمية رصينة. لذا يمكن التأكيد على أن الشرخ المتخيل ناجم عن الرفض المتبادل في إقامة تلك العلاقات على أسس علمية وأنتروبولوجية معمقة. وعلى رغم تطور العلوم العصرية وثورات الإعلام والتكنولوجيا، ما زال أطراف الصراع بين الشرق والغرب يلجأون إلى مقولات ذات طابع غيبي لتأجيج صراع مدمّر بينهما. في هذا المجال، تلعب نظرة الغرب الاستعلائية إلى كل ما هو غير غربي الدور الأساس في زيادة حدّة الأزمة لأن الغرب يعمل على إخضاع

الشرق بالقوة العسكرية، وعلى نشر ثقافته الكونية وفرض نزعته الإمبريالية المتجددة.

ودلّت خطب الرئيس الأمريكي جورج بوش (الابن) التي مهّدت لاحتلال العراق على وجود مقولات غيبية حول «عالم الخير وعالم الشر». فاعتبر نفسه مخلصاً لشعوب الشرق من الظلم والاستبداد، وأن حروبه تمهّد الطريق لخلاص العالم ومجيء المخلص أو المهدي المنتظر.

ـ ٢ ـ

تضمّن الكتاب **مقدمة** منهجية شدّد فيها الباحث على رمزية الصور بعد أحداث أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ التي أحدثت شرخاً عميقاً في علاقة الشرق بالغرب الأمريكي. فقفز إلى واجهة القرار السياسي والعسكري «وسترن» توراتي جديد، مشبع بتقاليد الكاوبوي أو رعاة البقر، ويعمل على إخضاع جميع شعوب العالم بالقوة العسكرية على غرار إخضاع الكاوبوي الأمريكي للهنود الحمر من سكان أمريكا الأصليين. وتبشّر ثقافة «الوسترن» أو الغرب الجديد بأفول عصر الثقافات القديمة في العالم كله، ومنها ثقافة أوروبا الإنسانية التي انطلقت منها في عصر الأنوار لتصبح الغذاء الثقافي المشبع بقيم إنسانية جديدة عمّت العالم كله طوال القرون الثلاثة الماضية.

تناول **الفصل الأول** جذور الشرخ الوهمي بين الشرق والغرب مع التركيز على مقاربة ثنائية العالم بعد فشل مشروع دول عدم الانحياز لإقامة عالم ثالث. وأفرد الباحث مكانة خاصة للبحر المتوسط من حيث هو محور مركزي في التاريخ العالمي، مستفيداً من الدراسة الرائعة التي نشرها المؤرخ الفرنسي فرنان بروديل تحت عنوان «المتوسط والعالم المتوسطي». وقد طبع الكتاب مراراً ونقل إلى عدد كبير من اللغات الحية، وما زال يشكل معلماً بارزاً في الدراسات التاريخية ذات الطابع الشمولي، وفي رؤية الزمن التاريخي على المدى البعيد الذي تولد فيه الحضارات الكبرى والفاعلة في التاريخ الإنساني. ونبّه الباحث إلى أن تعميق هذا المنحى في الدراسات العلمية يتطلب التخلّي نهائياً عن إسناد الأحداث التاريخية إلى مقولات وهمية، ومنها مقولة تقسيم العالم بين آريين وساميين من جهة، ووضع الأخلاق والقيم العليا في خدمة العنف والهيمنة وتبرير الاستعمار من جهة أخرى.

بعد تعرية جذور الشرخ الوهمي في علاقة الشرق بالغرب، تناول **الفصل الثاني** جدلية العلاقة بين الانحطاط والنهضة. فاختار الباحث عناوين فرعية ذات دلالة معبّرة منها: استحالة تحديد سببية أحادية الجانب للنهضة الأوروبية، والتشكيك بوجود قوانين ثابتة تتحكم بمجريات التاريخ، ومناقشة أسطورة المعجزة الإغريقية التي بدأ الغرب الأوروبي يتخلّى عنها لصالح أساطير جديدة تنبع من ميثولوجيا الديانات السماوية أو الديانة الإبراهيمية بعد إخراج الإسلام منها وتحميله مسؤولية الإرهاب الذي يعمّ العالم، ومخاطر وضع الدين

والرأسمالية في خدمة التفوق الغربي، ورفض الغرب الأمريكي الاعتراف بالمعجزة الآسيوية والتهكم على مقولة «القيم الآسيوية الخاصة» على غرار تهكم الأمريكيين على قارة أوروبا العجوز التي شاخت قيمها، وضعف اقتصادها، وهزلت قواها العسكرية.

ناقش **الفصل الثالث** المهمة الجديدة أو المقدسة التي يلعبها الغرب في عالم أزيلت منه أوهام القيم القديمة. فتمّ التخلي عن مقولات التنوير الأوروبي، مع التركيز على الصفة الفردانية التي بدت وكأنها «جينة» من جينات الغرب فقط. فناقش نرجسية الخطاب الغربي الذي تخلّى عن عقلانيته سعياً وراء فرنجة العالم من طريق القوة العسكرية والخطاب الديني المقدس.

لقد انعكست نرجسية الخطاب الغربي بشكل حاد على علاقاته بالشرق. فتناول **الفصل الرابع** تجليات تلك العلاقة المأزومة التي جعلت الشرق يدخل باب المعاصرة، وهو مشدود على الدوام الى قضايا الهوية والانتماء. وحفلت كتابات المفكرين الشرقيين بكثير من المقولات الرومانتيكية أو الطوباوية مع تجديد الحديث الدائم حول روحانية الشرق ومادية الغرب، والبحث عن الجذور المفقودة في تاريخ كل من الشرق والغرب، ودور العوامل الجيوسياسية في تعزيز الانغلاق على الهوية بدل تطويرها والخوف عليها من الضياع. وقد حلل الباحث الأسباب العميقة لعودة العامل الديني بقوة في الزمن المعاصر، والتباين الحادّ الذي أفرزه الخطاب النرجسي الغربي في علاقته بالشرق بعد إصرار الغرب على تجاوز الهويات المشرقية وإلحاقها تبعياً به، وبناء العلاقات الدولية الجديدة على أسس غير أخلاقية، تنكّر لكل أشكال القيم بين الدول والشعوب.

هناك إذاً عالم جديد يقوم على قوة الغرب الهائلة، في مختلف المجالات. وبما أن النظام العالمي الجديد يحتاج إلى لاهوت جديد، فقد تناول **الفصل الخامس** بالدراسة المعمقة مقولة «لاهوت الخلاص والشعب المختار». وتعرضت العلمانية الغربية لهجوم لاهوتي شرس، جعلها عرضة لكثير من الاختراقات المدمّرة، وفي طليعتها المقولات الدينية البدائية التي باتت تهدّد عالم المثل الذي بنته العلمانية الغربية طوال القرون الثلاثة الماضية. فقد عادت إلى الواجهة مقولات غيبية تدعو إلى توحيد العالم انطلاقاً من أفكار توراتية بالية ومرفوضة من جانب جميع المتنورين في العالم كله، ومنها مفهوم الشعب المختار، والجماعة الناجية من الهلاك الأبدي، والقائد المخلص. وحلّت مكان العلمانية العقلانية السابقة علمانية مزيّفة ومخادعة ادعت اكتشاف صلات وثيقة بين اليهودية ونوع من المسيحية المتصهينة، وبرز انقلاب ثقافي حادّ على المقولات العلمانية ذات الصلة بدور الثقافة العقلانية في إنقاذ الفكر والمجتمع من الموروث الديني الغيبي أو الأسطوري.

وهنا يبرز سؤال منهجي بالغ الأهمية: أين الإسلام، وهو دين الشرق بامتياز، من هذه الانقلابات الثقافية والخلقية التي يبشر بها الخطاب النرجسي الغربي الجديد؟

لقد أفرد جورج قرم **الفصل السادس** لمعالجة مقولة «الإسلام المنبوذ الجديد من بين الديانات التوحيدية الثلاث». أما لماذا أصبح الإسلام منبوذاً داخل الديانة الإبراهيمية التي شكل، ولقرون طويلة، الضلع الثالث فيها إلى جانب اليهودية والمسيحية، فليس لعلة في الإسلام نفسه، بل لنظرة غيبية أو متخيّلة من جانب بعض أصحاب القرار السياسي في الغرب المعاصر إلى الدين الإسلامي. فهناك صور منمطة ووهمية تمّ نشرها في الغرب على نطاق واسع، وهي تشوّه عمداً صورة الإسلام وتبالغ في وصمه بالإرهاب لأسباب ذات صلة مباشرة بالمشروع الغربي المتداخل حالياً الى درجة التطابق مع المشروع الصهيوني. ويقدم الغرب صورة مشوّهة عن إسلام مقتلع من جذوره بشكل تعسفي ليسهل وصمه بأنه دين إرهاب يهدّد العالم بأسره. وينفي بعض قادة الغرب الجدد عن الإسلام صفة العلمانية بالمطلق استناداً إلى مقولات برنارد لويس وأعوانه، في حين اثبت كثير من الدراسات العلمية الرصينة قابلية الإسلامية للانسجام مع أشكال معينة من العلمانية التي بلورت نماذج حيّة منها في تونس، وتركيا، وماليزيا وغيرها.

يعزو قرم ارتباك صورة الإسلام العلماني لأسباب موضوعية، منها ما هو خارجي وهو مهم جداً، ومنها ما هو داخلي، وهو الأكثر أهمية. فقد كانت المعركة غير متكافئة بين القومية العربية العلمانية والإسلام «المتفرنج»، وهو الإسلام الذي كان يلقى الدعم الكامل من الغرب في مواجهة القومية العربية العلمانية ومشاريعها التوحيدية على مختلف الصعد. نتيجة لذلك، حصل «انحراف في «الملحمة» الإسلامية عن مسارها»، حين أسلس الإسلام السياسي قياده للغرب العائد حديثاً بطابع استعماري متجدّد. فخسر الإسلام السياسي معركة التلاحم مع القومية العربية من دون أن يربح معركة بناء عالم إسلامي مستقل وقادر على مواجهة تحديات عصر العولمة.

بقي أن نشير إلى أن **الفصل السابع** والأخير قد غلب عليه الطابع الاقتصادي الذي يحظى على الدوام بأهمية كبيرة في جميع دراسات جورج قرم. حمل هذا الفصل العنوان التالي: «العولمة الاقتصادية والنظام العالمي الجديد»، وتضمن بعض العناوين الفرعية المهمة، منها: التبادل الحرّ يحقق خلاص البشرية، ومغامرة العولمة الكبرى من عام ١٤٩٢ إلى عام ٢٠٠١، وخطاب العولمة أم خطاب بشأن الهوية؟ وإخفاق المبادىء الديمقراطية في النظام الدولي، وصورة الغرب كإطفائي مهووس بإضرام الحرائق، والخوف من التغيير، والمواجهة بين المواقف الجذرية الرافضة، ومحاولات المجتمع المدني لإعادة إرساء قواعد جديدة للأخلاق، والمواطن المستهلك أم المواطن المسيس؟ وهي موضوعات ذات صلة وثيقة ببنية النظام العالمي الجديد لكنها تؤثر بعمق في مستقبل علاقات الشرق بالغرب في عصر العولمة. وحملت الخاتمة عنواناً مثيراً: حكمة «بربرية»،

تناول فيها، وباختصار حادّ، ثلاثة موضوعات كبيرة: الحداثة وانعدام التناسق في إيقاع التاريخ، وإعادة بناء العلمانية وتأمين بريقها، وتبديد الالتباس بين الحرية والتبادل الحر.

- ٣ -

يبدو الغرب والشرق في كتاب جورج قرم الجديد جارين لدودين، يتحاوران قليلاً ويتصارعان على المدى الزمني الطويل الذي ينتج تاريخ الحضارات طبقاً لنظرية فرنان بروديل المعروفة. والمحصلة العامة لذلك الصراع أن تاريخ الشرق مع الغرب قد دخل، ومنذ زمن بعيد، مرحلة الصراع المدمّر وليس الصراع التفاعلي، فازداد الشرخ بينهما تباعداً. وتؤكد مقولات الكتاب على أنه بات من الصعب جداً ردم الهوة التي تفصل بينهما على مختلف الصعد السياسية، والإدارية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية وغيرها. وقد ازدادت حدة الأزمة بين الشرق الغرب بعد أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ في الولايات المتحدة الأمريكية، وتعرضت العلاقة بينهما لأزمات حادة تجلّت في تجدّد نزعة الغرب لاحتلال الشرق مجدداً عبر بوابة العراق.

لقد اعتبر الغرب الأمريكي أن الشرق المتمثل بالأصولية الإسلامية قد هاجمه في عقر داره، وهي المرة الأولى في تاريخ الغرب الأمريكي التي تتعرض فيها واشنطن ونيويورك لتدمير. فكان الردّ الحازم بإرسال حملات عسكرية لتأديب أفغانستان، والعراق، والتهديد بتأديب إيران، وسوريا، ولبنان، ودول أخرى. واستناداً إلى تقاليد «وسترن توراتي»، يعمل الأمريكيون على إعادة صياغة العالم على يد أسس قديمة ـ جديدة، مع نزوع قوى للزعامة الأمريكية في قيادة النظام العالمي الجديد. وهذا النزوع الخطر للتسلط الأمريكي يضع قلة من دول العالم المتقدم في مواجهة عالم متخلف يضم غالبية دول العالمين العربي والإسلامي.

هناك إذاً شرخ عميق بين عالم غربي يزداد نمواً، وعالم شرقي يزداد فشلاً على مختلف الصعد. وإذا ما نجح الأمريكيون بترسيخ دعائم نظام شرق أوسطي جديد انطلاقاً من سيطرتهم على العراق، سيعمل الغرب الجديد على تثبيت زعامته على العالم كله. فقد بدأ قادته ومثقفوه يعيدون النظر بالمسلمات القديمة لركائز نهضة الغرب الأولى. وبدأ التشكيك العلني بانتساب الغرب إلى المعجزة الإغريقية، وتقسيم العالم إلى آريين وساميين، والديانات السماوية الواحدة التي تعرف باسم الديانة الإبراهيمية التي نشرت الوصايا العشر، والنظم الأخلاقية، والشرائع التي شكلت جامعاً مشتركاً بين اليهودية والمسيحية والإسلام. وتمّ استبدال الركائز الثقافية والدينية القديمة بمقولات جديدة تضع الأخلاق في خدمة الهيمنة والعنف، والدين في خدمة نظام رأسمالي منتصر، والثقافة وقيمها في خدمة فلسفة القوة. ويجري التشكيك اليومي بنظام القيم الآسيوية كلها، والتقليل من أهمية «المعجزة الآسيوية» في مجال الاقتصاد، ووصف النمور الآسيوية بنمور جريحة في القفص الأمريكي. بعبارة موجزة، بدأ

الغرب الأمريكي يتنكر علناً لتراث الغرب الأوروبي الإنساني الذي بدأ بمقولات عصر الأنوار حول الحرية والمساواة والإخاء والعدالة الاجتماعية. وبعد أن أزال، ولقرون عدة، أوهام المقدس ونشر ثقافة النقد على نطاق واسع، وعمم المقولات الإنسانوية لعصر الأنوار، عاد اليوم إلى خطاب الفردانية، والتفوق، والنرجسية، والقوة.

لقد أعاد الغرب الأمريكي الجديد الاعتبار للمقدس المنطلق من مقولات الفكر الديني التوراتي بعد صياغته على أسس جديدة تجعل من الأمريكيين شعب الله المختار، ومن رئيسهم جورج بوش نبي القرن الحادي والعشرين. وقد ابتدع مسيحية صهيونية تتناقض مع مسيحية غالبية كنائس العالم، خاصة الكاثوليكية والأرثوذكسية. ومع إعطاء العامل الديني الوزن الأكبر في الخطاب النرجسي الأمريكي بدأ الشرخ يتسع، ليس فقط بين الشرق والغرب، بل أيضاً بين «أمريكا الجديدة» و«أوروبا القديمة». وقد اتخذ طابع الحدة بعد أن قلل الأمريكيون من أهمية الموروث الإنساني للثقافة الأوروبية وقيمها الأخلاقية.

أخيراً، تزامن نشر هذا الكتاب مع أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ وصولاً إلى احتلال الولايات المتحدة للعراق من خارج إطار الشرعية الدولية، وعلى رغم معارضة دول أوروبية لها. وقد حفل بالكثير من المعطيات العلمية التي تثري النقاش الدائر الآن على الساحة العربية والذي يدور في جانب أساسي منه حول سؤال «ما العمل؟» لمواجهة الهجمة الاستعمارية الجديدة على العرب.

وعلى رغم أهمية هذا الكتاب الذي أضاف مقولات معمقة إلى السجال الثقافي العربي في المرحلة الراهنة، هناك أسئلة منهجية كثيرة لم تجد فيه أجوبة شافية، منها، على سبيل المثال لا الحصر: ما هي الأسباب العميقة التي جعلت العلاقات متوترة على الدوام بين الشرق والغرب عبر مختلف الحقب التاريخية؟ وما هي أسس النظرة المتبادلة بين كل من الشرق والغرب، لنفسه أولاً وللآخر ثانياً؟ وكيف انقلبت الأدوار على المستوى الكوني بين شرق مسيطر وغرب متخلف في نهاية العصور الوسطى ومطالع العصور الحديثة؟ ولماذا كان الشرق في المخيال الغربي مصدر أحلام تصل إلى حدّ الأسطورة حول مجتمع القصور، والمال، والحريم، والتجارة المزدهرة، وكبار العلماء، والترجمة، والتفاعل الثقافي بين الحضارات العالمية؟ ثم لماذا انقلبت النظرة جذرياً بعد صعود الغرب إلى أعلى السلم الحضاري في التاريخ الحديث والمعاصر؟.

بالمقابل، هناك أسئلة كثيرة وجدت إجابات جريئة عنها في هذا الكتاب الممتع فعلاً. فبعد أن باتت نظرة الغرب إلى ذاته تتسم بنرجسية مرضية يلازمها خوف دائم من فقدان السيطرة والدخول في مرحلة الأفول والانحطاط، كما بشّر أكثر من فيلسوف أوروبي، في أكثر من كتاب ومقالة، فإن مصدر تلك النرجسية المتوترة لدى الغرب هو الخوف من «البرابرة» الذين يسكنون في داخله وإلى جواره. فهو خائف على الذات وعلى الإنجازات الكبيرة التي حققها في فترة زمنية ليست طويلة. فالغرب الأمريكي

يريد ترسيخ هيمنته ليس على الشرق المتخلف فحسب، بل على الغرب الأوروبي أيضاً. ويجاهر قادته ومنظروه، من أمثال فوكوياما وهانتنغتون وبرنارد لويس، بمقولات تتنكر لتراث عصر الأنوار الذي انتشر كبقعة الزيت الثقافي في العالم كله وفي طليعتها مقولات الحرية، والمساواة، والعدالة الاجتماعية، والعلمانية، والليبرالية، والديمقراطية، وحقوق الإنسان، وفصل الدين عن الدولة وغيرها. وهي ركائز أساسية طبعت الغرب بطابع مادي أبعده عن الشرق الذي استمر يمارس أشكالاً غيبية مزيّنة بطقوس وشعائر قديمة وتقدم باسم الدين الحنيف، لكنها، في حقيقة أمرها، ليست من الدين والروحانية بشيء، بل تستخدم كذريعة إضافية لتعميم الاستبداد المقرون بالتخلف والجمود والابتعاد التام عن العلوم العصرية والتقدم التكنولوجي والثورات العلمية والإعلامية.

لقد أبدع قرم في تحليل الخطاب النرجسي الأمريكي الجديد، كما أظهر تراجع الفكر الأوروبي نفسه عن العلمانية لصالح أسطورة «الشعب المختار» التي برّرت قيام إسرائيل مستغلة تأييد أوروبا وأمريكا ودول أخرى لجميع أعمالها العدوانية. وباتت العلمانية، خاصة في جانبها الأمريكي، علمانية خادعة بعد أن تحلّت بها فرقة مسيحية متحالفة تحالفاً وثيقاً مع الحركة الصهيونية. وقادة الغرب الأمريكي مصابون بجنون العظمة، ويدّعون اكتشاف طريق الخلاص الأبدي، ويعتبرون الإسلام دين إرهاب. وهم يستخدمون العولمة الاقتصادية، ونظام السوق، لتمرير مقولات غيبية تدعو إلى خلاص البشرية بالقوة من طريق تدمير «البرابرة»، أي جميع الشعوب المتخلفة التي تعادي النزعة الإلهية للشعب الأمريكي المختار وقائده المخلص. إنه غرب جديد يلبس ثياب الإطفائي المولع بإضرام الحرائق في القارات الخمس، لكنه مؤمن بمقولات بالية تدّعي إنقاذ البشرية بتجديد أساطير دينية تعيد الإنسانية إلى مجاهل عصور الانحطاط والبربرية.

***

ختاماً، يعتبر كتاب جورج قرم **شرق وغرب: الشرخ الأسطوري** بحق بياناً ثقافياً متميزاً يفند أوهام «لاهوت الخلاص والشعب الأمريكي المختار». في الوقت عينه، يجدد الثقة بالعلمانية كنظام سياسي وثقافي واجتماعي يتلاءم مع المستوى الذي وصلت إليه الإنسانية في مطلع القرن الحادي والعشرين، وعلى أساسه تبنى علاقات متوازنة وسليمة تزيل الشرخ المتخيّل بين الشرق والغرب □

كتب مختارة (موجز)

أولاً: الكتب العربية والمترجمة

(١)

أحمد منيسي. **البحرين من الإمارة إلى المملكة: دراسة في التطور السياسي والديمقراطي**. القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ٢٠٠٣. ٢٥٨ ص.

يزجي هذا الكتاب فراغاً في المكتبة الأكاديمية العربية في ما يتعلق بأنماط النظم السياسية، ولا سيما الملكية منها والمشيخية، على غرار ما هو سائد في بلدان الخليج العربي. وفي ما يخص مملكة البحرين على وجه التحديد، فإن تجربتها التاريخية في التعليم، وفي التطور السياسي، تستحق الاهتمام، ولا سيما في ضوء خصوصية التركيبة الديمغرافية فيها. يشتمل الكتاب موضع العرض على ستة فصول رئيسية تعالج الموضوعات التالية على التوالي: التعريف بالتحول الديمقراطي، والإطار التاريخي للتحول الديمقراطي في البحرين، ثم مظاهر هذا التحول في عقد التسعينيات، وفي عهد الشيخ حمد، والأبعاد التطبيقية ذات الصلة، وأخيراً القوى السياسية وآفاق عملية التحول الديمقراطي .

(٢)

السيد هاني. **شاهد على حرب أفغانستان**. القاهرة: دار الجمهورية، ٢٠٠٣. ٥٠٣ ص.

يتضمن هذا الكتاب شهادة حية لمراسل جريدة **الجمهورية** المصرية لتغطية الحرب الأمريكية على أفغانستان في أعقاب التفسير الأمريكي الغائي لأحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ من خلال الربط بين تلك الأحداث وتنظيمي القاعدة وطالبان. مدة الشهادة ثمانية وستون يوماً تنقّل خلالها هاني ما بين أفغانستان وباكستان ووزع وقائعها على خمسة وثلاثين فصلاً تشمل بين ما

تشمل تسليط الضوء على شخصية أسامة بن لادن المتهم أمريكياً بالتخطيط للأحداث وتنفيذها، والمواقف الأفغانية والإقليمية والدولية ذات الصلة، وسقوط كابول، وتطور سير المعارك في قندهار وتورابورا، والاتصالات السرية مع الولايات المتحدة، وصعود حميد قرضاي إلى سدة الحكم في أفغانستان .

(٣)

بشارة خضر. **أوروبا وفلسطين: من الحروب الصليبية حتى اليوم**. ترجمة منصور القاضي؛ مراجعة جورج أبي صالح. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣. ٦٩٦ ص.

يعالج هذا الكتاب موضوعاً تاريخياً سياسياً على قدر كبير من الأهمية، ألا وهو علاقة أوروبا بفلسطين منذ الحروب الصليبية في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي حتى نهاية القرن العشرين. ويشتمل على عرض تاريخي موثّق لوقائع تلك الحروب ووقائع الصدام بين أوروبا الغازية والمشرق العربي منذ عهد نابليون بونابرت إلى نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين وقيام الدولة اليهودية فيها. ويستعرض المؤلف أيضاً سياق العلاقات السياسية بين أوروبا والقضية الفلسطينية في الفترة الممتدة من حرب فلسطين عام ١٩٤٨ إلى نهاية القرن العشرين، مع التركيز على الدور الأوروبي في عملية التسوية منذ مؤتمر مدريد وطيلة عقد التسعينيات وإضافة إلى الوقائع التاريخية، فإن هذا الكتاب هو بمثابة نص فكري – سياسي يكشف عن أساطير سياسية حاكمة للوعي الأوروبي، وعن مشاعر متضاربة من القصاص والذنب كانت في أساس السياسات التي انتهجتها دول أوروبا، ويسجل الكثير من مواقفها من موقع المصلحة الوطنية الفلسطينية والمصلحة القومية العربية. في ضوء ذلك، ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام رئيسية يتوزع عليها سبعة عشر فصلاً بخلاف الخاتمة. تحمل الأقسام الثلاثة العناوين التالية بالترتيب: أوروبا الإمبراطورية وفلسطين، وفلسطين والانتداب البريطاني، وفلسطين وأوروبا قبل قيام المجموعة الأوروبية وبعد قيامها .

(٤)

خليل شيمشك. **استراتيجية الأمن القومي التركي**. اسطنبول: مكتبة I. Q. للثقافة والفن، ٢٠٠٢.

يكتسب الكتاب موضع العرض أهميته من زاويتين أساسيتين: الزاوية **الأولى** موضوع الأمن القومي التركي وما طرأ عليه من تغيرات في ضوء انهيار الاتحاد السوفياتي ونتائج الحرب الأفغانية، خصوصاً في أعقاب أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، والزاوية **الثانية** شخص المؤلف، وهو أحد رجال المؤسسة العسكرية التركية، مما يضمن المعالجة المتخصصة للموضوع. يتضمن الكتاب موضع العرض بابين رئيسيين: **الأول** بعنوان الاستراتيجية الأمنية، ويتناول مقوّمات هذه الاستراتيجيات والعوامل التي تسهم في تشكيلها والآليات الخاصة بتفعيلها. أما الباب **الثاني**، فعنوانه: العوامل المؤثرة في الاستراتيجية الأمنية، ويتطرق إلى

المصادر المختلفة لتهديد الأمن القومي التركي ما بين مصادر داخلية وخارجية ومختلطة .

(٥)

عمرو هاشم ربيع (محرر). **الأحزاب الصغيرة والنظام الحزبي في مصر**. القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ٢٠٠٢. ٢٧٤ص.

يحدّد هذا الكتاب هدفه بالقول إنه يتمثل في إعطاء صورة حقيقية بعيدة عن الانطباعات المشوّشة حول الأحزاب الصغيرة في مصر، وذلك وصولاً إلى الضبط النظري لمفهوم «الحزب الصغير». في هذا السياق، يتضمن الكتاب موضع العرض ثمانية أقسام رئيسية تحمل العناوين التالية بالترتيب: نحو نموذج نظري لمفهوم الأحزاب الصغيرة (الحالة المصرية)، والأحزاب الصغيرة قبل ثورة يوليو/تموز ١٩٥٢: البرامج والسياسات، وبرامج الأحزاب المصرية الصغيرة: قراءة مقارنة، والأحزاب المصرية وأزماتها الداخلية، وموقف لجنة شؤون الأحزاب من طلبات تأسيس الأحزاب الصغيرة: دراسة لبعض الحالات، ودور القضاء المصري في تكوين الأحزاب السياسية، والأحزاب الصغيرة في مصر وعلاقاتها بالأحزاب والقوى السياسية الأخرى، وأخيراً نحو نظام حزبي جديد.

(٦)

اليمن والخليج: الأبعاد السياسية والاقتصادية والثقافية والأمنية لانضمام الجمهورية اليمنية إلى مجلس التعاون لدول الخليج العربية. صنعاء: المركز اليمني للدراسات الاستراتيجية بالتعاون مع مؤسسة فريدريش إيبرت الألمانية، ٢٠٠٣. ١٩٣ ص .

يمثل الكتاب موضع العرض حصيلة أعمال الندوة التي نظمها المركز اليمني للدراسات الاستراتيجية بالتعاون مع مؤسسة فريدريش إيبرت حول العنوان ذاته، وذلك في ٢٣ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٢. وقد أعطى تقديم الكتاب مبرراً لتناول قضية انضمام اليمن إلى مجلس التعاون، يتمثل في الاقتناع بأهمية مثل هذه الخطوة وضرورة تطويرها، وذلك في ضوء الوشائج القوية التي تجمع بين اليمن ودول المجلس. ينقسم الكتاب إلى خمسة فصول تعالج القضايا التالية بالترتيب: علاقات اليمن بمجلس التعاون الخليجي في فترة ما قبل تقديم الطلب الرسمي للعضوية، واليمن ومجلس التعاون لدول الخليج العربية من التأسيس إلى التقارب التدريجي، والبعد الاقتصادي لانضمام اليمن إلى مجلس التعاون الخليجي، ثم البعد الثقافي لهذا الانضمام، وأخيراً العلاقات اليمنية – الخليجية. شارك في أعمال الندوة بالبحث والتعقيب عدد من أبرز المتخصصين في الشؤون اليمنية.

(٧)

محمد خاتمي. **الديمقراطية وحاكمية الأمة**. ترجمة سرمد الطائي. دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٣. ١٨٤ ص.

يجسد الكتاب موضع العرض الملمح الأبرز في شخصية الرئيس الإيراني

محمد خاتمي، وهو ملمح المثقف الذي دخل إلى السلطة من باب رؤيته الخاصة لعملية التغيير السياسي، وهي الرؤية ذات الطبيعة الإصلاحية. واتصالاً بذلك تأتي قضية الديمقراطية لتمثل ركيزة المشروع السياسي للرئيس خاتمي، ويعالجها في الكتاب موضع العرض من خلال عدة محاور تشمل بين ما تشمل: دور المواطن في ظل نظام حكم إسلامي، وحدود التداخل والتباعد بين الديمقراطية والدين، ووضع مؤسسات المجتمع المدني من صحافة وجامعات في إطار نظام حكم ديمقراطي، هذا إضافة إلى مقاربته قضية العلاقة بين الطوائف والمذاهب المختلفة في المجتمع ذاته (أي المجتمع الديمقراطي) من خلال مناقشته العلاقة بين السنة والشيعة .

(٨)

خمسون عاماً على ثورة يوليو ١٩٥٢: أبحاث الندوة الدولية التي عقدت في الفترة من ٢٠ ـ ٢٢ يوليو/ تموز ٢٠٠٢. إشراف محمد صابر عرب ورؤوف عباس حامد. القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٣. ٧١٠ ص.

يأتي صدور هذا الكتاب في إطار الاحتفال بمرور خمسين عاماً على قيام ثورة يوليو (٢٣ تموز/يوليو ١٩٥٢). ويوضح مقرر الندوة في المقدمة خصوصية الثورة المصرية مقارنة بسواها من الثورات، كونها بدأت بانقلاب عسكري نفذته طليعة الضباط الأحرار، وذلك قبل أن تنال تأييد الجماهير بما هي معبّرة عنهم. كما يتطرق إلى أهمية الثورة من زاوية إنجازاتها المحلية والإقليمية. يتضمن الكتاب عدداً كبيراً من القضايا والموضوعات ذات الصلة تشمل بين ما تشمل: دور الثورة في بلورة فكرة القومية العربية، وموقف الثورة من الصراع العربي الصهيوني، ومن قضية الإمامة في سلطنة عمان، وأصداء الثورة في الصحف الوطنية والاستعمارية في الجزائر، والسياسة التعليمية للثورة، وثورة يوليو والحقوق السياسية للمرأة.

(٩)

محمود الذاودي. **أضواء جديدة على محددات العقل العمراني الخلدوني.** تونس: مركز النشر الجامعي، ٢٠٠٣. ٢٦٢ ص.

يعالج الكتاب موضع العرض بعض أفكار عالم الاجتماع العربي الأشهر ابن خلدون، وهي الأفكار التي تعدّ جوهر القضايا التي تهتم بدراستها العلوم الإنسانية والاجتماعية في العصر الحديث، الأمر الذي يفسر استمرار الاحتفاء بالعلامة العربي الكبير خلال النصف الثاني من القرن العشرين، حتى ليذكر الذاودي أن ما كتب عن ابن خلدون في الفترة المشار إليها يفوق كل ما كتب عنه من قبل. يتضمن الكتاب خمسة فصول رئيسية: يناقش **أولها** قضية الدور التأسيسي لابن خلدون لقواعد علم الاجتماع وعلاقة هذا الدور بنظيره لأوغست كونت. ويفند **ثانيها** المقولة التي تردّ عبقرية ابن خلدون إلى السياق الاجتماعي والسياسي والحضاري الذي عاش فيه. ويحلل **ثالثها** مفهوم الطبيعة البشرية في الفكر الخلدوني. ويركز

رابعها على قضية الموضوعية والتحيز في العلوم الاجتماعية الحديثة. أما الفصل **الخامس** والأخير، فيخصص لمعالجة مفهومي التغيير الاجتماعي ونمو المجتمعات والحضارات.

(١٠)

هاني لبيب. **الحوار المسيحي-الإسلامي: رؤية جديدة**. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٢. ٣٣ ص.

يأتي صدور هذا الكتيب للتعبير عن أهمية معنى الحوار وتأكيدها في مواجهة المتخوفين منه والمشككين في جدواه على الجانبين الإسلامي والمسيحي. وفي هذا السياق، يتناول الكتيب موضع العرض النقاط التالية بالترتيب: مدخل عام، بدايات، ماهية الحوار، الحوار علاقات أم مصالح؟ منهج الحوار، عقبات الحوار، الحوار مستويات وأشكال، ملاحظات، وأخيراً آليات الحوار.

ثانياً: الكتب الأجنبية

(١)

David Nachmias and Gila Menahem (eds.). *Public Policy in Israel*. London; Portland, OR: F. Cass, 2002. 280 p. (Israeli History, Politics, and Society; 17)

يهتم هذا الكتاب بدراسة السياسة العامة في إسرائيل، وهي من الموضوعات غير المطروقة على نطاق واسع في ظل التركيز الواضح على قضية الصراع العربي ـ الإسرائيلي، علماً بأن إدارة هذا الصراع تتوقف إلى حدّ كبير على معلومات كل طرف عن الآخر. وفي هذا السياق، يتطرق الكتاب الى عدد من النقاط ذات الصلة، من قبيل الحركات القاعدية ونشاطها في المجتمع الإسرائيلي، وسياسة الإسكان، وخصخصة خدمات الصحة، وقضية النوع الاجتماعي أو الجندر، والنظام التعليمي، وسياسة المياه وتقويمها، ودور بعض مؤسسات المجتمع المدني في الترويج لما يصفه المؤلفون بالديمقراطية. ومن الواضح أن الكتاب على هذا النحو يقدم وجهة نظر إسرائيلية صرفاً في التطور السياسي والاجتماعي والاقتصادي للمجتمع الإسرائيلي، إلا أن أهميته تكمن في أنه يقدم خلفية معلوماتية يمكن الاستفادة منها في تقديم وجهة نظر عربية تحليلية نقدية .

(٢)

Joe Studwell. *The China Dream: The Quest for the Last Great Untapped Market on Earth*. New York: Atlantic Monthly Press, 2002. xx, 359 p.

يهتم هذا الكتاب بقضية القدرات الاقتصادية للصين، ويسلط الضوء على الرهانات الغربية المتعددة على السوق الصينية وفرص ترويج البضائع الغربية فيها. ومع أن ستادويل يشكك في الإحصاءات الاقتصادية الصينية، وبالتالي في ما يترتب عليها من تقديرات لإمكانيات السوق الصينية، إلا أنه يشير إلى تحوّل بكين إلى مركز صناعي عالمي، خصوصاً مع نقل هونغ كونغ وتايوان واليابان الكثير من عملياتها الصناعية إلى هناك للاستفادة من توفر العمالة الرخيصة التي يصف المؤلف علاقتها برب العمل بعلاقة العبودية بين السيد والعبد. لكن في التحليل الأخير، فإن

المؤلف يشير إلى أن الفتيات اللائي يسترققن في صناعة الأحذية لسن حريصات على خلق سوق صينية عظيمة، كما أن أرباب العمل الذين يتربحون من صناعة الأحذية إنما ينشطون في الاقتصاد العالمي خارج نطاق الصين.

(٣)

Ivo H. Daalder. *The End of Atlanticism*. Washington, DC: Brookings Institute, 2003.

يلخص الكتاب موضع العرض الجدل المثار على الساحتين الأوروبية والأمريكية، والذي تفجر بمناسبة أسلوب الولايات المتحدة في إدارة أزمتها مع العراق، وصولاً إلى عدوانها السافر عليه دون استصدار قرار يخولها ذلك من مجلس الأمن، ولا التراضي بخصوص مثل هذا التطور مع دول حلف شمال الأطلسي. فعلى حين تعتبر وجهة نظر أولى أن الأزمة مع العراق مثلت نقطة حرجة في مسار العلاقات الأمريكية – الأوروبية واحتمالات تطورها في المستقبل، في ضوء اتضاح التباين في رؤية الطرفين الأوروبي والأمريكي لمفهوم الأمن القومي، تذهب وجهة نظر أخرى إلى أن الأزمة المشار إليها لا تعدو كونها واحدة من الأزمات التي اجتازها التحالف، والتي سوف يتمكن من التغلب عليها مع الوعي بأنها الأكثر خطورة في تاريخ التحالف.

(٤)

Matthew McAllester. *Beyond the Mountains of the Damned: The War inside Kosovo*. New York: New York University Press, 2002. ix, 227 p.

على الرغم من بشاعة الصور التي نقلتها الفضائيات لما يحدث في كوسوفو، إلا أن ما كان يجري هناك ظل بعيداً عن الإحاطة به بشكل كامل طالما لم يكن يمكن النفاذ إلى داخل مخيمات اللاجئين التي كان يتجمع فيها مئات الآلاف من سكان كوسوفو. ومن هنا تبدو أهمية الكتاب موضع العرض الذي أعده ماكلستر المراسل الصحفي الشاب الذي حاول تسليط الضوء عن قرب على حرب كوسوفو في عام ١٩٩٩، وتحليل موقفي طرفيها مع اهتمام خاص بجيش تحرير كوسوفو.

(٥)

Raymond Hinnebusch and Anoushiravan Ehteshami (eds.). *The Foreign Policies of Middle East States*. Boulder, CO: Lynne Rienner Publisher, 2002. viii, 381 p. (Middle East in the International System)

يثير الكتاب موضع العرض تساؤلاً رئيسياً ويسعى إلى الإجابة عنه، والسؤال هو: هل يمكن تفسير دبلوماسية الشرق الأوسط على أساس النظرية الواقعية والتفسيرات التي تقدمها أم على أساس نظرية الهوية واجتهاداتها في السياق نفسه؟ وفي رأي مؤلفي الكتاب، وكلاهما متخصص في دراسات الشرق الأوسط، مع اهتمام أكبر للثاني بالجمهورية الإسلامية الإيرانية، فإن كلتا النظريتين تصلحان للتفسير، وإن كانت أيهما لا تصلح للتعليل بشكل قاطع، وهو ما يسعى المؤلفان إلى إثباته من خلال العديد من دراسات الحالة، من بينها ليبيا والسعودية وتونس وتركيا واليمن ومصر وإيران والعراق .

(٦)

The Empty Ocean: Plundering the World's Marine Life. Written and illustrated by Richard Ellis. Washington, DC: Island Press; Shearwater Books, 2003. xiv, 367 p.

يثير الكتاب موضع العرض قضية تلويث المياه الدولية وأثر ذلك في تزايد حدّة الصراع الدولي حول المياه. وفي هذا السياق، يشير إليس إلى تهديد بحار العالم ومحيطاته نتيجة التوسع في استنزاف ثرواتها السمكية، والتقدم التكنولوجي والاتصالي الكبير، وارتباط ذلك بكثافة استخدام الممرات المائية كقناة من قنوات النقل، واستخدام وسائل غير مشروعة في اصطياد الأسماك، هذا إلى ما يلحق بتلك الممرات من دمار في غمار الحروب والنزاعات الدولية .

(٧)

Ronit Chacham. *Breaking Ranks: Refusing to Serve in the West Bank and Gaza Strip.* New York: Other Press, 2003. viii, 153 p.

يتناول الكتاب موضع العرض المسكوت عنه في داخل المجتمع الإسرائيلي، والمقصود به رفض بعض الجنود الإسرائيليين الاستمرار في الخدمة العسكرية في الأراضي الفلسطينية المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة، وذلك من خلال استعراض آراء هؤلاء الجنود وتحليل مواقفهم التي تتمحور حول عدم مشروعية الاحتلال الإسرائيلي لهذه الأراضي، والانتهاكات الواسعة النطاق لحقوق مواطنيها من العرب، هذا فضلاً عن التكلفة البشرية والمادية العالية لمحاولة فرض الهيمنة الإسرائيلية على تلك الأراضي.

(٨)

Shiwchi Shigetomi. *The State NGO's Perspective from Asia.* [Singapore]: Institute of Southeast Asian Studies, 2003. 336 p.

يناقش هذا الكتاب رؤية المنظمات غير الحكومية لدور الدولة في عدد من الدول الآسيوية، ومن قبيلها الهند واليابان والفيليبين وهونغ كونغ وباكستان... الخ، وأثر مثل هذه الرؤية على تكييف العلاقة بين تلك المنظمات والدولة، من حيث أنماط العلاقة، ومستوياتها، والقضايا موضع التنسيق أو التنافر. كما يهتم الكتاب بتحليل جوانب الاتفاق والاختلاف بين رؤى المنظمات غير الحكومية في إطار الدولة الواحدة، ومدى ارتباط ذلك بهيكل كل منظمة وأيديولوجيتها وقاعدتها الشعبية وطبيعة الهدف الذي ينتظم نشاطها من حوله.

(٩)

Sumit Ganguly. *Conflict Unending: India - Pakistan Tensions Since 1947.* New York: Columbia University Press; Washington,DC: Woodrow Wilson Center Press, 2002. 187 p.

يتضمن الكتاب موضع العرض تحليلاً عميقاً للأسباب التي قادت إلى اندلاع أربع حروب وعدد كبير من الأزمات السياسية بين الهند وباكستان منذ عام ١٩٤٧ وحتى الآن، الأمر الذي يجعل منطقة شبه القارة الهندية واحدة من أكثر مناطق العالم توتراً. وعلى خلاف العديد من الكتابات ذات الصلة بجنوب آسيا والتي ركزت على السباق النووي الهندي ـ الباكستاني، فإن المؤلف يعتبر هذا السباق عرضاً من أعراض علاقة صراعية متعددة الأبعاد بين كل من الهند

وباكستان. وتحديداً، يركّز المؤلف على ثلاثة عوامل رئيسية يعزو إليها الصراع المذكور: العامل **الأول** الخلاف الأيديولوجي المحتدم بين نخب كلتا الدولتين. والعامل **الثاني** النزاع الحدودي بين الدولتين على إقليم كشمير. والعامل **الثالث** سياسي يتأسس على العاملين السابقين، ويتمثل في انتهاز أحد الطرفين (أو كليهما)، أي فرصة لإبطال المزاعم التاريخية للآخر والإخلال بميزان القوة الإقليمي ·

(١٠)

Susan Rice. *US Foreign Assistance and Failed States*. Washington, DC: Brookings Institute, 2002.

تعبير الدول الفاشلة هو أحد التعبيرات الكثيرة التي تستخدم لتوصيف النوعية نفسها من الدول، أي الدول المارقة أو العاصية أو دول محور الشر، وجميعها دول توصف بعدم احترام الدستور في الداخل وإقامتها نظم حكم غير ديمقراطي، وبالاستخفاف بالقانون الدولي في علاقاتها الخارجية من خلال تهديد جيرانها بما تحوزه من أسلحة دمار شامل وبما توفره من دعم وملاذات آمنة للجماعات الإرهابية. وإذا كانت سوزان رايس قد وضعت كتابها قبل احتلال الولايات المتحدة للعراق في ٩ نيسان/أبريل ٢٠٠٣، إلا أن تحليلها لسياسة الولايات المتحدة حيال هذه الدول، أي الدول الفاشلة، يصلح تماماً للانطباق على السياسة الأمريكية في العراق المحتل، إذ تذهب رايس إلى أن هذه السياسة تتميز بالغموض وتفتقد الرؤية والاستراتيجيات، وتعوزها الوسائل والأدوات اللازمة لبناء المؤسسات وإرساء القواعد الديمقراطية □

تقرير عن:

المؤتمر السنوي السادس عشر للبحوث السياسية بعنوان «إسرائيل من الداخل: خريطة الواقع وسيناريوهات المستقبل»

القاهرة، ٢٨-٣١ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٢

نادية محمود مصطفى

مديرة مركز البحوث والدراسات السياسية، ومقررة المؤتمر.

مقدمة

ينقسم التقرير الشامل عن أعمال المؤتمر السنوي السادس عشر للبحوث السياسية المنعقد بتاريخ ٢٨-٣١ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٢ بين ثلاث مجموعات من الملاحظات والاستنتاجات.

أولاً: المجموعة الأولى، تدور حول أهداف المؤتمر وهيكل موضوعاته.

ثانياً: المجموعة الثانية، تقدم قضايا واتجاهات المناقشات خلال الجلسات الاثنتي عشرة، فضلاً عن الجلستين التمهيدية والختامية، وكذلك المحاضرتين العامتين للدكتور سليمان أبو ستة (٢٥ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٢) تحت عنوان «خطة إسرائيل ٢٠٢٠»، والدكتور عبد الوهاب المسيري (٣٠ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٢) تحت عنوان: «آليات تحليل الخطاب الصهيوني».

ثالثاً: المجموعة الثالثة، تحرير المفاهيم، والإسقاطات على قضايانا، والتوصيات حول آفاق دراسة إسرائيل.

أولاً: المجموعة الأولى من الملاحظات: حول أهداف المؤتمر وهيكل موضوعاته

١ ـ التراكم والتواصل مع أنشطة المركز السابقة

امتدت الأنشطة السابقة للمركز إلى مجال الصراع العربي ـ الإسرائيلي والقضية الفلسطينية، سواء على مستوى تفاعلات النظام العربي والعالمي أو على مستوى السياسة المصرية. أما الإضافة التي يمثلها المؤتمر السادس عشر عن إسرائيل، فهو تركيزه على إسرائيل ذاتها، وكنواة لبداية برنامج للدراسات الإسرائيلية والفلسطينية والمقدسية في المركز. ولقد واجهت إدارة المركز ـ خلال الإعداد للمؤتمر، وخلال فعاليات

المؤتمر ـ هذا السؤال: «هل مزيد من المعرفة عن إسرائيل هو المطلوب الآن، أم المطلوب بالأساس يكمن في مزيد من المعرفة عن الذات؟» وكيفية تغييرها وإصلاح أوضاعها لزيادة فعاليتها أو لحمايتها ولمعرفة قدر تحدياتها، ذلك مع التأكيد على أنني أقصد بـ «الذات» هنا، الذات المصرية والعربية والإسلامية من ناحية، والذات الفلسطينية التي تعاني ما تعانيه الآن من ناحية أخرى.

وأعتقد ـ وفق أهداف المؤتمر، وكما اتضح من المناقشات ـ أن مزيداً من المعرفة عن إسرائيل لا ينفصل عن مزيد من الرغبة في خدمة القضية. فإذا كان لمعرفة إسرائيل قبل حرب ١٩٦٧ أهداف، وكان لما بعد هذه الحرب، في ظل انتصار وحرب تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٧٣، ثم عملية السلام، أهداف أخرى، فإنه في ظل فشل عملية السلام هذه لا بد من أن تبرز أهداف جديدة غيرها؛ ليس من أجل الاتساق مع العدو والتعايش معه والاستسلام له في ظل ما وصل إليه من القوة والسعي لفرض الهيمنة وكسر إرادة العرب والفلسطينيين، ولكن من أجل تصميم الرؤى عن كيفية إدارة الصراع معه في ظل محدّدات هذه المرحلة.

٢ ـ أهداف المؤتمر ودلالات المناقشات

السؤال الأساسي الذي طرحناه في مخطط المؤتمر وأعدنا تكراره في افتتاح المؤتمر هو: «ما الذي تحقق عبر ما يقرب من أربعة عقود منذ بداية الاهتمام بدراسة إسرائيل؟ وما الذي يجدر تحقيقه بعد ذلك؟».

إن هذا السؤال يعني منذ البداية الاعتراف من جانبنا بفضل مراكز وهيئات، بل أفراد قديرين أيضاً في هذا المجال، ولكن مع الاعتراف أيضاً بالحاجة إلى أهداف أخرى حدّدناها منذ البداية في مخطط المؤتمر وعند افتتاحه.

وبالفعل فلقد اتضحت من المناقشات ثلاثة أمور:

أ ـ بعد أن كانت فكرة دراسة العدو مستهجنة ومرفوضة أو قاصرة على نطاق ضيق استخباراتي، اتضح ولكن للأسف وبعد هزيمة ١٩٦٧، مدى خطورة هذه الرؤية. ومن ثم نمت بعد هذه الهزيمة ـ وتزايدت تدريجياً عبر العقود الثلاثة الأخيرة ـ هذه الدراسات التي تعنى بإسرائيل في نطاق تخصصات مختلفة ومراكز ومؤسسات مصرية وعربية، بحيث بدت الصورة الآن مختلفة تماماً عن ذي قبل، وذلك في الوقت نفسه الذي اختلفت فيه الصورة أيضاً على ساحة واقع الصراع مع إسرائيل.

ب ـ اتضح أيضاً التساؤل عن: «كيفية توظيف هذه المعرفة وهذا الفهم المتزايد عن إسرائيل»؛ لأنه ليس المطلوب المعرفة بحدّ ذاتها، ولأغراض أكاديمية أو بحثية أو فكرية بحتة في هذا المجال، فالأمر ليس بالشأن العادي أو الهيّن، إنما يتصل بالأمن والوجود.

ومن ثم طالب العديد من المشاركين والحضور بضرورة تحقيق الرابطة بين جماعة التفكير في هذا المجال، وبين

صانع القرار والسياسة على النحو الذي يزيد من فعالية نتائج هذه الدراسة. فالدور التعبوي ليس مطلوباً الآن ـ سواء لأنه موجود بالفعل أو لأن الأكاديمية ليس دورها هو التعبئة ـ ولكن المطلوب المزيد من الترشيد والتفعيل لنتائج النهضة الحادثة في مجال دراسة إسرائيل. وهذا يتحقق بسبل كثيرة، سواء على مستوى تنظيم الجماعة البحثية المعنية ذاتها أو على صعيد تواصلها المرتقب مع صنّاع السياسة.

ج ـ كذلك اتضح أن مجال الدراسات الإسرائيلية يتقاسمه متخصصون من مجالات معرفية مختلفة منها أقسام: العبرية، والتاريخ، والعلوم الاجتماعية، والعلوم السياسية، والعلوم العسكرية. وهذا أمر طبيعي بلا خلاف، ولكن تظل الحاجة قوية إلى التنسيق بين هذه الجهود والتكامل بينها، على نحو يحقق قفزة نوعية في هذه الدراسات، وفق مناهج وأجندة موضوعات جديدة تتطلبها المرحلة الراهنة من إدارة الصراع مع إسرائيل. فليس المطلوب مثلاً الآن أن نستمر في ردّ دعاوى المشروع الصهيوني بقدر ما هو مطلوب أن نفهم استراتيجيته وتكتيكاته وأدواته وأطره الداخلية والخارجية على النحو الذي يمكن من تقييد آثارها وانتقالنا إلى مستوى المبادرة، وليس مجرد ردّ الفعل.

ويتطلب هذا الوضع بدوره إعداد جيل جديد من الباحثين، كما يتطلب ـ وهو الأهم ـ تكوين شبكة (Network) بين المعنيين في الداخل المصري وعبر الحدود العربية والإسلامية، ونحو الداخل الفلسطيني الحميم، لتنسيق الجهود البحثية والتكامل معها.

٣ ـ هيكل المؤتمر وموضوعاته

ثارت في هذا الصدد مجموعتان من التعليقات:

أ ـ المجموعة الأولى من التعليقات

تمحورت هذه المجموعة حول التساؤل عن مدى الحاجة إلى الجلسة التمهيدية (الرؤى المصرية) والجلسة الأولى (حالة دراسة إسرائيل في أقسام العبرية والعلوم الاجتماعية).

وأعتقد أن الجلسة التمهيدية ـ كما ذكرت في افتتاح المؤتمر ـ تُعدّ بمثابة القاعدة والمنطلق للمؤتمر. فإن السؤال عن: «لماذا نريد دراسة إسرائيل؟» لا ينفصل عن: «كيف نرى إسرائيل الآن وندركها في مصر؟». ومن هنا مغزى الانطلاق من القاعدة الوطنية المصرية في تحديد أهداف المؤتمر، وهي القاعدة التي لا تنفصل عن قواعد أخرى: عربية وإسلامية، بحكم دور مصر التاريخي في الوطن العربي والعالم الإسلامي.

أما بالنسبة إلى الجلسة الأولى عن حالة دراسة إسرائيل في أقسام العبرية والتاريخ وأقسام العلوم السياسية، فلقد كانت ضرورية لفهم الوضع الراهن لحالة الدراسة وتطورها، والعلاقة بين التخصصات المختلفة التي تهتم بالدراسات الإسرائيلية. وقد تبينت لنا بالفعل عدة أمور، منها:

ـ المنهج التكاملي في الجمع بين الأدب، والدين، والتاريخ، والدراسات الاجتماعية العبرية.

ـ ضرورة الدراسات التاريخية ـ بصفة عامة ـ وبالنسبة إلى قضية فلسطين كسبيل لمواجهة الادعاءات الإسرائيلية والحفاظ على الوعي والذاكرة التاريخية، فإن اللغة والتاريخ ـ وهما اللسان والذاكرة ـ يمثلان ركني الحضارة. وهناك حاجة إلى رؤية استراتيجية لتعليم التاريخ على نحو يحفظ الوعي والهوية والعقل، ويمنع اللهو والعبث بالتاريخ، ويتصدّى لسرقته واحتلاله واستيطانه.

ـ إن دراستي هذه الجلسة لم تكن دراسات نظرية منبتة الصلة عن موضوعات المؤتمر اللاحقة، ولكن كانت بمثابة قاعدة تمهيدية تبيّن لنا جزءاً من حالة دراسة إسرائيل الراهنة وتمهيداً لما سيلي بعد ذلك.

وبالفعل، فلقد ثار في هذه الجلسة أمران مهمان تكررا بعد ذلك كثيراً، وهما:

ـ ما جدوى فهم الديانة اليهودية والتاريخ اليهودي في فهم السلوك الإسرائيلي؟ أو ما وزن البعد الديني والتاريخي في فهم إسرائيل من الداخل ونحو الخارج؟

ـ ما الذي تحتاج إليه دراسة إسرائيل من الداخل: هل الترجمة عن العبرية فقط أم أن هناك حاجة الى مناهج علوم اجتماعية حديثة لتوظيف هذه المادة العلمية بأساليب حديثة تتخطى إسهامات أقسام العبرية وتبني عليها بالتعاون مع أقسام العلوم الاجتماعية المختلفة؟

ب ـ المجموعة الثانية من التعليقات

تمحورت حول السؤال التالي: هل عنوان المؤتمر «إسرائيل من الداخل: خريطة الواقع وسيناريوهات المستقبل» قد انعكس فعلياً في اختيار المحاور وموضوعات الأبحاث؟

وكان المقصود بهذا السؤال الأمور التالية:

(١) انصب اليوم الثالث في المؤتمر على العلاقات الخارجية.. فلماذا؟ وما علاقة هذا بداخل إسرائيل؟ أعتقد أن الإجابة تكمن في طبيعة إسرائيل، كما تمّ التعبير عنها في المؤتمر ككيان غير طبيعي وكنواة لمشروع استعماري ما زال يكتمل ويُحكم تحدياته على المنطقة، وككيان ذي امتدادات خارجية لا تنفصل عن داخله، كما أن داخله هو تجسيد لقوى خارجية. هذه الطبيعة لا يمكن فهمها بالاقتصار على داخل حدود إسرائيل، لأن إسرائيل دولة بلا حدود وذات امتدادات خارج «إقليمها» الذي اغتصبته.

(٢) أين سيناريوهات المستقبل عن الداخل الإسرائيلي وامتداداته الخارجية، وخاصة دلالتها بالنسبة إلى السياسة المصرية، ومستقبل استراتيجية إدارة الصراع مع إسرائيل، بل بالنسبة أيضاً الى مستقبل اتجاهات الدراسات الإسرائيلية؟

في الحقيقة، لم تتضمن معظم الدراسات خلاصات دالة بالنسبة إلى هذه الأبعاد، إلا أن المناقشات قد استدعت دائماً هذه الدلالات، وخاصة بالنسبة إلى مستقبل خيار السلام كخيار استراتيجي، كما سنرى لاحقاً.

ثانياً: المجموعة الثانية من الملاحظات: حول قضايا واتجاهات المناقشة

١ ـ التاريخ اليهودي والتاريخ الفلسطيني: كيف ولماذا؟

ـ هل دراسة هذين التاريخين ما زالت ضرورية لفهم السلوك الإسرائيلي؟ ألا يجب التركيز على موضوعات أخرى تتصل بالواقع؟

ـ أليس لليهود تاريخ في المنطقة مثل العرب؟ وما هي حججهم المرفوضة وما هو القدر المقبول منها؟ وهذا سؤال يتصل بقضية الوعي بذاكرة الصراع وجذوره التاريخية.

ـ هل لدراسة التاريخ أهمية ووزن في المعركة مع إسرائيل: أليس هو مصدر الذاكرة وأساساً في الهوية، وكذلك معمل الخبرات والدروس.

٢ ـ الديانة اليهودية

تتعلق الملاحظات بالاهتمام من عدمه بالأبعاد والمصادر الدينية، ودور دراسة الديانة اليهودية في فهم الصهيونية، والبعد الديني في مقابل الأبعاد الأخرى في فهم السلوك الإسرائيلي الرسمي وغير الرسمي؟ هل دراسة الديانة اليهودية هي الأساس فقط؟

وانقسم الأمر بين اتجاهين: اتجاه **أول** يرفض التركيز على البعد الديني اليهودي في الصهيونية لاعتبارها أيديولوجية علمانية، ولاعتبار المشروع الصهيوني مشروعاً استعمارياً استيطانياً، وليس حركة دينية؛ واتجاه **ثان** يبرز أهمية هذا البعد ويرجع إليه فهم نشأة إسرائيل والتعصب والتطرف الإسرائيليين ضد العرب.

وبين الاتجاهين هناك اتجاه **ثالث** يرى أن الفصل الديني والسياسي صعب، ولكن الأهم هو السؤال: أيهما يوظف الآخر؟ وبالمثل يجب عدم التقليل من أهمية المصادر الدينية بمفردها أو التهويل في ذلك، والأجدر هو الاهتمام بتوظيفها في نطاق السياق الاستعماري.

هذا وتجدر الإشارة إلى أنه بغض النظر عن الاختلافات حول الجذور الدينية للعقيدة الصهيونية، فقد كان هناك نوع من الاتفاق بين أبحاث المؤتمر على أن تطور العلاقة بين اليمين واليسار الإسرائيليين تعكس نمواً متصاعداً لوزن اليمين، وكذلك نمو وزن ودور قوى اليمين الديني اليهودي المتطرف، الأمر الذي يشلّ حركة قوى السلام.

٣ ـ حقيقة الظاهرة الإسرائيلية: حقيقة الأسطورة من الداخل

تتعلق الملاحظات بطبيعة الدولة والمجتمع في إسرائيل: الهوية، والديمقراطية، ونموذج التنمية، والقوة الاقتصادية والعسكرية (ما هي أوجه القوة وما هي أوجه الضعف)؟

ساهمت الجلسات الخمس التالية ابتداء من الجلسة الثالثة وحتى الجلسة السابعة في إلقاء الضوء الساطع على أبعاد داخلية مباشرة تكشف حقيقة إسرائيل من الداخل:

أ ـ وضع يموج بالانقسامات الإثنية، والعقدية، والثقافية على نحو يدحض

مقولة النقاء العنصري ويطرح آفاق حروب ثقافية كامنة يحول دون انفجارها ـ كلما همت بذلك ـ تصعيد المواجهة مع العرب.

ب ـ التداخل بين الدين والدولة، وبين الأسطورة والعلمية على نحو يفجّر الصراع حول هوية الدولة، الأمر الذي لم يتمّ البت فيه حتى الآن.

ج ـ عدم التضخيم من قضية الديمقراطية في إسرائيل، فلا يمكن قياسها على تجربة الغرب من ناحية، ولا يمكن مقارنتها بنظيرتها في المنطقة العربية من ناحية أخرى، لأن لديها إجراءات للديمقراطية، وليس لديها مضمون ديمقراطي، حيث الرابطة العرقية أو الدينية تحلّ محل المواطنة، مما ينتهك الديمقراطية. وهذا الخلل لا يتصل بالعلاقة تجاه العرب فقط، ولكن بين الجماعات اليهودية ذاتها ووزنها ودورها في العملية السياسية بمعناها الواسع، فإن للنظام السياسي في إسرائيل سطحاً ديمقراطياً يخفي أسساً لنظام أبارتهيد ينتهك حقوق الإنسان.

د ـ من أهم المؤشرات على هذا الخلل الديمقراطي ما يتصل بمستقبل عرب ١٩٤٨، وهؤلاء يتعرضون لمخاطر عديدة الآن على رأسها أعداد «الترانسفير»، نظراً لما أضحى يمثله عرب ١٩٤٨ من تهديد لإسرائيل يفوق في نظرها تهديد الإرهاب أو العراق، حيث إن من أهم معايير تحرك إسرائيل الآن ليس المعيار الأسطوري أو الأمني فقط، ولكن الديمغرافي أيضاً. ومن ثم، فإن مستقبل إسرائيل ـ في نظر إسرائيل ـ مرهون بثمن السلام الذي على العرب دفعه.

هـ ـ الانتفاضة لم تؤدِ فقط ـ كما يقول البعض ـ إلى تزايد مصادر التهديد للإسرائيليين على نحو دفع التشدد إلى الأمام، سواء لدى الناخب الإسرائيلي أو الساسة والعسكريين، ولكنها أدت أيضاً إلى نتائج إيجابية ـ من المنظور الفلسطيني ـ تمثل تحديات كبيرة للمخطط الإسرائيلي تجاه فلسطينيي ١٩٤٨ أو فلسطينيي الأراضي المحتلة.

و ـ الاهتمام بالصراعات والانقسامات الداخلية في إسرائيل يجب أن يظل في سياقه الصحي والعلمي والمنضبط.

ز ـ إسرائيل دولة غير طبيعية مصنوعة صنعاً تستمد وجودها من الخارج، بدليل أنه إذا كان المتعارف عليه أن للبيئة الأمنية أثراً في الاقتصاد بالسلب أو الإيجاب، إلا أن وجود إسرائيل في نطاق يرفضها لم يحل دون تدفق العون الخارجي إلى إسرائيل على نحو ساعدها على التفوق على الدول العربية في مؤشرات كل من القطاع الزراعي والصناعي والعلمي والخدمات والصادرات.

ح ـ يعدّ تطور القوة العسكرية في إسرائيل من أكثر الأدلة على مدى ما لهذا الكيان غير الطبيعي من امتدادات خارجية تدعم من مقومات قدرته على نحو لا يتفق مع ما تسمح به موارده الذاتية (البشرية والمادية والإقليمية).

٤ ـ الداخل الإسرائيلي وآفاق عملية السلام

هنا نواجه عملية ذات وجهين:

أ ـ هل السلام يمكن أن يقود إلى انهيار إسرائيل، حيث إن المجتمع

الإسرائيلي قد ينفجر إذا لم يكن في بيئة معادية، وحيث إن إحدى أهم سمات النظام هي طغيان الخطر الخارجي على الانقسامات الداخلية في تاريخ نشأة إسرائيل؟

ب ـ ما خريطة الداخل الإسرائيلي: أين اليمين المتطرف ودلالته بالنسبة إلى آفاق السلام الذي يتمسك به العرب كخيار استراتيجي؟

ولكن يظل السؤال: أي سلام هذا الذي نتساءل عنه؟ السلام بالشروط الإسرائيلية الذي تحدده خطط إسرائيل عن مستقبلها مثل خطة إسرائيل ٢٠٢٠ (محاضرة د. سليمان أبو ستة) أم السلام الذي يحقق العدل والاستقرار الفعليين في المنطقة؟

ولذا، فإن أوراق الجلسة الخامسة بصفة خاصة قد أضافت إلى مدلولات الجلستين الثالثة والرابعة مدلولات مباشرة شديدة الوضوح بالنسبة إلى وجهة العملة السابقة، وبالنسبة إلى إمكانيات الرهان على تيار السلام الإسرائيلي.

٥ ـ هل هناك علاقات خارجية أم امتدادات خارجية للداخل وامتدادات داخلية للخارج الإسرائيلي؟ النطاقات والأساليب وأسباب الفاعلية

أ ـ الشرعية الدولية والمجتمع المدني الدولي: الدولة العاصية والإدانة بالعنصرية

إن الخروج عن الشرعية الدولية له مستويات، أحدها: التحدّي للشرعية الدولية، وهو خروج مع سبق الإصرار والترصد، وهذا ما تمارسه إسرائيل. أما أهم أسباب فجورها في العصيان (خروجها على الشرعية) هو وجود تفاعل بنّاء مع القوى الكبرى.

ب ـ استخدام أساليب جديدة ومبتكرة وغير تقليدية وشديدة البراغماتية وقد تكون لا أخلاقية

يتم اكتساب مناطق النفوذ بأقل تكلفة ابتداء من أفريقيا وانتقالاً إلى آسيا. وخصائص الاستراتيجية الإسرائيلية في كل من القارتين وأساليبها تستجيب لاحتياجات القارتين، كما أن الامتداد من جديد إلى أرض ومنبع المشكلة اليهودية، أي أوروبا، يتحقق باستراتيجية توظيف العداء للسامية من جديد.

إن الرصيد اليهودي، والصهيوني الأمريكي في الولايات المتحدة جزء من النسيج المجتمعي وفي قلب التيارات السياسية الكبرى، ومن خلال تحالف المنظمات المسيحية المدنية ومنظمات مساندة الصهيونية.

لذا وبقدر ما أشار البعض إلى خطورة وعدم صحة الاستناد إلى الأبعاد الدينية فقط لفهم السلوك الإسرائيلي، تساءل البعض الآخر عن مغزى تجدّد الاهتمام بالصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة والكتابة عنها على الرغم من أن التأليف فيها قديم ولم يكن زائفاً؟ وما دلالة ذلك بالنسبة إلى فهم مستقبل التحالف بين إسرائيل والولايات المتحدة؟ وهل المقصود بذلك كله (أي تجديد

الاهتمام بالأبعاد الدينية) هو دعم مقولات «الصراع الحضاري»؟

ج ـ الاتفاقات الاقتصادية مع إسرائيل

هي تتويج لأمر واقع، عنصر المحاباة من الغرب لإسرائيل يفرض علينا أن نتساءل عما وراء الأرقام: فهل النمط نفسه من الاتفاقات يمكن أن يتكرر مع مصر أم أن الامتداد الحضاري للغرب في إسرائيل يجعل الأمر فريداً لا يتكرر مع مصر؟

ومن ثم، فإن الحديث عن خصائص الاقتصاد الإسرائيلي من ناحية، وخصائص كل من اتفاقية الشراكة الأوروبية المتوسطية مع الاتحاد الأوروبي من ناحية أخرى، لا يعني أن مزايا ومكاسب إسرائيل ترجع إلى التوافق بين الناحيتين فقط، وعلى ما لا يتوافر للاقتصادات المصرية والعربية، ولكن يعني أيضاً وبدرجة كبيرة تدخل الاعتبارات السياسية وعلى رأسها الدعم الخارجي لإسرائيل.

د ـ أدوات ووسائل السياسة الإسرائيلية

لا تقتصر على الناحية العسكرية والاقتصادية والدبلوماسية، ولكن تتصل بها وتدعمها بتناغم شديد الأدوات الرمزية، ومن ثم، فإن الجلسة الثانية عشرة في المؤتمر لم تكن أقل أهمية من الجلسات السابقة لأنها تتصل بالإنسان العادي الذي يواجه هذه الأدوات والوسائط الإسرائيلية، أي: الفضائيات، والسينما، وشبكة المعلومات الدولية.

ثالثاً: المجموعة الثالثة من الملاحظات: تحرير المفاهيم، والإسقاطات على قضايانا، والتوصيات حول آفاق دراسة إسرائيل

١ ـ تحرير المفاهيم

جرت خلال المؤتمر ـ بحوثاً ومناقشات وفي المحاضرتين العامتين ـ إثارة قضية ضبط المفاهيم وتحريرها.

ومن أهم المفاهيم التي جرى التنبيه إلى ما تحمله من دلالات تعكس الرؤية الإسرائيلية وأهدافها ما يلي:

أ ـ **الأقلية الفلسطينية** (إشارة إلى عرب ١٩٤٨)، على اعتبار أن الاستيطان الإسرائيلي والتصفية والطرد الإسرائيليين هي أساليب تهدف إلى تحويل أصحاب الأرض إلى أقلية. ولكن وكما اتضح في محاضرة د. سلمان أبو ستة قبل المؤتمر وخلال إلقاء بحثه في المؤتمر ـ عن حق العودة للاجئين ـ اتضح أنه مهما حاولت إسرائيل، فلن يصبح اليهود الأغلبية إلا بطرد ونقل الفلسطينيين من عرب ١٩٤٨ وتفكيك مناطق الكثافة الفلسطينية في الأرض المحتلة.

ولقد ثارت القضية نفسها حين المقاربة مع وضع الأقلية الألبانية في مقدونيا ومناقشة أسباب وإمكانية تطبيق النموذج المقدوني (وفق تدخل الاتحاد الأوروبي) في إسرائيل.

ب ـ **تنازلات إسرائيل**: فالتنازل لا يكون إلا عن حق وليس لمغتصب مثل إسرائيل أن يتكلم على تنازل. وطلب ورَدّ

الحقوق لا يكون إلا عن استحقاق. ومن ثم، فإن استرداد الحقوق المغتصبة ليس تنازلاً، لأن إسرائيل نجحت بأن تقنعنا أن استرداد بعض حقوقنا يعني تنازلات من جانبها، وكأنها تجعل من ذلك الاغتصاب حقاً لها.

ج ـ **تزييف الحقائق** كما يحدث مثلاً عند تعريف فلسطين، فمثلاً في مقدمة كتاب روجيه غارودي: **فلسطين أرض الديانات الإلهية** يتم تزييف تاريخ فلسطين، حيث يقدم تعريف **الموسوعة البريطانية** لفلسطين بأنها الأرض التي خضعت للانتداب في الفترة من عام ١٩٢٣ إلى عام ١٩٤٨.

د ـ **السلام خيار استراتيجي**: السلام ليس خياراً أو إطاراً، ولكنه حالة من حالات العلاقات بين الأمم والدول، لا يمكن أن يستمر إلى الأبد من دون تغيير، والتاريخ يقدم نماذج على خطأ النظر إلى السلام كخيار استراتيجي، لأنه من المفروض أن نتعلم ثقافة المقاومة وندعّم منها.

٢ ـ الإسقاطات على قضايانا

أثارت البحوث والمناقشات ـ في مناسبات عدة إشكالية الإسقاط على قضايانا واستدعاء أوضاعنا للمقارنة بما يتم طرحه عن إسرائيل. ومن أبرز النماذج على ذلك ما يلي:

أ ـ إذا كان من غير المتوقع أن تؤثر الأزمة الاقتصادية في داخل إسرائيل في سلوكها السياسي تجاه الفلسطينيين أو في توجهها الحالي تجاه ما بقي من عملية السلام (نظراً للاعتماد على المعونة الخارجية المتوافرة باستمرار وانتظام)، فلماذا تحتج العديد من النظم العربية بما تمثله أوضاعها الاقتصادية من قيود على إمكانيات اتخاذها موقفاً أكثر تشدداً في مواجهة إسرائيل؟

ب ـ مع تصاعد الحديث مجدداً عن «الترانسفير» ضد عرب ١٩٤٨ والفلسطينيين في الأراضي المحتلة، يتم استدعاء الفريات السابقة عن الشعب الفلسطيني، وأهمها أنه قد باع أرضه لليهود مما مكن للمشروع الصهيوني، وهي فرية تتردد أحياناً مع غيرها (الانقسامات الفلسطينية، والعواقب السلبية للعمليات الاستشهادية وللانتفاضة على عملية السلام...) على نحو غير موضوعي، يبدو وكأنه يهدف إلى ترحيل العجز العربي عن مساندة القضية الفلسطينية إلى مصادر أخرى. إذاً إلى أي حدّ يجب أن نحدّد مسؤولية العوامل المختلفة، وليس عاملاً واحداً فقط؟

ج ـ أين القاعدة الصناعية العسكرية في الدول العربية؟ أين السياسة العلمية التي تقود إلى القوة العلمية التي هي أساس كل القوى الاقتصادية والعسكرية؟ أين الأساليب الجديدة لمواجهة التنافسية الإسرائيلية في مجال خدمات النفط والغاز في المنطقة؟ أين مؤشرات الأداء الاقتصادي في مصر من نظيرتها في إسرائيل (الصادرات مثلاً)؟ أين قضية التعليم ومنتجاتها في مصر؟

د ـ إن الإجابة عن الأسئلة السابقة لا تتوقف على العوامل المادية فقط، ولكن

ترتهن بأمور أخرى. فمن ناحية، العنصر البشري ضروري ومهم، وهو ثروة حقيقية لدينا، ولذا يجب الاهتمام بالعوامل النفسية والتربوية وبميزانيات التعليم وبأوضاع الأسرة. ومن ناحية أخرى، ليس المزيد من المعونات أو الاستثمارات هو الحل، ولكن المهم النظر في كيفية توظيف هذه الموارد. ومن ناحية ثالثة، إذا كان دور العامل الخارجي أساساً وحاكماً في دعم التنمية في إسرائيل، فهو أساسي أيضاً في إعاقة نموذج التنمية العربية من خلال وسائط مادية وغير مادية على حدّ سواء.

هـ ـ لماذا تستجيب سياسات إسرائيل العلمية والاقتصادية والعسكرية لاحتياجات المناطق التي تسعى لتدعيم النفوذ فيها ولا نقوم نحن بالمثل؟

و ـ ماذا نعمل نحن في مواجهة الاتحاد الأوروبي والقوى الكبرى الأخرى لتحييد أو تقييد المكاسب الإسرائيلية السياسية والاقتصادية في علاقاتها مع هذه القوى؟

ز ـ إذا كان في الولايات المتحدة الأمريكية أصولية مسيحية متحالفة مع الصهيونية، وإذا كانت هذه الأصولية قد حققت قفزة كبيرة الآن في التأثير في المجتمع والسياسة الأمريكيين بوصول اليمين المسيحي إلى الحكم مع إدارة بوش، وبالمثل إذا كانت الأصولية اليهودية واليمين المتطرف اليهودي قد حققا بدورهما قفزة كبيرة في إسرائيل، فلماذا إذاً نقتصر على الدفاع عن أنفسنا كما لو أن الأصوليات هي قاصرة على الإسلام فقط؟ لماذا نبتعد عن استدعاء الدين في إدارة معركتنا معهم ببيان فعلهم في ما يتهموننا نحن فقط به.

بعبارة أخرى، إذا كان هناك بُعد عقيدي ديني يتم استدعاؤه في إسرائيل، بل في الولايات المتحدة الأمريكية، فهل هذا يعني أنه معطاة لا يمكن تغييرها أم هو توظيف سياسي للدين؟ وكذلك لماذا إذاً السكوت على مهاجمة إسرائيل وأمريكا للأصوليات في منطقتنا فقط على الرغم من أنها في المعارضة وليس في الحكم كما هو قائم لديهم الآن؟

ح ـ يجب أن ندرك ـ ليس بحسابات القوة المادية فقط، ولكن بحسابات أخرى يجب تفعيلها لإعادة بناء الثقة في الذات ـ أن إسرائيل ليست هي هذه القوة العظمى التي تبدو للأعين. فقلوبهم شتى ويرهبوننا، فكيف يجب أن نوظف هذا الجانب ونفعله وليس العكس؟

٣ ـ بعض التوصيات حول آفاق دراسة إسرائيل

جرى خلال المؤتمر طرح توصيات متنوعة يمكن إجمالها في ما يلي:

أ ـ نداء إلى النخب الحاكمة بدعم الاهتمام بدراسة إسرائيل دراسة منظمة ومعمقة حتى يتحول الحق إلى عدل.

ب ـ دعم التعاون والتنسيق بين التخصصات العلمية التي تعكف على دراسة إسرائيل من جوانب مختلفة (العبري، التاريخ، السياسة، الاجتماع، الاقتصاد، الإعلام، العسكري، الدين). ولذا تمّ طرح البدائل التالية:

(١) برنامج للدراسات الإسرائيلية

والفلسطينية والمقدسية في نطاق مركز البحوث والدراسات السياسية.

(٢) معهد متخصص للدراسات العليا في جامعة القاهرة تنضم إليه التخصصات المعنية المختلفة لتوفير الكوادر البحثية والتدريسية اللازمة في هذا المجال.

(٣) دبلوم للدراسات الإسرائيلية والفلسطينية في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية لتقديم المعرفة اللازمة للعاملين في المجالات المعنية أو المتصلة بالشأن الإسرائيلي والفلسطيني.

ج - تكوين شبكة اتصال وتواصل بين الكوادر البحثية وبين الناشطين والممارسين في هذا المجال داخل وخارج مصر لدعم المعرفة النظرية بالخبرة العملية، والعكس □

صدر حديثاً عن المنظمة العربية للترجمة

نظرية النمو

روبرت صولو

في هذا الكتاب قراءة أساسية في علم الاقتصاد يحتاج إليها الطلبة في كل مستويات دراستهم الجامعية، كما يحتاج إليها الباحثون. وقد يكون من الصعب العثور على كتاب كهذا، يزودهم برؤية تجمع بين الدقة العلمية المتخصصة وبين اتساع النظرة إلى مجال النمو وإلى التحولات الكبرى الطارئة فيه.

٣٢٧ صفحة

موجز يوميات الوحدة العربية (*)
أيلول(سبتمبر) ٢٠٠٣

إعداد: قسم التوثيق

في مركز دراسات الوحدة العربية

١ ـ العمل العربي المشترك

ـ أنهى وزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليجي اجتماعات الدورة العادية الـ ٨٨ في جدة. وكانت تطورات الأوضاع السياسية والأمنية في العراق محور مناقشاتهم، حيث دعا البيان الوزاري إلى إعطاء الأمم المتحدة دوراً محورياً سياسياً واقتصادياً وأمنياً في الحفاظ على الأمن والاستقرار في العراق. أما بالنسبة إلى موقفهم من مسألة تمثيل العراق في الجامعة العربية فلم يتخذ أي قرار بهذا الشأن وتركوا الإعلان عن موقفهم حيال هذه المسألة إلى الاجتماعات التي سيعقدها وزراء الخارجية العرب في القاهرة (الحياة، بيروت، ٩/٩/ ٢٠٠٣).

ـ اختتم وزراء الخارجية العرب اجتماعهم في القاهرة بتسليمهم بالاحتلال الأمريكي للعراق وبنتائجه السياسية المتمثلة بتشكيل مجلس الحكم العراقي الانتقالي الذي سمحوا أن يشغل مقعد العراق في جامعة الدول العربية. وبرغم تأكيد وزراء الخارجية العرب على أن تمثيل مجلس الحكم في الجامعة جاء مشروطاً بمهلة حددت بعام، ولم يشر القرار الصادر عنهم إلى مدة كهذه مكتفياً بتأكيد الصفة «المؤقتة» لهذا التمثيل «على أساس التحرك نحو صياغة الدستور وإجراء انتخابات تفضي إلى تشكيل حكومة عراقية ذات سيادة، معترف بها دولياً، تتولى مسؤولية السلطة». وقد تربع وزير الخارجية في مجلس الحكم العراقي هوشيار زيباري على مقعد العراق في الجامعة العربية. وقد قاطعت ليبيا اجتماع الوزراء احتجاجاً (السفير، بيروت، ١٠/٩/٢٠٠٣).

ـ اختتم المجلس الاقتصادي والاجتماعي

(*) حرصاً من مركز دراسات الوحدة العربية على أن تشكّل هذه اليوميات مشروعاً توثيقياً شاملاً يعتمده الباحث العربي كمرجع أساسي، فقد تمّ توسيع إطارها ليضم ستة أبواب رئيسية هي: **العمل العربي المشترك، العلاقات العربية ـ العربية، الصراع العربي ـ الإسرائيلي، العلاقات العربية ـ الدولية، المجتمع المدني العربي (الاتحادات العربية والمنظمات الشعبية والمؤتمرات القومية) وشؤون قطرية** (التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الأقطار العربية وفق تسلسلها الزمني ومكان الحدث).

التابع لجامعة الدول العربية أعمال دورته الثانية والسبعين في مقر الجامعة في القاهرة، وانعقد على المستوى الوزاري بإصدار القرارات التي كانت مدرجة على جدول أعماله، ومن أهمها: دعم القطاع الاقتصادي بالأمانة العامة وإعطاؤه الأولوية في اهتماماتها لتمكينه من القيام بالمهام الكبيرة المكلف بها. ومن أهم القرارات التي اتخذها على صعيد تحرير التجارة في الخدمات بين الدول العربية، إقرار الأحكام العامة للاتفاقية العربية لتحرير التجارة في الخدمات وعقد اجتماع للخبراء من الدول العربية في بيروت في كانون الأول/ديسمبر من العام الحالي لاستكمال أعمالهم بالاتفاق حول الخطوط التوجيهية كجدولة الالتزامات المحددة والأفقية والمبادىء التوجيهية للمفاوضات. وفي ما يتعلق بمنطقة التجارة الحرة العربية الكبرى، طلب المجلس من الدول التي لم توقف العمل بالاستثناءات بوقفه تنفيذاً لقرار المجلس. ودعا المجلس الدول التي لم تنضم إلى منطقة التجارة الحرة العربية الكبرى إلى الإسراع في استكمال إجراءات انضمامها. وقرر المجلس اعتماد الروزنامة الزراعية العربية المشتركة لسنة ٢٠٠٤ (**السفير**، بيروت، ٢٠/٩/٢٠٠٣).

- لم يصدر أي قرار عن اجتماع وزراء الخارجية العرب الذي انعقد في نيويورك ورأسه وزير الخارجية المصري أحمد ماهر بصفة كون بلاده الرئيس الدوري لمجلس الجامعة، وشارك فيه الأمين العام للجامعة عمرو موسى فيما غاب عنه نائب رئيس الوزراء السوري وزير الخارجية فاروق الشرع ووزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل والكويتي محمد السالم الصباح. وأفادت مصادر وزارية شاركت في الاجتماع أنه لولا التقرير الذي قدمه وزير الخارجية الأردني مروان المعشر عن نتائج المحادثات بين الرئيس الأمريكي جورج بوش والعاهل الأردني الملك عبد الله الثاني لاقتصر الاجتماع على عرض لمجموعة قضايا ساخنة لدول معينة. ووصف موسى الاجتماع بانه كان «طيباً جداً» (**النهار**، بيروت، ٢٤/٩/٢٠٠٣).

٢ - العلاقات العربية - العربية

- قررت ليبيا قطع علاقاتها الدبلوماسية مع لبنان احتجاجاً على المواقف التي أعلنها رئيس المجلس النيابي نبيه بري ونائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى الشيخ عبد الأمير قبلان في الاحتفال الذي أقامته حركة «أمل» في بعلبك لمناسبة مرور ربع قرن على اختفاء مؤسس المجلس الشيعي الإمام السيد موسى الصدر وحمّلا فيه ليبيا مسؤولية إخفائه (**الحياة**، بيروت، ٤/٩/٢٠٠٣).

- استقبل نائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام عضو مجلس «الحكم المؤقت في العراق» إياد علاوي الأمين العام لـ «حركة الوفاق الوطني». ويشكل اللقاء الخطوة الأولى في اتجاه المجلس الانتقالي الذي رفضت دمشق الاعتراف به مع استعدادها لـ «التعامل» مع أعضائه وأعضاء الحكومة المشكلة، علماً أن اتصالاً أوّل لم يحصل مع رئيس «المجلس» أحمد الجلبي. ونقلت مصادر رسمية عن خدام حرص بلاده على العلاقات الأخوية وعلى استعادة العراق دوره العربي والدولي وإنهاء الاحتلال، لافتة إلى أن علاوي تحدث عن «أهمية التعاون بين البلدين الشقيقين ودعم سوريا لشعب العراق لتجاوز معاناته» (**الحياة**، بيروت، ٢٩/٩/٢٠٠٣).

٣ - الصراع العربي - الإسرائيلي

- صعّدت إسرائيل ضغوطها العسكرية والنفسية على الفلسطينيين فاغتالت ناشطين من حركة المقاومة الإسلامية «حماس» هما خضر الحصري ومنير قنيطة. فاطلقت طائرات هليكوبتر إسرائيلية مقاتلة صواريخ عدة على سيارة وسط مدينة غزة وقالت مصادر فلسطينية إن حصري وقنيطة قتلا فوراً وأصيب ٣٠ آخرون على الأقل (**النهار**، بيروت، ٢/٩/٢٠٠٣).

- بدأ وزير الخارجية الإسرائيلي سيلفان شالوم زيارة للمغرب تستغرق يومين لإجراء محادثات مع العاهل المغربي الملك محمد

السادس في تطوان تتعلق بعملية السلام وتطبيع العلاقات بين البلدين (**النهار**، بيروت، ٢/٩/٢٠٠٣).

ـ نفذ الطيران الحربي الإسرائيلي غارتين على تلة الرادار في منطقة البياضة القريبة من بلدة الناقورة على الحدود اللبنانية ـ الإسرائيلية، حيث يوجد مقر قوات الطوارىء الدولية. ولم تسفر الغارتان عن إصابات. وجاءت الغارتان عقب رد «حزب الله» على تحليق طائرات إسرائيلية في أجواء القطاع الغربي لجنوب لبنان، بإطلاق مضاداته الأرضية عليها. وذكرت معلومات أن قذيفتين من مضادات الحزب انفجرتا في سماء إحدى المستوطنات الإسرائيلية (**الحياة**، بيروت، ٤/٩/٢٠٠٣).

ـ أذهل مقاتلو حركة حماس القيادتين السياسية والعسكرية في إسرائيل بنجاحهم في تنفيذ عمليتين استشهاديتين في القدس وصرفند. وأسفرت العمليتان ما يزيد على خمسة عشر جندياً ومدنياً إسرائيلياً وإصابة أكثر من ستين بجروح (**السفير**، بيروت، ١٠/٩/٢٠٠٣).

ـ نجا القيادي السياسي البارز في حركة المقاومة الإسلامية «حماس» محمود الزهار من محاولة إسرائيلية لاغتياله قتل فيها ابنه البكر وحارسه الشخصي، في هجوم صاروخي إسرائيلي على منزله في مدينة غزة بعد ساعات من العمليتين الاستشهاديتين في تل أبيب والقدس الغربية. وهددت «كتائب عز الدين القسام» بتغيير أسلوبها ومهاجمة منازل ومبان إسرائيلية بعدما حاولت إسرائيل اغتيال الزهار (**النهار**، بيروت، ١١/٩/٢٠٠٣).

ـ قبل ٤٨ ساعة على الذكرى العاشرة لتوقيع اتفاق أوسلو، اتخذت الحكومة الإسرائيلية قراراً «مبدئياً» بطرد الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، على أن يتم تنفيذه في «الوقت المناسب». وعلى خط مواز شهدت الساحة الفلسطينية تطوراً لافتاً وغير مسبوق، إذ أعلنت القيادة تشكيل مجلس أمن قومي يوحد كل أجهزة الأمن والشرطة والاستخبارات، ويضم الرئيس ياسر عرفات ورئيس وزرائه، إضافة إلى عدد من الوزراء والقادة الأمنيين (**الحياة**، بيروت، ١٢/٩/٢٠٠٣).

ـ في خطوة توحي ببدء تراجع إسرائيل عن قرارها طرد رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات أو اغتياله وقبيل انعقاد مجلس الأمن لمناقشة هذا الأمر، صرح وزير الخارجية الإسرائيلي سيلفان شالوم أن إسرائيل لم تناقش ولا تنوي مناقشة اغتيال عرفات، مقللاً من شأن تصريحات نائب رئيس الوزراء الإسرائيلي ايهود اولمرت أكد فيها أن الاغتيال هو أحد الخيارات المطروحة (**النهار**، بيروت، ١٦/٩/٢٠٠٣).

ـ رفع العلم الإسرائيلي لأول مرة في دبي لمناسبة اجتماعات البنك الدولي وصندوق النقد الدولي التي تنظم يومي ٢٣ و٢٤ أيلول/سبتمبر. ورفرف العلم الإسرائيلي بين عشرات الأعلام الأخرى على قاعة المؤتمرات التي يمكنها استقبال ستة آلاف شخص في المركز الدولي للمؤتمرات في دبي، ووضع علم إسرائيلي آخر في مركز الإعلام فأثار حفيظة بعض الصحافيين العرب (**القدس العربي**، لندن، ١٧/٩/٢٠٠٣).

ـ وصل الوزير الإسرائيلي من دون حقيبة مائير شطريت إلى دبي على رأس وفد من أربعين شخصاً للمشاركة في اجتماعات محافظي صندوق النقد والبنك الدوليين التي ستناقش على مدى يومين وضع الاقتصاد العالمي، لكنها لن تقرر إعطاء قروض للعراق قبل إقامة حكومة شرعية عراقية، أو تقديم أي مساعدات مالية من الدول الغنية إلى الدول الأفقر في العالم (**السفير**، بيروت، ٢٣/٩/٢٠٠٣).

ـ صعّدت إسرائيل اعتداءاتها على الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة فقتلت مقاتلين من حركتي حماس والجهاد الإسلامي وتسببت في وفاة طفلة في الثالثة من عمرها. وأكدت حماس والجهاد أن مقاتليها وفصائل فلسطينية أخرى خاضوا حرب شوارع حقيقية في مخيم البريج بغزة استمرت حوالى ٦ ساعات أسفرت عن مقتل جندي إسرائيلي، حسب اعتراف جيش الاحتلال (٥ حسب التقديرات الفلسطينية) وإصابة ٧ جنود، جروح أحدهم خطرة. وحسب حماس فإن

٣ سيارات جيب عسكرية إسرائيلية وناقلتي جند ودبابة دمرت عند استدراج القوات الغازية إلى وسط المخيم. وقتل في مخيم البريج المقاومان محمد عقل، ٢٥ عاماً، من كتائب القسام، الجناح العسكري لحماس، ونور أبو عرمانة، ٢٣ عاماً، من سرايا القدس الجناح العسكري للجهاد (**الشرق الأوسط**، لندن، ٢٠٠٣/٩/٢٦).

- قبل يومين من دخول الانتفاضة عامها الرابع، نجح مقاتل فلسطيني في تخطي إجراءات الحصار الذي فرضته قوات الاحتلال على الضفة وقطاع غزة عشية رأس السنة اليهودية، والوصول إلى مستوطنة قرب الخليل حيث قتل مستوطنين وأصاب ثلاثة بجروح قبل أن يسقط شهيداً برصاص جيش الاحتلال (**السفير**، بيروت، ٢٠٠٣/٩/٢٧)، وقد أعلنت «سرايا القدس» الذراع العسكرية لـ «حركة الجهاد الإسلامي» تبنيها العملية الفدائية التي نفذها أحد مقاتليها محمود حمدان (٢١ عاماً) (**الحياة**، بيروت، ٢٠٠٣/٩/٢٩).

٤ ـ العلاقات العربية ـ الدولية

- أعلن الزعيم الليبي العقيد معمر القذافي أن ليبيا توصلت إلى اتفاق مع فرنسا حول التعويضات الإضافية لعائلات ضحايا طائرة «يوتا» الفرنسية التي انفجرت العام ١٩٨٩ فوق النيجر، ما سيسمح لها بإغلاق قضية لوكربي وفتح «صفحة جديدة» في علاقاتها مع الغرب (**السفير**، بيروت، ٢٠٠٣/٩/١).

- أكدت أول زيارة يقوم بها الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد السعودي للعاصمة موسكو، رغبة مشتركة بين البلدين لتحقيق المزيد من التقارب بما يتفق مع ظروف الساحتين الإقليمية والدولية. وقد ابدى الرئيس الروسي فلاديمير بوتين ترحيباً شديداً بالأمير عبد الله والوفد المرافق له فيما وصف المملكة العربية السعودية بأنها من أهم شركاء وحلفاء الدولة الروسية، كما أعرب الأمير عبد الله عن تقديره لدور روسيا التي قال إنها أول من اعترفت بالمملكة عند تأسيسها (**الشرق الأوسط** لندن، ٢٠٠٣/٩/٣).

- أجرى الرئيس الإيراني محمد خاتمي مباحثات في طهران مع العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني الذي يقوم بأول زيارة لملك أردني إلى إيران منذ ٢٥ عاماً. ولم يدل الرئيس خاتمي والملك عبد الله اللذان وقفا أمام عدسات المصورين بأي تصريح (**الشرق الأوسط**، لندن، ٢٠٠٣/٩/٣).

- وقعت موسكو والرياض اتفاقين تجاريين حصلت السعودية بموجب أحدهما على حقوق تصنيع مروحيات روسية في المملكة، فيما فتح الآخر الباب أمام تصدير الماس والأحجار الكريمة الروسية إلى السعودية من دون وسطاء. واتفق الجانبان على العمل لضمان استقرار أسواق النفط وتشكيل مجموعة عمل ثنائية لتنسيق المواقف في ما يتعلق بمكافحة الإرهاب (**الحياة**، بيروت، ٢٠٠٣/٩/٤).

- توج ولي العهد السعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز والرئيس الروسي فلاديمير بوتين الزيارة التاريخية للمسؤول السعودي إلى موسكو ببيان مشترك جدد التأكيد على نية القوتين النفطيتين التعاون «والتنسيق في السياسة النفطية». فيما تمثل الاختراق السياسي للزيارة بدعوة رمزية من ولي العهد السعودي للرئيس الشيشاني أحمد قادروف المعين من موسكو لزيارة السعودية ما فسر على أنه إشارة دعم سعودية لموسكو في مواجهة المقاتلين الشيشان (**السفير**، بيروت، ٢٠٠٣/٩/٥).

- تعرضت القوات الأمريكية لهجوم في بغداد ووقع انفجار في أنبوب نفط قرب كركوك في شمال العراق، ورشق أكراد في مدينة كركوك القوات الأمريكية بالحجارة احتجاجاً على نزعها الأعلام الكردية. ونفذت القوات الأمريكية تحركات واسعة واقتحمت منازل في الفلوجة وتكريت واعتقلت عدداً من الأشخاص (**الحياة**، بيروت، ٢٠٠٣/٩/٩).

- أكدت مصادر أمنية أمريكية وكردية أن خامس هجوم بسيارة مفخخة في العراق منذ خمسة أسابيع استهدف المقر الرئيسي للاستخبارات الأمريكية في مدينة أربيل في

شمال العراق وأسفر عن مقتل ثلاثة عراقيين بينهم ولدان، إلى المهاجم الانتحاري. وأعلن الجيش الأمريكي أن ستة ضباط أمريكيين من «هيئة الدفاع للاستخبارات البشرية» جرحوا في الهجوم فضلاً عن حارس كردي من «البشمركة» (**النهار**، بيروت، ٢٠٠٣/٩/١١).

ـ أنهى مجلس الأمن الدولي أكثر من عشر سنوات من العقوبات على ليبيا. وجرى التصويت في مجلس الأمن في الموعد الذي حددته بريطانيا قبل يومين منهية بذلك شهراً من الممانعة الفرنسية هددت بأزمة دبلوماسية بين باريس وواشنطن. وصوت لصالح القرار ١٣ عضواً من بينهم سوريا، الدولة العربية الوحيدة في المجلس فيما امتنعت باريس وواشنطن عن التصويت (**السفير**، بيروت، ٢٠٠٣/٩/١٣).

ـ استشهد ١١ واصيب ١٤ عراقياً وأردنياً في مجزرة جديدة للاحتلال في الفلوجة تسببت بموجة غضب عارمة في صفوف سكان المدينة، ترافقت مع سلسلة من الهجمات للمقاومة العراقية اوقعت قتيلين و١٥ جريحاً امريكياً في أنحاء متفرقة من البلاد (**السفير**، بيروت، ٩/١٣/ ٢٠٠٣).

ـ وجه قاضي المحكمة الوطنية الإسبانية بالتاسار غارثون إلى مراسل قناة الجزيرة الفضائية تيسير علوني تهمة القيام بـ «عمليات دعم وتمويل وإشراف» في خلية «القاعدة» في إسبانيا. ووصف غارثون في قراره الظني الصحافي السوري الأصل بأنه «محارب مؤهل» استغل عمله كصحافي لـ «إقامة علاقات مهمة» (**الحياة**، بيروت، ٢٠٠٣/٩/١٤). كما وجه القضاء الإسباني تهمة الإرهاب والتورط في تفجيرات ١١ أيلول/سبتمبر عام ٢٠٠١ بواشنطن ونيويورك إلى علوني (**الشرق الأوسط**، لندن، ٢٠٠٣/٩/١٨).

ـ أنهى وزير الخارجية الأمريكي كولن باول زيارة للعراق استمرت يومين وأجرى خلالها محادثات في بغداد في شأن المستقبل السياسي للبلاد، وقام بزيارة رمزية لحلبجة في شمال شرق العراق التي قصفها النظام العراقي السابق بالأسلحة الكيميائية قبل ١٥ عاماً، الأمر الذي اتخذته واشنطن دليلاً على تطوير بغداد أسلحة دمار شامل. وتوقف بضع ساعات في الكويت قبل أن يعود إلى واشنطن (**النهار**، بيروت، ١٦/ ٢٠٠٣/٩).

ـ أجرى الرئيس المصري حسني مبارك محادثات مع الرئيس الفرنسي جاك شيراك في قصر الإليزيه، حمل فيها الرئيس المصري على قرار الحكومة الإسرائيلية إبعاد رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات أو قتله، بينما دعا الرئيس الفرنسي اللجنة الرباعية الدولية التي ستعقد اجتماعاً في نيويورك في ٢٢ أيلول/ سبتمبر «عقد مؤتمر دولي لإعادة إحياء الأفق السياسي»، مشدداً على «أن وجوداً دولياً سيكون مفيداً» (**النهار**، بيروت، ٢٠٠٣/٩/١٦).

ـ التقى ولي العهد السعودي الأمير عبد الله ابن عبد العزيز في مدينة جدة وزير الخارجية الإيراني كمال خرازي وبحث معه الأوضاع العربية والدولية، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية واستمرار سياسة الاعتداءات والاغتيالات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني، إضافة إلى الوضع الحالي في العراق والجهود الدولية لمكافحة الإرهاب. كما تطرقت المحادثات إلى آفاق التعاون بين البلدين وسبل تطويرها (**الحياة**، بيروت، ٢٠٠٣/٩/١٧).

ـ عقد مجلس الأمن جلسة للتصويت على مشروع قرار عربي يدعو إسرائيل إلى عدم المس بالرئيس ياسر عرفات. وكان المجلس قرر طرح مشروع القرار للتصويت بناء على طلب سوريا التي تمثل المجموعة العربية ومجموعة دول عدم الانحياز (**الحياة**، بيروت، ٢٠٠٣/٩/١٧). وقد أجهض مشروع القرار ضد المساس بالرئيس الفلسطيني بسبب الفيتو الأمريكي وقوبل بردود فعل متناقضة لدى القيادتين الاسرائيلية والفلسطينية. ففي حين رحب به الإسرائيليون، رد الفلسطينيون بشعور واضح بخيبة الأمل، وقال الرئيس الفلسطيني إنه لم يفاجأ بهذا الموقف الأمريكي واستخف به (**الشرق الأوسط**، لندن، ٢٠٠٣/٩/١٨).

- دعا الرئيس العراقي السابق صدام حسين في تسجيل صوتي منسوب له بثته قناة «العربية» الفضائية، القوات الأمريكية إلى التفاوض مع أعضاء القيادة العراقية السابقة المحتجزين لديها بشأن «انسحابها بدون قيد أو شرط» من العراق. وخاطب الرئيس الأمريكي جورج بوش قائلاً: «ندعوكم إلى سحب جيوشكم بأسرع وقت وبلا قيد أو شرط لأن لا سبب يستوجب المزيد من الخسائر التي ستكون كارثية بالنسبة إلى أمريكا» (**الشرق الأوسط**، لندن، ١٨/٩/٢٠٠٣).

- دعت الجمعية العامة للأمم المتحدة في مشروع قرار أقر بأكثرية ١٣٣ صوتاً مقابل معارضة الولايات المتحدة وإسرائيل ودولتين أخريين، إسرائيل إلى سحب تهديدها بإبعاد أو إيذاء الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات. وجاء التصويت على القرار بأغلبية ١٣٣ عضواً واعتراض أربعة وامتناع ١٥ عن التصويت (**السفير**، بيروت، ٢٠/٩/٢٠٠٣).

- استسلم وزير الدفاع العراقي السابق سلطان هاشم أحمد إلى قوات الاحتلال الأمريكية في الموصل بعد أسابيع من مفاوضات هدفت إلى ضمان معاملته «بكرامة واحترام» (**السفير**، بيروت، ٢٠/٩/٢٠٠٣).

- شجب الحاكم المدني الأمريكي في العراق بول بريمر محاولة اغتيال عضو الحكم الانتقالي في العراق عقيلة الهاشمي، واصفاً الحادث بـ «المروع والجبان» واتهم الرئيس الدوري لمجلس الحكم أحمد الجلبي عناصر من حزب البعث و«قتلة مأجورين لصدام حسين» بالتورط في الاعتداء. وأسفرت عملية الاغتيال عن إصابة الهاشمي بجروح خطيرة، أجريت لها على أثرها عملية جراحية ثم نقلت بسيارة إسعاف أمريكية مع حماية مشددة إلى جهة غير معلومة، فيما تأكد اعتقال أحد المهاجمين (**السفير**، بيروت، ٢١/٩/٢٠٠٣).

- اعترف خالد شيخ محمد، العقل المدبر لهجمات ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، للمحققين الأمريكيين بأنه ناقش لأول مرة مخطط الهجمات مع أسامة بن لادن عام ١٩٩٦ وأن المخطط الأولي كان يتضمن استخدام ١٠ طائرات تجارية ضد كل من الساحلين الشرقي والغربي للولايات المتحدة، قبل أن يتم تعديله مرات عدة لاحقاً، حسبما أفادت تقارير تحقيق اطلعت عليها وكالة «أسوشيتد برس» (**الشرق الأوسط**، لندن، ٢٢/٩/٢٠٠٣).

- حالت الإجراءات الأمنية دون وصول انتحاري إلى مقر الأمم المتحدة في بغداد، ما أجبره على تفجير نفسه عند نقطة تفتيش تبعد حوالى ٢٠٠ متر من المبنى ما أدى إلى مقتله ومقتل شرطي عراقي إضافة إلى جرح ١٩ آخرين (**السفير**، بيروت، ٢٣/٩/٢٠٠٣).

- هيمن الوضع في العراق للسنة الثانية على الدورة العادية للجمعية العمومية للأمم المتحدة التي بدأت أعمالها في نيويورك في حضور أكثر من ١٢٠ رئيس دولة وحكومة بالإضافة إلى ١٢٠ وزيراً للخارجية ووسط تدابير أمنية مشددة لم يسبق لها مثيل. وبعد الخطاب الذي ألقاه الرئيس الأمريكي جورج بوش أمام الجمعية العمومية ولم يقدم فيه اي تنازل يذكر لمؤيدي إسناد دور مركزي إلى المنظمة الدولية وإجراء نقل سريع للسيادة إلى العراقيين، بدت الأسرة الدولية على انقسامها حيال الملف العراقي (**النهار**، بيروت، ٢٤/٩/٢٠٠٣).

- انفجرت قنبلة في فندق ببغداد تستخدمه شبكة التلفزيون الأمريكية «ان بي سي» مقراً لها مما أسفر عن مقتل حارس صومالي وتردد دوي الانفجار، الأول الذي يستهدف صحافيين في وسط بغداد وحطم نوافذ المباني حول فندق الأيك المكون من ثلاثة طوابق، وأصيب بعض الحراس بالزجاج المتطاير. من ناحية ثانية تعرضت سيارتان عسكريتان أمريكيتان لهجوم في الموصل ثالث أكبر المدن العراقية مما أسفر عن إصابة سبعة جنود بجروح، ثلاثة منهم في حال الخطر. إلى ذلك داهمت القوات الأمريكية منازل أربعة أثرياء في مدينة تكريت مسقط رأس الرئيس العراقي السابق صدام حسين في محاولة لخنق تمويل هجمات في شمال العراق تشمل

القيام بعمليات تخريب ضد خط أنابيب يحمل صادرات نفط حيوية (**الشرق الأوسط**، لندن، ٢٠٠٣/٩/٢٦).

- اجتمعت اللجنة الرباعية على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك بحضور الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان، ووزراء خارجية الولايات المتحدة كولن باول، وروسيا إيغور إيفانوف، وإيطاليا فرانكو فراتيني الذي تترأس بلاده الاتحاد الأوروبي، ومسؤول السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي خافيير سولانا. وأكد أعضاء اللجنة في بيان صدر في ختام الاجتماع أن «على الطرفين الاسرائيلي والفلسطيني أن يبذلا المزيد من الجهود بشكل فوري ومتزامن لتهدئة مخاوف الطرف الآخر». وأضاف البيان أن اللجنة «تطلب من الفلسطينيين اتخاذ إجراءات فورية وحاسمة ضد الأفراد والمجموعات التي تقوم بهجمات عنيفة». كذلك دعت المجموعة إسرائيل إلى «وقف نشاطات الاستيطان» مثلما نصت عليه «خريطة الطريق»، التي وضعتها اللجنة الرباعية من أجل تسوية النزاع الإسرائيلي الفلسطيني. ووافقت اللجنة على «حق إسرائيل الشرعي في الدفاع عن النفس» وتفادي المدنيين (**السفير**، بيروت، ٢٧/ ٢٠٠٣/٩).

- تعرض فندق «الرشيد» في العاصمة العراقية بغداد الذي ينزل فيه مسؤولون أمريكيون لهجوم بقذائف صاروخية. والهجوم هو «الأول الذي يستهدف عمداً فندق «الرشيد» والثاني الذي يستهدف فندقاً في غضون ثلاثة أيام» (**النهار**، بيروت، ٢٠٠٣/٩/٢٨).

٥ - المجتمع المدني العربي

- صدر عن المؤتمر القومي العربي بياناً حذر فيه «من أي انسياق في خطوات تهدف إلى قيام علاقات بين أية دولة عربية وبين الكيان الصهيوني، وتحت أي مبرر، ويدعو إلى مواجهة هذا الانسياق على الصعد الشعبية والرسمية» واستنكر استقبال وزير خارجية الكيان الصهيوني في المغرب. ودعا «القوى الحية في المغرب والأمة العربية إلى استعادة زمام المبادرة في الانتصار لقضايا الأمة والتشدد في محاسبة أي خروج عن الإرادة العربية والإسلامية ولا سيما حين يتصل الأمر بالتعامل مع المحتل وإفرازاته في فلسطين كما في كل ارض عربية» (**المؤتمر القومي العربي**، بيروت، ٣/ ٩/ ٢٠٠٣).

- أنهى المنتدى العربي لمنظمي قطاع الكهرباء اجتماعه الأول الذي استمر على مدى يومين في بيروت وأصدر سلسلة توصيات تلاها رئيسه فريد زيدان أهمها: إعطاء الدافع لكل الدول العربية نحو تحرير قطاع الكهرباء وإنشاء هيئات لتنظيم هذا القطاع في كلٍ منها، الاستفادة من المنتدى كوسيلة أساسية لتبادل الخبرات والمعلومات والتكامل والتواصل بين الدول الأعضاء في ما يخص الطاقة الكهربائية، التمهيد بمختلف الوسائل المتاحة لعمليات الربط الكهربائي العربية المشتركة، وبينها وبين الأورو متوسطية، التسهيل لانفتاح كل الهيئات المنظمة على سوق الطاقة بما يسمح بخفض التكلفة والمحافظة على البيئة وجودة الخدمة. يشار إلى أن المنتدى أسس مطلع السنة الحالية في مصر، بدعم من المملكة العربية السعودية (**السفير**، بيروت، ٢٠/ ٩/ ٢٠٠٣).

- اختتمت في فندق «كراون بلازا» في بيروت، أعمال «المؤتمر الدولي للإعلام العربي والإسلامي لدعم الشعب الفلسطيني» تلا فيها رئيس مجلس إدارة المجموعة اللبنانية للإعلام والمدير العام لقناة «المنار» محمد حيدر البيان الختامي الذي صدر بعد اقتراحات ونقاشات للمؤتمرين المشاركين. وركزت التوصيات على خطوات عملية في وضع استراتيجية إعلامية تتبعها المؤسسات الإعلامية العربية والإسلامية لمواجهة الوسائل الغربية الأمريكية والصهيونية التي تعمل على تشويه الحقائق ونقلها إلى الرأي العام الغربي، لإيفاء القضية الفلسطينية حقها في نقل صادق وكاف بشكل يضعها في أولويات اهتمامات المؤسسات العربية التي «تعتبر نفسها جزءاً لا يتجزأ من عملية المواجهة مع العدو». كما طلب المؤتمرون العمل على إبراز الاعتداءات العدوانية التي تطاول الإعلاميين والمراسلين

وإيجاد قاموس موحد ومشترك لاعتماد المصطلحات المتعلقة بموضوع المواجهة والصراع (**السفير**، بيروت، ٢٠٠٣/٩/٢٠).

٦ ـ شؤون قطرية

بغداد

ـ أعلن مجلس الحكم الانتقالي في العراق تشكيلة حكومية من ٢٥ وزيراً. وعكست الحكومة الجديدة بتركيبتها الطائفية والعرقية تركيبة مجلس الحكم الانتقالي الذي انتقلت رئاسته من إبراهيم الجعفري إلى أحمد الجلبي. وضمت الحكومة الجديدة ١٣ شيعياً وخمسة من السنة وخمسة أكراد ومسيحي واحد وتركماني واحد (**النهار**، بيروت، ٢٠٠٣/٩/٢).

ـ أعلن أن مجلس الحكم العراقي أقر قانوناً جديداً للجنسية من أهم بنوده إعادة الجنسية لمن أسقطها عنه النظام السابق والسماح بازدواجية الجنسية، وأفيد بأن القانون الغى ايضاً التمييز بين الرجال والنساء (**الشرق الأوسط**، لندن، ٢٠٠٣/٩/١٨).

القدس

ـ بعد مرور ١٢٨ يوماً على توليه منصبه والصراعات على الصلاحيات، قدم رئيس الوزراء الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن) استقالته إلى الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات الذي قبلها في اجتماع قصير عقده مع المجلس التشريعي، وطلب عرفات من الحكومة المستقيلة تسيير الأمور إلى حين تشكيل حكومة جديدة (**الشرق الأوسط**، لندن، ٢٠٠٣/٩/٧). وقد رشح عرفات رئيس المجلس التشريعي الفلسطيني أحمد قريع (أبو علاء) لتولي المنصب (**اللواء**، بيروت، ٨/ ٢٠٠٣/٩). ووافق أبو علاء على تولي المنصب (**النهار**، بيروت، ٢٠٠٣/٩/١١).

ـ خطف الموت البروفسور إدوارد سعيد أحد ألمع المفكرين والأكاديميين العرب في الولايات المتحدة. وتوفي البروفسور سعيد في مستشفى في مدينة نيويورك التي قضى فيها جل حياته أباً ومحاضراً ومفكراً وموسيقياً عن عمر يناهز الـ ٦٧ عاماً بعد صراع طويل مع مرض اللوكيميا (سرطان الدم) استمر قرابة ١١ عاماً. وعرف عن سعيد بروفسور الأدب الإنكليزي المقارن في جامعة كولومبيا في نيويورك وأحد مراجعه في العالم، أنه كان صوت القضية الفلسطينية وأصدر العديد من الكتب وكتب المئات من المقالات في هذا المجال. لكنه في الوقت ذاته كان ناقداً شديداً لسياسة الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات والسلطة الفلسطينية (**الشرق الأوسط**، لندن، ٢٠٠٣/٩/٢٦).

ـ توصل رئيس الوزراء الفلسطيني المكلف أحمد قريع (أبو علاء) إلى صيغة حكومة جديدة. وقد رفضت ثلاثة فصائل رئيسة لها ثقلها في الشارع الفلسطيني المشاركة فيها. وهي «حركة المقاومة الإسلامية» (حماس) و«حركة الجهاد الإسلامي» في فلسطين و«الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين». ويظهر من التشكيلة الجديدة للحكومة السابقة منذ قيام السلطة الفلسطينية عام ١٩٩٤ أن ١٣ وزيراً من الحكومة المستقيلة احتفظوا بمواقعهم في حين انضم إليها ١١ وزيراً جديداً، على أن تسند إلى وزيرين منهم وزارتا الأوقاف والشؤون الدينية والشباب والرياضة، إضافة إلى تعيين الأمين العام لمجلس الوزراء وهو برتبة وزير، إذ لم يحسم «أبو علاء» الأمر بين الأمين العام السابق حكم بلعاوي والمرشح الجديد الدكتور حسن أبو لبدة رئيس المركز الفلسطيني للإحصاء (**الحياة**، بيروت، ٢٠٠٣/٩/٢٩).

الرباط

ـ حافظ حزبا «الاستقلال» و«الاتحاد الاشتراكي» المغربيان وفق حصيلة غير نهائية، على المرتبتين الأولى والثانية في النتائج الأولية لانتخابات البلديات والتي شملت تحديد ما يزيد على ١٢ ألف منتخب من بين ٢٢ ألفاً (**الحياة**، بيروت، ٢٠٠٣/٩/١٤).

بيروت

ـ خلف هنري حلو والده بيار حلو في المقعد

النيابي الماروني في دائرة بعبدا ـ عاليه بنحو ثمانية وعشرين الف صوت في ولاية تستمر حتى موعد الانتخابات النيابية في أيار/مايو العام ٢٠٠٥ (**السفير**، بيروت، ٢٠٠٣/٩/١٥).

الرياض

ـ لقي ٦٧ سجيناً حتفهم وجرح ٢٠ آخرون إضافة إلى ثلاثة من رجال الأمن في حريق لم تعرف أسبابه في سجن حائر في العاصمة السعودية الرياض (**النهار**، بيروت، ٩/١٦/ ٢٠٠٣).

الدوحة

ـ أعاد أمير قطر حمد بن خليفة آل ثاني تنظيم مجلس الوزراء، حيث عين وزير الخارجية حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني نائباً أول لرئيس مجلس الوزراء مع احتفاظه بوزارة الخارجية، ليحل محل الشيخ محمد بن خليفة آل ثاني في منصب نائب رئيس المجلس. وقضى مرسوم بقانون وأمران اميريان أصدرهما حمد بن خليفة، بتعيين الشيخ محمد بن خليفة مستشاراً للأمير بدرجة نائب رئيس وزراء، اي مع احتفاظه بدرجته السابقة. وبالإضافة إلى تعيين وزير الخارجية بمنصب نائب أول لرئيس مجلس الوزراء، تم ايضاً تعيين وزير الطاقة والصناعة عبد الله بن حمد العطية نائباً لرئيس مجلس الوزراء مع احتفاظه بمنصبه كوزير للطاقة والصناعة (**القدس العربي**، لندن، ٩/١٧/ ٢٠٠٣).

دمشق

ـ بعد تكليف محمد ناجي العطري تاليف الحكومة السورية الجديدة خلفاً لمحمد مصطفى ميرو، أعلن أسماء الوزراء القدامى الجدد والجدد إثر مشاورات بين القيادة القطرية والرئيس السوري بشار الأسد، وجاء ترتيب وزيري الدفاع العماد أول مصطفى طلاس والخارجية فاروق الشرع في رأس لائحة الحكومة الجديدة، وعهد إلى مسؤولة الإعلام الخارجي في وزارة الخارجية د. بثينة شعبان وزارة المغتربين في سابقة تصل فيها امرأة إلى حقيبة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالسياسة. وحل محل وزيري الإعلام عدنان عمران والثقافة نجاة قصاب حسن، أحمد الحسن السفير السوري السابق في طهران ومحمود السيد. وفيما الغيت وزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية، لتصير وزارة التجارة فقط، ويستمر غسان الرفاعي قيماً عليها، أبدل وزير المال محمد الأطرش بمحمد الحسين نائب رئيس الوزراء للشؤون الاقتصادية في الحكومة السابقة. وأبدل وزير العدل نبيل الخطيب بنزار العسس. وعين نهاد مشطط وزيراً للإسكان والتعمير، وأبدل وزير التربية محمود السيد بعلي سعد، ووزير التعليم العالي حسان ريشة بهاني مرتضى رئيس جامعة دمشق، ووزير شؤون رئاسة الجمهورية هيثم الضويحي بغسان لحام محافظ دمشق. وارتفعت حصة البعث إلى ١٧ حقيبة من أصل ٣٠ بعدما كانت ١٩ من أصل ٣٥ في الحكومة السابقة (**النهار**، بيروت، ٩/١٩/ ٢٠٠٣).

ـ أصدر وزير المال السوري محمد الحسين قراراً بالحجز الاحتياطي على الأموال المنقولة وغير المنقولة لوزير الصناعة السوري السابق عصام الزعيم وزوجته وعدد من الموظفين بسب مخالفات مرتكبة خلال تولي الزعيم منصبه الوزاري (**النهار**، بيروت، ٢٠٠٣/٩/٢٨).

مقديشو

ـ تظاهر اكثر من ٣ آلاف صومالي في مقديشو مناهضين للحرب بعد فشل سلسلة من مؤتمرات السلام وموت مئات الآلاف بسبب الصراع والمجاعات (**الشرق الأوسط**، لندن، ٢٠٠٣/٩/٢٢).

الجزائر

ـ احتجبت ١١ صحيفة جزائرية مستقلة احتجاجاً على ما تقول إنه محاولات من جانب الحكومة لإسكاتها قبل انتخابات الرئاسة في نيسان/أبريل المقبل (**السفير**، بيروت، ٩/٢٣/ ٢٠٠٣).

ـ قتل ١٥٠ إسلامياً مسلحاً في عملية تمشيط يقوم بها الجيش الجزائري منذ أسبوعين قرب

سطيف الواقعة على مسافة ٣٠٠ كيلومتر شرق العاصمة الجزائرية. وأوضحت الصحف أن هؤلاء القتلى ينتمون إلى «الجماعة السلفية للدعوة والقتال» وهي المجموعة المسلحة الأفضل تنظيماً بزعامة حسن حطاب (**النهار**، بيروت، ٢٨/٩/٢٠٠٣).

الخرطوم

ـ خطا السودانيون خطوة مهمة في طريق إحلال السلام في البلاد بتوقيع الحكومة والحركة الشعبية لتحرير السودان رسمياً اتفاقاً أمنياً، ينص على إعادة نشر قوات الحكومة والحركة الشعبية في الجنوب وبعض مناطق النزاع الأخرى في الشمال. ويمهد الاتفاق الذي تم التوصل إليه الطريق لإنهاء حرب أهلية استمرت ٢٠ عاماً قتل خلالها نحو مليونين (**الشرق الأوسط**، لندن، ٢٦/٩/٢٠٠٣).

عمان

ـ بعد ١١ شهراً من الملاحقة والمطاردة والبحث المتواصل تمكنت السلطات الأردنية من اعتقال اثنين من أبرز الأصوليين المطلوبين لديها هما محمد أحمد الشلبي الملقب بـ «ابو سياف» ومساعده عمر غازي البزايعة اللذان كانا السبب الرئيسي لشن حملة عسكرية على مدينة معان في تشرين الأول/أكتوبر من العام الماضي (**النهار**، بيروت، ٢٨/٩/٢٠٠٣).

صدر حديثاً

أسئلة النهضة العربية
التاريخ ـ الحداثة ـ التواصل

د. كمال عبد اللطيف

تتجه الأبحاث والدراسات في هذا الكتاب إلى تركيب بعض أسئلة الفكر العربي المعاصر في ضوء المتغيرات العامة التي يعرفها الواقع العربي في نهاية القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين. وقد أنجزت في اللحظة المفصلية الجامعة بين نقطة تقاطع قرنين بلغة التسلسل الزماني المتواضع عليه: زمن قرن ولّى وقرن يرسم الحروف الأولى لعلاماتِ الآتي، وهي لحظة تتقاطع فيها مسافات زمنية لا تقل مساحتها عن مساحة قرن كامل، وذلك بحكم الطابع التكراري الذي يشل حركة الزمان، ويشل بالذات حركة الإبداع الصانعة للأزمنة في التاريخ.

٢٤٠ صفحة
الثمن: ٨ دولارات
أو ما يعادلها

ببليوغرافيا الوحدة العربية

إعداد: قسم التوثيق
في مركز دراسات الوحدة العربية

أولاً: المصادر العربية

فكر قومي وسياسة

كتب

١ ـ ابراهيم، حسنين توفيق. **الولايات المتحدة الأمريكية وقضية الديمقراطية في الوطن العربي**. القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ٢٠٠٣. ٤٢ ص. (كراسات استراتيجية؛ ١٣٠)

٢ ـ أبو فخر، صقر. **الحركة الوطنية الفلسطينية: من النضال المسلح إلى دولة منزوعة السلاح**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٣. ٢٣٣ ص.

٣ ـ تويني، غسان. **حوار مع الاستبداد**. بيروت: دار النهار للنشر، ٢٠٠٣. ٢٢٢ ص.

٤ ـ ربيع، عمرو هاشم (محرر). **الأحزاب الصغيرة والنظام الحزبي في مصر**. القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ٢٠٠٣. ٢٧٤ ص.

٥ ـ الزيدي، مفيد. **العرب والقوى الدولية في القرن الحادي والعشرين**. عمّان: دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣. ٢١٥ ص.

٦ ـ صاغية، حازم. **بعث العراق: سلطة صدام قياماً وحطاماً**. بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٣. ٢٥٥ ص.

٧ ـ الصواني، يوسف. **القومية العربية والوحدة في الفكر السياسي العربي**. ترجمة سمير كرم. مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣. ٢٥٧ ص. (سلسلة أطروحات الدكتوراه؛ ٤٧)

٨ ـ عبد السلام، محمد. **المناطق الخالية من الأسلحة النووية: بين الشروط النظرية والخبرات العملية**. القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ٢٠٠٣. ٥٢٩ ص.

٩ ـ عبد اللطيف، كمال. **أسئلة النهضة العربية: التاريخ ـ الحداثة ـ التواصل**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣. ٢٤٠ ص.

١٠ ـ **العلاقات الإسبانية ـ المغاربية: ماضياً وحاضراً ومستقبلاً: أعمال المؤتمر الأول للحوار الإسباني ـ المغاربي المنعقد بزغوان فيما بين ٦-٩ ماي/أيار ٢٠٠٢**. إشراف عبد الجليل التميمي. زغوان، تونس: مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، ٢٠٠٣. ٢٤٤ ص. (السلسلة الثامنة: حوارات ثنائية ومتعددة الأطراف؛ رقم ١٠)

١١ ـ **العلاقات العربية ـ التركية ودور النخب في التحديث: أعمال المؤتمر الثالث للحوار العربي ـ التركي المنعقد بإستانبول فيما بين ٢٢-٢٦ ماي/أيار ٢٠٠٢**. إشراف عبد الجليل التميمي وقورنار أزتاك. زغوان، تونس: مؤسسة

التميمي للبحث العلمي والمعلومات، ٢٠٠٣. ٣٥٠ ص. (السلسلة الثامنة: حوارات؛ رقم ٩)

١٢ ـ منيسي، أحمد. **البحرين من الإمارة إلى المملكة: دراسة في التطور السياسي والديمقراطي.** القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ٢٠٠٣. ٢٥٨ ص.

انظر أيضاً: ٨٧

دوريات

١٣ ـ أبو شنب، إسماعيل. «وافقنا على الهدنة لإعطاء فرصة للشارع الفلسطيني لإلتقاط أنفاسه، وفرصة لجهود الحكومة.» مقابلة أجراها وحرّرها أشرف العجرمي. **مجلة الدراسات الفلسطينية:** العدد ٥٥، صيف ٢٠٠٣. ص ١٦-٢٠.

١٤ ـ أرونسون، جيفري. «خطة الفصل الإسرائيلية ترسم الحدود المؤقتة لفلسطين.» **مجلة الدراسات الفلسطينية:** العدد ٥٥، صيف ٢٠٠٣. ص ٧٧-٨١.

١٥ ـ «إعلان «بيان إلى الأمة» الصادر عن المؤتمر القومي العربي الرابع عشر.» **المنابر:** السنة ١٦، العدد ١٠٥، أيلول/سبتمبر ـ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٣. ص ٢٠-٤٩.

١٦ ـ بشور، معن. «الفكر القومي العربي وتحديات المرحلة الراهنة.» **المنابر:** السنة ١٦، العدد ١٠٥، أيلول/سبتمبر ـ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٣. ص ٤-١٩.

١٧ ـ بن هويدن، محمد موسى. «علاقة الإمارات بالدول الكبرى.» **المجلة العربية للعلوم السياسية:** العدد ١٠، نيسان/ابريل ٢٠٠٣. ص ٥١-٨٢.

١٨ ـ الجرباوي، علي. «خريطة الطريق لن توصلنا إلى التسوية المنشودة، وإنما ستستنزفنا في عملية تفاوضية عقيمة.» **مجلة الدراسات الفلسطينية:** العدد ٥٥، صيف ٢٠٠٣. ص ٢١-٢٣.

١٩ ـ الجعبة، نظمي. «الاستيطان الإسرائيلي في منطقة القدس.» **مجلة الدراسات الفلسطينية:** العدد ٥٥، صيف ٢٠٠٣. ص ١١١-١١٩.

٢٠ ـ جلول، فيصل. «قوميات الشرق الأوسط والقومية العربية: ثماني ملاحظات واقتراحات سبعة.» **المنابر:** السنة ١٦، العدد ١٠٥، أيلول/سبتمبر ـ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٣. ص ٦٦-٦٩.

٢١ ـ حسيب، خير الدين. «إفتتاحية العدد: تحية إلى محمد حسنين هيكل بمناسبة عيد ميلاده الثمانين.» **المستقبل العربي:** السنة ٢٦، العدد ٢٩٦، تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٣. ص ٦-٨.

٢٢ ـ «خريطة الطريق، هدنة الفصائل وهموم الوضع الفلسطيني الراهن.» ندوة. **مجلة الدراسات الفلسطينية:** العدد ٥٥، صيف ٢٠٠٣. ص ٥-١٥.

٢٣ ـ زهران، جمال علي. «جدلية العلاقة بين الديمقراطية والتنمية في مصر خلال القرنين ١٩ و٢٠.» **المجلة العربية للعلوم السياسية:** العدد ١٠، نيسان/ابريل ٢٠٠٣. ص ٩-٣١.

٢٤ ـ ـــــ . «ندوة: الحريات السياسية في الوطن العربي، إعداد وتنظيم الجمعية العربية للعلوم السياسية، بيروت ٢٣ يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٣م.» **المجلة العربية للعلوم السياسية:** العدد ١٠، نيسان/ابريل ٢٠٠٣. ص ١٢٥-١٣٢.

٢٥ ـ سريع القلم، محمود. «الإدارة الأميركية الحالية: الأسس النظرية للسياسة الخارجية.» **فصلية إيران والعرب:** السنة ٢، العدد ٥، صيف ٢٠٠٣. ص ٨٧-١٠٢.

٢٦ ـ سليمان، خالد. «الديمقراطية والأحزاب في الوطن العربي (ملف): الممارسة الديمقراطية داخل حزب جبهة العمل الإسلامي.» **المستقبل العربي:** السنة ٢٦، العدد ٢٩٦، تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٣. ص ٥٣-٨١.

٢٧ ـ الشابي، محمد المسعود. «رؤية مستقبلية للمؤتمر القومي – الإسلامي.» **المنابر:** السنة ١٦، العدد ١٠٥، أيلول/سبتمبر ـ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٣. ص ٧٠-٧٥.

٢٨ ـ شرارة وضاح. «الدكتور وضاح شرارة: الحرب امتحان سياسي وميزان لقدرة المجتمعات على التخطيط والصمود.» مقابلة فكرية. حاوره عبد الإله بلقزيز. **المستقبل العربي:** السنة ٢٦، العدد ٢٩٦، تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٣. ص ٩-٣٠.

٢٩ ـ شلق، الفضل. «إشكاليات الحتمية التاريخية والإرادة: صعود الدولة وهبوطها.» **دراسات مغاربية:** العددان ١٥-١٦، ٢٠٠٢. ص ٣-٢٨.

٣٠ ـ عايد، خالد (معد). «النقاط الاستيطانية غير الشرعية في الضفة الغربية الممتلة.» **مجلة الدراسات الفلسطينية:** العدد ٥٥، صيف ٢٠٠٣. ص ٨٢-٨٨.

٣١ ـ عبد الكريم، إبراهيم. «رؤية اليمين الإسرائيلي

لخطة خريطة الطريق.» **مجلة دراسات شرق أوسطية:** السنة ٨، العدد ٢٤، صيف ٢٠٠٣. ص ٢١-٥٩.

٣٢ ـ عبد اللطيف، كمال. «مقدمات للتفكير في المشروع النهضوي.» **الرافد:** العدد ٧٢، آب/أغسطس ٢٠٠٣. ص ١٤-١٦.

٣٣ ـ عصفور، حسن. «ستواجه الولايات المتحدة إشكاليات كبيرة إذا تجاهلت مكانة القضية الفلسطينية في الواقع الإقليمي العربي.» **مجلة الدراسات الفلسطينية:** العدد ٥٥، صيف ٢٠٠٣. ص ٢٧-٢٨.

٣٤ ـ القزق، علي. «سياسة أستراليا تجاه فلسطين وإسرائيل والعالم العربي.» **مجلة الدراسات الفلسطينية:** العدد ٥٥، صيف ٢٠٠٣. ص ٥٣-٦٥.

٣٥ ـ قيراط، محمد. «الأزمة الجزائرية في الرأي العام الطلابي في جامعة الإمارات: دراسة استطلاعية ميدانية.» **شؤون اجتماعية:** السنة ٢٠، العدد ٧٨، صيف ٢٠٠٣. ص ١٣٥-١٦٩.

٣٦ ـ الكواري، علي خليفة. «الديمقراطية والأحزاب في الوطن العربي (ملف): مفهوم الحزب الديمقراطي.. ملاحظات أولية.» **المستقبل العربي:** السنة ٢٦، العدد ٢٩٦، تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٣. ص ٤٤-٥٢.

٣٧ ـ كيالي، ماجد. «بعد ثلاثة أعوام: كامب ديفيد وتداعياتها، نحو مراجعة نقدية للسياسة الفلسطينية.» **مجلة الدراسات الفلسطينية:** العدد ٥٥، صيف ٢٠٠٣. ص ١٣٠-١٣٦.

٣٨ ـ لبيب، هاني. «الديمقراطية والأحزاب في الوطن العربي (ملف): صعوبات الممارسة الديمقراطية في حزب العمل ـ مصر: شهادة من الداخل.» **المستقبل العربي:** السنة ٢٦، العدد ٢٩٦، تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٣. ص ٨٢-٩٧.

٣٩ ـ لوتاه، مريم سلطان. «الطرح الدولي لثقافة السلام: رؤية عربية.» **المجلة العربية للعلوم السياسية:** العدد ١٠، نيسان/ابريل ٢٠٠٣. ص ٨٤-١٠٣.

٤٠ ـ مالكي، أمحمد. «الديمقراطية والأحزاب في الوطن العربي (ملف): الديمقراطية داخل الأحزاب وفي ما بينها في المغرب الأقصى: حزبا الاستقلال والاتحاد الاشتراكي نموذجاً.» **المستقبل العربي:** السنة ٢٦، العدد ٢٩٦، تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٣. ص ٩٨-١٤١.

٤١ ـ المجذوب، محمد. «المقاومة الشعبية المسلحة في القانون الدولي العام.» **المجلة العربية للعلوم السياسية:** العدد ١٠، نيسان/ابريل ٢٠٠٣. ص ٣٢-٥٥.

٤٢ ـ مسلم، طلعت أحمد. «العجز العربي: أسبابه وسبل الخروج منه.» **المنابر:** السنة ١٦، العدد ١٠٥، أيلول/سبتمبر ـ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٣. ص ٥١-٦١.

٤٣ ـ ملحيس، غانية (معد). «جدار الفصل العنصري الإسرائيلي.» **مجلة الدراسات الفلسطينية:** العدد ٥٥، صيف ٢٠٠٣. ص ٦٦-٧٦.

٤٤ ـ ملوح، عبد الرحيم. «أنا قلق جداً من طريقة إعلان الهدنة، ويجب الاتفاق على استراتيجيا عمل وقيادة وطنية موحدة.» **مجلة الدراسات الفلسطينية:** العدد ٥٥، صيف ٢٠٠٣. ص ٢٤-٢٦.

٤٥ ـ الموسوي، جعفر. «العراق والفكر القومي.. مستقبلاً.» **المنابر:** السنة ١٦، العدد ١٠٥، أيلول/سبتمبر ـ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٣. ص ١١٢-١١٤.

انظر أيضاً: ٧٢، ١٠٤

مراجعة كتب

٤٦ ـ بشارة، عزمي. «الانتفاضة والمجتمع الإسرائيلي: تحليل في خضم الأحداث.» **المستقبل العربي:** السنة ٢٦، العدد ٢٩٦، تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٣. ص ١٧٣-١٧٩. (رؤوف سليمان أبو عابد)

٤٧ ـ محمود، أحمد إبراهيم (محرّر). «الخليج والمسألة العراقية: من غزو الكويت إلى احتلال العراق، ١٩٩٠-٢٠٠٣.» **المستقبل العربي:** السنة ٢٦، العدد ٢٩٦، تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٣. ص ١٨٠-١٨٥. (محمود ناصر مهدي القدمي)

٤٨ ـ هيرست، دايفيد. «البندقية وغصن الزيتون: جذور العنف في الشرق الأوسط.» **مجلة الدراسات الفلسطينية:** العدد ٥٥، صيف ٢٠٠٣. ص ١٤٧-١٥٠. (هشام الدجاني)

٤٩ ـ Hardt, Michael et Antonio Negri. «Empire.»

المستقبل العربي: السنة ٢٦، العدد ٢٩٦، تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٣. ص ١٨٦-١٩٢. (نور الدين ثنيو)

انظر أيضاً: ٩٩

اقتصاد

كتب

٥٠ ـ جامعة الدول العربية. **المجموعة الإحصائية لدول الوطن العربي**. القاهرة: الجامعة، ٢٠٠٢. ٤٢٦ ص.

انظر أيضاً: ١٠

دوريات

٥١ ـ أبو هات، عبد الكريم كامل وهاشم مرزوك الشمري. «القدرة التنافسية للصادرات العربية في ظل الانفتاح التجاري وسبل دعمها.» **مجلة الوحدة الاقتصادية العربية:** السنة ١٥، العدد ٢٧، حزيران/يونيو ٢٠٠٣. ص ٢٩–٥٩.

٥٢ ـ اتحاد المصارف العربية. مديرية البحوث والمجلة وبنك المعلومات (معدّ). «المفاوضات على التجارة في الخدمات المالية في إطار منظمة التجارة العالمية وأبعادها بالنسبة للدول العربية.» **المصارف العربية:** العدد ٢٧٣، آب/أغسطس ٢٠٠٣. ص ٨١–٨٤.

٥٣ ـ التميمي، تيسير. «المشكلات التي تواجه العمل المصرفي في فلسطين ومحاولة إستشراف آفاق المستقبل.» **المصارف العربية:** العدد ٢٧٣، آب/أغسطس ٢٠٠٣. ص ٩١–٩٢.

٥٤ ـ جويلي، أحمد. «مشروع الاستراتيجية الإقليمية للتنمية الزراعية والأمن الغذائي في دول مجلس الوحدة الاقتصادية العربية.» **مجلة الوحدة الاقتصادية العربية:** السنة ١٥، العدد ٢٧، حزيران/يونيو ٢٠٠٣. ص ١–٢٧.

٥٥ ـ حريق، إيليا. «الإصلاح الاقتصادي: ما هو أبعد من التعديل الهيكلي.» **المستقبل العربي:** السنة ٢٦، العدد ٢٩٦، تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٣. ص ٣١–٤٣.

٥٦ ـ السامرائي، أحمد مفيد. «هل يستطيع العراق إعادة الإعمار دون البنك وصندوق النقد الدوليين؟» **المصارف العربية:** العدد ٢٧٣، آب/أغسطس ٢٠٠٣. ص ٨٧–٨٨.

٥٧ ـ شمس الدين، محمد. «التنمية واستراتيجيات التسليح في دول مجلس التعاون.» **الشؤون العامة:** العدد ٢٥، أيلول/سبتمبر ٢٠٠٣. ص ٣٣–٥٦.

٥٨ ـ الصوالحي، حمدي. «آليات برنامج تنمية التجارة العربية البينية.» **مجلة الوحدة الاقتصادية العربية:** السنة ١٥، العدد ٢٧، حزيران/يونيو ٢٠٠٣. ص ١٢١–١٥٨.

٥٩ ـ صيام، أحمد. «التخاصية في الأردن.. الأهداف والنتائج.» **مجلة دراسات شرق أوسطية:** السنة ٨، العدد ٢٤، صيف ٢٠٠٣. ص ٦١–٨٤.

٦٠ ـ طربيه، جوزف. «المصارف العربية: إصلاح وتطوير والتزام بالمعايير الدولية.» **المصارف العربية:** العدد ٢٧٣، آب/أغسطس ٢٠٠٣. ص ٧–٩.

٦١ ـ عزام، هنري توفيق. «العملات العربية: أسعار صرف ثابتة أم مرنة؟» **المصارف العربية:** العدد ٢٧٣، آب/أغسطس ٢٠٠٣. ص ٦١–٦٢.

٦٢ ـ الكبيسي، عبد الرزاق. «مشكلة البطالة بين الشباب في البلاد العربية ودور الصناعات الصغيرة في معالجتها.» **مجلة الوحدة الاقتصادية العربية:** السنة ١٥، العدد ٢٧، حزيران/يونيو ٢٠٠٣. ص ٦١–١٠٢.

٦٣ ـ ملحم، حازم. «تقنيات واعدة وآفاق جديدة للمصارف العربية.» **المصارف العربية:** العدد ٢٧٣، آب/أغسطس ٢٠٠٣. ص ٩٥.

٦٤ ـ وهيب، مؤيد. «المؤسسات المالية والمصرفية في الإمارات.» **الشؤون العامة:** العدد ٢٥، أيلول/سبتمبر ٢٠٠٣. ص ٧–٣٢.

اجتماع

كتب

٦٥ ـ محسن، مصطفى. **قضية المرأة وتحديات التعليم والتنمية البشرية**. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ٢٠٠٠. (سلسلة المعرفة للجميع؛ العدد ١٥)

انظر أيضاً: ٨٧، ١٠٠

دوريات

٦٦ ـ آرمسترونغ، وداد. «المحركات الأساسية لفاعليات الأسرة.» **الشؤون العامة:** العدد ٢٥، أيلول/سبتمبر ٢٠٠٣. ص ٧٩–١٠٣.

٦٧ ـ بيشو، عمر. «إشكالية تأويل النص الديني بين الألسنة والأنسنة.» **فكر ونقد:** السنة ٦، العدد ٥١، أيلول/سبتمبر ٢٠٠٣. ص ١١١–١١٩.

٦٨ ـ التير، مصطفى عمر. «ملاحظات حول بناء مقياس للتنمية الإنسانية.» **إضافات:** العدد ٤، أيار/مايو ٢٠٠٣. ص ٦٥-٧٩.

٦٩ ـ الحافظ، مهدي. «الأمن الإنساني: القيم والآليات.» **إضافات:** العدد ٤، أيار/مايو ٢٠٠٣. ص ١٠٧-١١١.

٧٠ ـ خوخو، لحسن محسن. «في موقف علم الاجتماع من التدين.» **فكر ونقد:** السنة ٦، العدد ٥١، أيلول/سبتمبر ٢٠٠٣. ص ٨١-٨٨.

٧١ ـ خير الله، داود. «أوضاع الجالية العربية في الولايات المتحدة.» **المنابر:** السنة ١٦، العدد ١٠٥، أيلول/سبتمبر ـ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٣. ص ٩٦-١٠٤.

٧٢ ـ زريق، إيليا. «الديموغرافيا والترانسفير: طريق إسرائيل إلى اللامكان.» **مجلة الدراسات الفلسطينية:** العدد ٥٥، صيف ٢٠٠٣. ص ٤٢-٥٢.

٧٣ ـ شفيق، المختار. «الحركة الإسلامية: المفهوم والدلالات، وحدة المتعدد أو الاختلاف المتوحش.» **فكر ونقد:** السنة ٦، العدد ٥١، أيلول/سبتمبر ٢٠٠٣. ص ٥١-٥٨.

٧٤ ـ عبد الهادي، فيحاء (معد). «العنف السياسي ضد المرأة الفلسطينية.» **مجلة الدراسات الفلسطينية:** العدد ٥٥، صيف ٢٠٠٣. ص ٨٩-١٠٥.

٧٥ ـ عبد الوهاب، عصام. «ما قبل النقد: مدخل لقراءة تقرير التنمية الإنسانية العربية.» **إضافات:** العدد ٤، أيار/مايو ٢٠٠٣. ص ٩-٢٣.

٧٦ ـ علي، حيدر إبراهيم. «التنمية الإنسانية: في المفاهيم والمنهج.» **إضافات:** العدد ٤، أيار/مايو ٢٠٠٣. ص ٢٥-٣١.

٧٧ ـ العناني، خليل. «إشكاليات التغيير في الوطن العربي.» **المستقبل العربي:** السنة ٢٦، العدد ٢٩٦، تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٣. ص ١٦٥-١٧٢.

٧٨ ـ فرسخ، عوني. «الأقليات في الوطن العربي: ما لها وما عليها؟» **المنابر:** السنة ١٦، العدد ١٠٥، أيلول/سبتمبر ـ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٣. ص ٨٥-٩٥.

٧٩ ـ الكردي، محمود فهمي. «الآليات الاجتماعية لبناء القدرات البشرية وتوظيفها.» **إضافات:** العدد ٤، أيار/مايو ٢٠٠٣. ص ٨١-٩١.

٨٠ ـ كيحل، مصطفى. «مواقع الحضارة الإسلامية في فرضية «صدام الحضارات» عند صموئيل هانتنغتون.» **شؤون اجتماعية:** السنة ٢٠، العدد ٧٨، صيف ٢٠٠٣. ص ١٩١-١٩٩.

٨١ ـ مراد، بركات محمد. «العولمة والمنظور الغربي للإسلام والمسلمين: الذاتي والموضوعي في العولمة المعاصرة.» **الرافد:** العدد ٧٢، آب/أغسطس ٢٠٠٣. ص ٤-١٣.

٨٢ ـ مسلان، ميشال. «علم الاجتماع الديني وبنية المؤسسة الدينية.» ترجمة عز الدين عناية. **فكر ونقد:** السنة ٦، العدد ٥١، أيلول/سبتمبر ٢٠٠٣. ص ٨٩-١١٠.

٨٣ ـ الملهوف، محمد. «التنمية الإنسانية: التعريف، المفاهيم، والسياق العام.» **إضافات:** العدد ٤، أيار/مايو ٢٠٠٣. ص ٥٧-٦٤.

٨٤ ـ نصر، ندى مغيزل. «تعليق حول: فجوة المعرفة: العالم العربي في المجتمع العالمي للمعرفة انطلاقاً من: تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٢.» **إضافات:** العدد ٤، أيار/مايو ٢٠٠٣. ص ١٤٥-١٥٠.

٨٥ ـ نعمة، ديب. «تقرير التنمية الإنسانية العربية الأول: مناقشة في المفهوم.» **إضافات:** العدد ٤، أيار/مايو ٢٠٠٣. ص ٣٣-٥٥.

مراجعة كتب

٨٦ ـ محسن، مصطفى. «قضية المرأة وتحديات التعليم والتنمية البشرية.» **فكر ونقد:** السنة ٦، العدد ٥١، أيلول/سبتمبر ٢٠٠٣. ص ١٢٧-١٤٤.

قانون

كتب

٨٧ ـ تاكنبرغ، لكس. **وضع اللاجئين الفلسطينيين في القانون الدولي.** ترجمة بكر عباس. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠٣. ٥٣٣ ص.

دوريات

انظر أيضاً: ٤١

تربية وتعليم

دوريات

٨٨ ـ إسماعيل، بشيرة. «التربية وإعادة إنتاج الحياة المجتمعية.» **الشؤون العامة:** العدد ٢٥، أيلول/سبتمبر ٢٠٠٣. ص ٥٧-٧٨.

٨٩ ـ الحوات، علي. «بناء القدرات البشرية: التعليم.» **إضافات:** العدد ٤، أيار/مايو ٢٠٠٣. ص ٩٣–١٠٥.

٩٠ ـ عليان، أيمن يوسف. «دور وسائط التربية في تدعيم أو تثبيط برامج الأطفال في التلفزة العربية.» **شؤون اجتماعية:** السنة ٢٠، العدد ٧٨، صيف ٢٠٠٣. ص ١٧١–١٩٠.

مراجعة كتب

٩١ ـ السليطي، حمد علي. «التعليم والتنمية البشرية في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية: دراسة تحليلية.» **شؤون اجتماعية:** السنة ٢٠، العدد ٧٨، صيف ٢٠٠٣. ص ٢٠١–٢٠٥.

ثقافة

كتب

٩٢ ـ جدي، أحمد [وآخرون]. **قراءات في الفكر العربي: التونسي ـ ابن أبي الضياف ـ الكواكبي ـ رشيد رضا ـ طه حسين ـ قسطنطين زريق ـ زكي نجيب محمود ـ العروي ـ شرابي ـ محمود إسماعيل ـ الجابري.** بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣. ٢٨٨ ص. (سلسلة كتب المستقبل العربي؛ ٢٥)

دوريات

٩٣ ـ بنعبد العالي، عبد السلام. «في مرآة الآخر.» **فكر ونقد:** السنة ٦، العدد ٥١، أيلول/سبتمبر ٢٠٠٣. ص ٤٣–٤٨.

٩٤ ـ «تقرير: فتح الأبواب: الحياة الفكرية والأحوال الأكاديمية في بغداد ما بعد الحرب، تقرير من المرصد العراقي ـ ١٥ تموز/يوليو ٢٠٠٣.» **العربي:** السنة ٢٦، العدد ٢٩٦، تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٣. ص ١٤٢–١٦٤.

٩٥ ـ العسكري، سليمان إبراهيم. «في مأزق الثقافة العربية الراهن: تأجيل الآمال وتعجيل المخاوف.» **المستقبل العربي:** العدد ٥٣٨، أيلول/سبتمبر ٢٠٠٣. ص ٨–١٣.

فلسفة وعلم نفس

دوريات

٩٦ ـ الجابري، محمد عابد. «الماضي والمستقبل... أيهما يحكم الآخر؟» **فكر ونقد:** السنة ٦، العدد ٥١، أيلول/سبتمبر ٢٠٠٣. ص ١١–٢٥.

٩٧ ـ دملج، سلمى المصري. «محاولة تاريخية للإسهام النفسي العربي الحديث.» **شؤون اجتماعية:** السنة ٢٠، العدد ٧٨، صيف ٢٠٠٣. ص ٤٣–١٩٦.

أدب ولغة

كتب

٩٨ ـ عبد المعطي، عفاف. **حاضر الرواية في المغرب العربي.** تونس: دار المعارف التونسية، ٢٠٠٣.

مراجعة كتب

٩٩ ـ Suleiman, Yasir. «The Arabic Language and National Identity: A Study in Ideology.»

المستقبل العربي: السنة ٢٦، العدد ٢٩٦، تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٣. ص ١٩٣–١٩٨. (أحمد عزم حمد)

علوم وتقانة

كتب

١٠٠ ـ الزيدي، مفيد. **قضايا العولمة والمعلوماتية في المجتمع العربي المعاصر.** عمّان: دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣. ٢٢٣ ص.

دوريات

١٠١ ـ سلام، محمد عبد الجبار. «ثورة المعلومات وأبعادها التقنية والتكنولوجية.» **الباحث الجامعي** (جامعة إب ـ اليمن): السنة ٥، العدد ٥، ٢٠٠٣. ص ٢٨١–٣٢٨.

١٠٢ ـ المنشداوي، خضير عباس. «مدخل لدراسة تاريخ طب الأسنان عند العرب.» **الباحث الجامعي** (جامعة إب ـ اليمن): السنة ٥، العدد ٥، ٢٠٠٣. ص ١–٣٢.

إعلام واتصال

دوريات

١٠٣ ـ حوات، محمد علي. «نظام القطبية الأحادية وتطور أساليب الابتزاز في الإعلام الصهيوني.» **الباحث الجامعي** (جامعة إب ـ اليمن): السنة ٥، العدد ٥، ٢٠٠٣. ص ٣٢٩–٣٧٤.

تاريخ وجغرافيا

كتب

انظر أيضاً: ٩

دوريات

١٠٤ ـ الشريف، ماهر. «القضية الفلسطينية في الكتابة التاريخية العربية: هل هناك حاجة إلى تاريخ جديد؟» **مجلة الدراسات الفلسطينية:** العدد ٥٥، صيف ٢٠٠٣. ص ٢٩-٤١.

مراجعة كتب

١٠٥ ـ الحوت، بيان نويهض. «صبرا وشاتيلا، أيلول ١٩٨٢.» **مجلة الدراسات الفلسطينية:** العدد ٥٥، صيف ٢٠٠٣. ص ١٢٧-١٤٦. (الياس سحاب)

١٠٦ ـ Kimmerling, Baruch and Joel S. Migdal. «The Palestinian People: A History.» **مجلة الدراسات الفلسطينية:** العدد ٥٥، صيف ٢٠٠٣. ص ١٥١-١٥٤ (صالح عبد الجواد)

ثانياً: المصادر الأجنبية

National Thought & Politics

Books

1- Casey, Ethan and Paul Hilder (eds.). *Peace Fire: Fragments from the Israel-Palestine Story*. London: Free Association Books, 2002. xiii, 365 p.

2- Ginat, Joseph, Edward J. Perkins and Edwin G. Corr (eds.). *The Middle East Peace Process: Vision versus Reality*. Norman, OK: University of Oklahoma Press, 2003. xix, 444 p.

3- Kober, Avi. *Coalition Defection: The Dissolution of Arab-Israeli Coalitions in War and Peace*. Westport, CT: Greenwood Publishing Group, 2002. xv, 218 p.

4- Marchand, Stéphane. *Arabie Saoudite: La Menace*. Paris: Fayard, 2003. 406 p.

5- Nouho, Alhadji, Bouba. *Israël et l'Afrique: Une relation mouvementée*. Paris: Karthala, 2003. 228 p. (Collection Tropiques)

6- Peterson, John E. *Saudi Arabia and the Illusion of Security*. London: UK: Oxford University Press for the IISS, 2002. 103 p. (Adelphi Pager; 348)

See also: 52, 55, 67

Periodicals

7- Alterman, Jon B. «Not in My Backyard: Iraq's Neighbors' Interests.» *Washington Quarterly:* vol. 26, no. 3, Summer 2003. pp. 149-160.

8- Baran, David. «La Guerre d'Irak, la stratégie du faible face à la puissance américaine.» *Politique étrangère:* 68e année, no. 2, été 2003. pp. 395-408.

9- Barry, Michael. «Moyen-Orient: Vers une seconde guerre de cent ans?» *Politique internationale:* no. 100, été 2003. pp. 97-122.

10- Bayefsky, Anne. «Israel, the United Nations, and the Road Map.» *American Foreign Policy Interests:* vol. 25, no. 5, October 2003. pp. 373-394.

11- Byman, Daniel L. and Kenneth M. Pollack. «Democracy in Iraq?» *Washington Quarterly:* vol. 26, no. 3, Summer 2003. pp. 119-136.

12- Cuche, Pascal. «Irak: Et si la France s'était trompée?» *Politique étrangère:* 68e année, no. 2, été 2003. pp. 409-422.

13- Delpech, Thérèse. «Bagdad: Trois leçons pour une crise.» *Politique internationale:* no. 100, été 2003. pp. 185-202.

14- D'Encausse, Hélène Carrère. «Le Duo Moscou/Washington à l'heure irakienne.» *Politique internationale:* no. 100, été 2003. pp. 273-287.

15- Domenach, Jean-Luc. «Pékin et l'Irak.» *Politique internationale:* no. 100, été 2003. pp. 305-316.

16- Gunter, Michael M. «Kurdish Future in a Post-Saddam Iraq.» *Journal of Muslim Minority Affairs:* vol. 23, no. 1, April 2003. pp. 9-23.

17- Haass, Richard N. «Toward Greater Democracy in the Muslim World.» *Washington Quarterly:* vol. 26, no. 3, Summer 2003. pp. 137-148.

18- Hassner, Pierre. «Europe/Etats-Unis: La Tentation du divorce.» *Politique internationale:* no. 100, été 2003. pp. 161-176.
19- Kechichian, Joseph A. «The Burden of Saudi Arabia.» *Middle East Journal:* vol. 57, no. 3, Summer 2003. pp. 492-497.
20- Kissinger, Henry. «L'Amérique et le monde.» *Politique internationale:* no. 100, été 2003. pp. 145-157.
21- Legrain, Jean-François. «En attendant la Palestine.» *Maghreb-Machrek:* no. 176, été 2003. pp. 7-10.
22- ——— . «Les Phalanges des martyrs d'Al-Aqsa en mal de Leadership national.» *Maghreb-Machrek:* no. 176, été 2003. pp. 11-34.
23- Marr, Phebe. «Where Is Iraq Headed?» *American Foreign Policy Interests:* vol. 25, no. 5, October 2003. pp. 365-372.
24- McMillan, Joseph, Richard Sokolsky and Andrew C. Winner. «Toward a New Regional Security Architecture.» *Washington Quarterly:* vol. 26, no. 3, Summer 2003. pp. 161-175.
25- Pond, Elizabeth. «European Shock and Awe.» *Washington Quarterly:* vol. 26, no. 3, Summer 2003. pp. 191-203.
26- Raphaeli, Nimrod. «Saudi Arabia: A Brief Guide to its Politics and Problems.» *Middle East Review of International Affairs (MERIA):* vol. 7, no. 3, September 2003. pp. 21-33
27- Taheri, Amir. «Iraq: The Failure of an Arab Model.» *American Foreign Policy Interests:* vol. 25, no. 3, June 2003. pp. 157-162.
28- ——— . «Islam et démocratie: Un pari impossible?» *Politique internationale:* no. 100, été 2003. pp. 69-80.
29- Thomas, Dominique. «La Question palestinienne et l'internationale islamiste ou l'histoire d'un Jihad ajourné.» *Maghreb-Machrek:* no. 176, été 2003. pp. 61-74.
30- Viorst, Milton. «The Road Map to Nowhere.» *Washington Quarterly:* vol. 26, no. 3, Summer 2003. pp. 177-190.
31- Yaphe, Judith S. «War and Occupation in Iraq: What Went Right? What Could Go Wrong?» *Middle East Journal:* vol. 57, no. 3, Summer 2003. pp. 381-399.
32- Youngs, Richard. «European Approaches to Security in the Mediterranean.» *Middle East Journal:* vol. 57, no. 3, Summer 2003. pp. 414-431.

Book Reviews

33- Boykin, John. «Cursed Is the Peacemaker: The American Diplomat versus the Israeli General, Beirut 1982.» *Middle East Journal:* vol. 57, no. 3, Summer 2003. pp. 520-521. (Richard B. Parker)
34- Dawisha, Adeed. «Arab Nationalism in the Twentieth Century: From Triumph to Despair.» *Middle East Journal:* vol. 57, no. 3, Summer 2003. pp. 519-520. (Micheal Barnett)
35- Marchand, Stéphane. «Arabie Saoudite: La Menace.» *Politique internationale:* no. 100, été 2003. pp. 441-442. (Alain Chenal)
36- St. John, Ronald Bruce. «Libya and the United States: Two Centuries of Strife.» *Political Science Quarterly:* vol. 118, no. 2, Summer 2003. pp. 333-335 (Lisa Anderson)
37- Telhami, Shibley. «The Stakes: America and the Middle East: The Consequences of Power and the Choice for Peace.» *Political Science Quarterly:* vol. 118, no. 2, Summer 2003. pp. 318-320. (Scott Lasensky)

See also: 63, 79

Economics

Books

38- Arab Petroleum Research Center. *Arab Oil and Gas Directory 2003.* Paris: The Center, 2003. 656 p.
39- Dasgupta, Dipak [et al.]. *Making Trade Work for Jobs: International Evidence and Lessons for MENA.* Washington, DC: World Bank, 2003. 23 p. (Middle East and North Africa Working Paper Series; no. 32)
40- Al-Nasrawi, Abbas. *Iraq's Burdens: Oil, Sanctions, and Underdevelopment.* Westport, CT; London: Greenwood Press, 2002. x, 179 p.
41- Rossotto, Carlo Maria, Khalid Sekkat and Aristomene Varoudakis. *Opening*

up Telecommunications to Competition and MENA Integration in the World Economy. Washington, DC: World Bank, 2003. 28 p. (Middle East and North Africa Working Paper Series; no. 33)

42- World Economic Forum. *The Arab World Competitiveness Report, 2002-2003*. New York: The Forum, 2003. xii, 394 p.

Periodicals

43- Abi-Aad, Naji. «Oil and Gas Pipelines in the Middle East: Impacts of «New Iraq».» *Arab Oil and Gas Magazine:* vol. 40, September 2003. pp. 20-23.

44- Hamre, John. «Iraq's Post-Conflict Reconstruction.» *Arab Oil and Gas Magazine:* vol. 40, September 2003. pp. 24-28

45- Kapiszewski, Andrzej. «The Changing Status of Arab Migrant Workers in the GCC.» *Journal of Social Affairs:* vol. 20, no. 78, Summer 2003. pp. 33-60.

46- Looney, Robert E. «Bean Counting in Baghdad: Dept, Reparations, Reconstruction, and Resources.» *Middle East Review of International Affairs (MERIA);* vol. 7, no. 3, September 2003. pp. 60-72

47- McKillop, Andrew. «Why We Need $60/Barrel Oil.» *Arab Oil and Gas Magazine:* vol. 40, September 2003. pp. 29-33.

48- Momani, Bessma. «Promoting Economic Liberalization in Egypt: From U.S. Foreign Aid to Trade and Investment.» *Middle East Review of International Affairs (MERIA):* vol. 7, no. 3, September 2003. pp. 88-101.

49- Sader, Makram. «Arab Banks and Implementation of the New Basel Agreement.» *Union of Arab Banks:* no. 273, August 2003. pp. 135-143.

50- Sarkis, Nicolas. «The Iraqi Wild Card.» *Arab Oil and Gas Magazine:* vol. 40, September 2003. pp. 4-6.

51- Toukan, Umayya. «Arab Banks: What Is the Business Model for the Next Decade?» *Union of Arab Banks:* no. 273, August 2003. pp. 144-145.

Sociology

Books

52- Ishow, Habib. *Structures sociales et politiques de l'Irak contemporain: Pourquoi un état en crise?* Paris: L'Harmattan, 2003. 320 p.

Periodicals

53- Ataman, Muhittin. «Islamic Perspective on Ethnicity and Nationalism: Diversity or Uniformity?» *Journal of Muslim Minority Affairs:* vol. 23, no. 1, April 2003. pp. 89-102.

54- Dekmejian, Richard. «The Liberal Impulse in Saudi Arabia.» *Middle East Journal:* vol. 57, no. 3, Summer 2003. pp. 400-413.

55- Doraï, Mohamed Kamel, Jalal Al-Husseini et Jean-Christophe Augé. «De l'émigration au transfert? Réalités démographiques et craintes politiques en Jordanie.» *Maghreb-Machrek:* no. 176, été 2003. pp. 75-92.

56- Foxell, Joseph W., Jr. «The U.S. War on Terrorism: Prospects for Success?» *American Foreign Policy Interests:* vol. 25, no. 3, June 2003. pp. 177-198.

57- Hoveyda, Fereydoun. «Not without the United Nations.» *American Foreign Policy Interests:* vol. 25, no. 3, June 2003. pp. 169-175.

58- Hussien, Seifudein Adem. «Ali A. Mazrui: A Postmodern Ibn Khaldun?» *Journal of Muslim Minority Affairs:* vol. 23, no. 1, April 2003. pp. 127-145.

59- Kateb, Kamel. «Changements démographiques et organisation familiale en Algérie.» *Maghreb-Machrek:* no. 176, été 2003. pp. 95-110.

60- Laskier, Michael M. «A Difficult Inheritance: Moroccan Society under King Muhammad VI.» *Middle East Review of International Affairs (MERIA):* vol. 7, no. 3, September 2003. pp. 1-20.

61- Rougier, Bernard. «Dynamiques religieuses et identité nationale dans les camps de réfugiés palestiniens du Liban.» *Maghreb-Machrek:* no. 176, été 2003. pp. 35-59.

62- Soderberg, Nancy E. «Meeting the Challenges of Islamic Fundamenta-

lism.» *American Foreign Policy Interests:* vol. 25, no. 3, June 2003. pp. 163-168.

See also: 45

Book Reviews

63- Ishow, Habib. «Structures sociales et politiques de l'Irak contemporain: Pourquoi un état en crise?» *Politique internationale:* no. 100, été 2003. pp. 442-443. (Alain Chevalérias)

Culture

Books

64- Touma, Habib Hassan. *The Music of the Arabs*. Translated by Laurie Schwartz. Portland, OR: Amadeus Press, 2003. xxii, 238 p.

See also: 65

Literature & Language

Books

65- Bakalla, M. H. *Arabic Culture through its Language and Literature*. New York: Columbia University Press, 2003. xviii, 290 p.

Information & Communication

Books

See also: 41

Book Reviews

66- El-Nawawy, Mohammed and Adel Iskander. «Al-Jazeera: How the Free Arab News Network Scooped the World and Changed the Middle East.» *Political Science Quarterly:* vol. 118, no. 2, Summer 2003. pp. 316-318. (John L. Esposito)

History & Geography

Books

67- Ayad, Christophe. *Géopolitique de l'Egypte*. Paris: Complexe, 2002. 144 p.

68- Rihani, Ameen. *Ibn Sa'oud of Arabia*. London; New York: Kegan Paul, 2002. xvii, 370 p.

69- Rivet, Daniel. *Le Maghreb à l'épreuve de la colonisation*. Paris: Hachette littératures, 2002. 460 p.

70- Sharkey, Heather J. *Living with Colonialism, Nationalism and Culture in the Anglo-Egyptian Sudan*. Berkeley, CA: University of California Press, 2003. xiii, 141 p.

Periodicals

71- Bunton, Martin. «Mandate Daze: Stories of British Rule in Palestine, 1917-48.» *International Journal of Middle East Studies:* vol. 35, no. 3, August 2003. pp. 485-492.

72- Ephrat, Daphna and Mustafa Daud Kabha. «Muslim Reactions to the Frankish Presence in Bilad al-Sham: Intensifying Religious Fidelity within the Masses.» *Al-Masaq: Islam and the Medieval Mediterranean:* vol. 15, no. 1, March 2003. pp. 47-58.

73- Ginor, Isabella. «The Cold War's Longest Cover-Up: How and Why the U.S. Instigated the 1967 War.» *Middle East Review of International Affairs (MERIA):* vol. 7, no. 3, September 2003. pp. 34-59.

74- Grinberg, Lev. «A Historical Slip of the Tongue, or What Can the Arab-Jewish Transportation Strike Teach Us about the Israeli-Palestinian Conflict?» *International Journal of Middle East Studies:* vol. 35, no. 3, August 2003. pp. 371-391.

75- Lakhssassi, Mohamed. «A l'origine du contentieux territorial algéro-marocain.» *Etudes maghrébiens:* nos. 15-16, 2002. pp. 3-19.

76- Robinson, Shira. «Local Struggle, National Struggle: Palestinian Responses to the Kafr Qasim Massacre and its Aftermath, 1956-66.» *International Journal of Middle East Studies:* vol. 35, no. 3, August 2003. pp. 393-416.

77- Vila, David. «The Struggle over Arabisation in Medieval Arabic Christian Hagiography.» *Al-Masaq: Islam and the Medieval Mediterranean:* vol. 15, no. 1, March 2003. pp. 35-46.

78- Yitzhak, Ronen. «The Beginnings of Transjordanian Military Intelligence: A

Neglected Aspect of the 1948 War.» *Middle East Journal:* vol. 57, no. 3, Summer 2003. pp. 449-468.

Book Reviews

79- Ayad, Christophe. «Géopolitique de l'Egypte.» *Politique internationale:* no. 100, été 2003. pp. 445-447. (Alain Chenal)

80- Oren, Michael B. «Six Days of War: June 1967 and the Making of the Modern Middle East.» *Political Science Quarterly:* vol. 118, no. 2, Summer 2003. pp. 363-364. (Jerome Slater)

81- Rivet, Daniel. «Le Maghreb à l'épreuve de la colonisation.» *Maghreb-Machrek:* no. 176, été 2003. pp. 125-127. (Luis Martinez)

82- Sharkey, Heather J. «Living with Colonialism, Nationalism and Culture in the Anglo-Egyptian Sudan.» *Middle East Journal:* vol. 57, no. 3, Summer 2003. pp. 515-516. (Carolyn Fluehr-Lobban)

صدر حديثاً

القومية العربية والوحدة في الفكر السياسي العربي

د. يوسف الصواني

يحاول هذا الكتاب أن ينقض دلالة الدراسات السابقة، وأن يؤدي دوراً في نقض دلالة حكم الموت الذي صدر على القومية العربية. من هنا، فإنه يصرف همه إلى المناقشات التي تتصل بمسائل مثل القومية العربية والوحدة العربية والدولة العربية والديمقراطية والأقليات. ويؤكد تحليل المناقشات والمساهمات، غير المعروفة في القسم الأكبر منها في الغرب، أن تجديد شباب القومية العربية آخذ بالحدوث، فالفكر العربي عن القومية العربية والوحدة العربية يخضع الآن لجدلية بين نماذجه القديمة، ونماذجه التي أخذت تبرز مؤخراً.

٢٥٧ صفحة
الثمن: ٨ دولارات
أو ما يعادلها

(١٠١) إحصاءات الطاقة في الوطن العربي

إعداد: ربيع كسروان
مركز دراسات الوحدة العربية

مقدمة

- إنتاج النفط الخام في الوطن العربي والعالم للسنوات ١٩٩٠ و١٩٩٥ و١٩٩٩-٢٠٠٢
- إنتاج الغاز الطبيعي في الوطن العربي والعالم للسنوات ١٩٩٠ و١٩٩٥ و١٩٩٩-٢٠٠٢
- الاحتياطي المؤكد من النفط الخام في الوطن العربي والعالم للسنوات ١٩٨٢ و١٩٩٢ و٢٠٠١-٢٠٠٢
- الاحتياطي المؤكد من الغاز الطبيعي في الوطن العربي والعالم للسنوات ١٩٨٢ و١٩٩٢ و٢٠٠١-٢٠٠٢
- السعر الفوري لسلة خامات أوبك، ١٩٩٢-٢٠٠٢
- عوائد الصادرات النفطية في الوطن العربي للسنوات ١٩٨٥ و١٩٩٠-٢٠٠٢
- استهلاك الطاقة في العالم للسنوات ١٩٩٠ و١٩٩٥ و٢٠٠٠ و٢٠٠٢
- استهلاك الطاقة في الوطن العربي ١٩٩٠-٢٠٠٢

مقدمة

يقدم الملف الإحصائي «إحصاءات الطاقة في الوطن العربي» ما يتوافر من أهم البيانات حول الطاقة في الوطن العربي والعالم.

يبين الجدول رقم (١) أن إنتاج النفط الخام في الوطن العربي وصل في عام ٢٠٠٢ إلى حوالى ٢١٤١٩ ألف برميل يومياً، أي بتراجع نسبي عن عام ٢٠٠١ بلغ حوالى ٦ بالمئة. أما إنتاج النفط الخام في العالم فلقد بلغ في عام ٢٠٠٢ حوالى ٧٣٩٣٥ ألف برميل يومياً، أي بتراجع طفيف عن المستوى المحقق عام ٢٠٠١. وتبلغ حصة دول أوبك من إنتاج النفط الخام في العالم حوالى ٣٨ بالمئة.

ويبين الجدول رقم (٢) أن إنتاج الغاز الطبيعي في الوطن العربي خلال الفترة (١٩٩٠ ـ ٢٠٠٢) قد زاد على ما يزيد قليلاً على ١٤٠ مليار متر مكعب في نهاية عام ١٩٩٠ إلى ما يزيد قليلاً على ٢٧٣ مليار متر مكعب في نهاية عام ٢٠٠٢. ولقد زادت حصة الوطن العربي من إنتاج الغاز الطبيعي في العالم من حوالى ٧ بالمئة عام ١٩٩٠ لتصل عام ٢٠٠٢ إلى حوالى ١١ بالمئة.

ونلاحظ من الجدول رقم (٣) أن الاحتياطي المؤكد من النفط الخام في الوطن العربي كان في نهاية عام ٢٠٠٢ قد وصل إلى حوالى ٦٣٩ مليار برميل، أو حوالى ٦١ بالمئة من الاحتياطي المؤكد للنفط الخام في العالم، في حين كانت كمية احتياطي النفط الخام حوالى ٣٥٠ مليار برميل في نهاية عام ١٩٨٢، أو ما نسبته حوالى ٥٢ بالمئة من الاحتياطي العالمي. كما تشير أرقام مقارنة الاحتياطي للإنتاج من النفط الخام في الوطن العربي إلى أنه لو استمر نمط الإنتاج الحالي، فإن المدة المقدرة لاستهلاك الاحتياطي المؤكد في نهاية عام ٢٠٠٢ تبلغ حوالى ٨٢ سنة.

ويبين الجدول رقم (٤) أن احتياطي الغاز الطبيعي في الوطن العربي كان في نهاية عام ٢٠٠٢ قد وصل إلى ما يزيد قليلاً على ٤٠ تريليون متر مكعب، أو ما نسبته حوالى ٢٦ بالمئة من احتياطي الغاز الطبيعي في العالم، في حين كانت قيمة احتياطي الغاز الطبيعي ما يزيد قليلاً على ١٢ تريليون متر مكعب في نهاية عام ١٩٨٢، أو ما نسبته ما يزيد قليلاً على ١٤ بالمئة من الاحتياطي العالمي. كما تشير أرقام مقارنة الاحتياطي للإنتاج من الغاز الطبيعي في الوطن العربي إلى أنه لو استمر نمط الإنتاج الحالي، فإن المدة المقدرة لاستهلاك الاحتياطي المؤكد في نهاية عام ٢٠٠٢ تبلغ أكثر من مائة سنة.

ويشير الجدول رقم (٥) إلى أن المعدل السنوي للسعر الفوري لسلة خامات أوبك، الذي انخفض بشكل كبير خلال عام ١٩٩٨ ليصل إلى ما يزيد قليلاً على ١٢ دولاراً أمريكياً للبرميل الواحد، قد عاد وتحسن خلال عام ٢٠٠٠ ليصل إلى مستوى ٢٧,٦ دولار أمريكي للبرميل الواحد، لكنه عاد وتراجع عام ٢٠٠٢ إلى مستوى ٢٤ دولاراً أمريكياً للبرميل الواحد.

ويبين الجدول رقم (٦) أن عوائد الصادرات النفطية في الوطن العربي التي

تراجعت في عام ١٩٩٨ إلى ما يزيد قليلاً على ٨٢ مليار دولار أمريكي، قد عادت وتحسنت خلال عام ٢٠٠٠ لتصل إلى ما يزيد قليلاً على ١٩١ مليار دولار أمريكي، لكنها عادت وتراجعت عام ٢٠٠٢ إلى ما يزيد قليلاً على ١٣١ مليار دولار أمريكي.

ويشير الجدول رقم (٧) إلى أن إجمالي استهلاك الطاقة في العالم قد زاد من ٧٨٨٥,٧ مليون طن مكافىء نفط في عام ١٩٩٠ إلى ٩٤٠٥ مليون طن مكافىء نفط في العام ٢٠٠٢، أي بزيادة مقدارها ما يزيد قليلاً على ١٩ بالمئة. كما يبين تركيب إجمالي استهلاك الطاقة بحسب مصادرها في العالم لعام ٢٠٠٢ أن النفط لا يزال المصدر الأول من مصادر الطاقة، ثم يليه الفحم الحجري، ثم الغاز الطبيعي، ثم الطاقة النووية والطاقة الكهرومائية. فلقد بلغت حصة استهلاك النفط من إجمالي الطاقة في العالم عام ٢٠٠٢ حوالى ٣٨ بالمئة، والفحم الحجري حوالى ٢٦ بالمئة، والغاز الطبيعي ما يزيد قليلاً على ٢٤ بالمئة، كما بلغت حصة استهلاك الطاقة النووية والطاقة الكهرومائية حوالى ٦ بالمئة لكل منهما.

يبين الجدول رقم (٨) أن إجمالي استهلاك الطاقة في الوطن العربي بلغ عام ١٩٩٠ ٤٤٥٧ ألف برميل مكافىء نفط يومياً، ووصل في العام ٢٠٠٢ إلى ٧١٥١ ألف برميل مكافىء نفط يومياً، أي بزيادة قدرها ما يزيد قليلاً على ٦٠ بالمئة. وقد بلغ استهلاك المنتجات النفطية في الوطن العربي عام ١٩٩٠ ٢٧٤٢ ألف برميل مكافىء نفط يومياً، وتشير التقديرات إلى أنه وصل عام ٢٠٠٢ إلى حوالى ٣٩١٤ ألف برميل. كما أن استهلاك الغاز الطبيعي في الوطن العربي بلغ عام ١٩٩٠ ١٥٥٥ ألف برميل مكافىء نفط يومياً، ووصل عام ٢٠٠٢ إلى حوالى ٣٠٠٢ ألف برميل مكافىء نفط يومياً. أما استهلاك الطاقة الكهرومائية في الوطن العربي فقد بلغ عام ١٩٩٠ ١١٤ ألف برميل مكافىء نفط يومياً، ووصل عام ٢٠٠٢ إلى حوالى ١٤٦ ألف برميل. وقد بلغ استهلاك الفحم الحجري في الوطن العربي عام ١٩٩٠ ٤٦ ألف برميل مكافىء نفط يومياً، ووصل في العام ٢٠٠٢ إلى حوالى ٨٨ ألف برميل مكافىء نفط يومياً.

الجدول رقم (١)
إنتاج النفط الخام في الوطن العربي والعالم للسنوات ١٩٩٠ و١٩٩٥ و١٩٩٩–٢٠٠٢
(ألف برميل/يومياً)

البلد / السنة	١٩٩٠	١٩٩٥	١٩٩٩	٢٠٠٠	٢٠٠١	٢٠٠٢
١ ـ مجموع الوطن العربي	١٨,١١٣	٢٠,٣٠٩	٢٢,١٨٦	٢٣,٣٣٢	٢٢,٧١١	٢١,٤١٩
ومنه: الإمارات العربية المتحدة	٢,٢٨٥	٢,٤١٠	٢,٢٩٩	٢,٤٩٢	٢,٤٢٩	٢,٢٧٠
البحرين[١]	١١٨	١٤٦	١٧٦	١٨١	٢٣٤	١٨٥[*]
تونس	٩٥	٩٠	٨٦	٨٠	٧٣	٧٦
الجزائر	١,٣٤٥	١,٣٢٧	١,٥١٥	١,٥٧٩	١,٥٦٢	١,٦٥٩
السعودية	٧,١٠٥	٩,٠٣٢	٨,٦٩٤	٩,٢٩٧	٨,٩٩٢	٨,٦٨٠
سوريا	٤٠٥	٦٠١	٥٨٣	٥٥٤	٥٨٧	٥٧٦
العراق	٢,١٥٥	٥٣٠	٢,٥٤١	٢,٥٨٣	٢,٣٧١	٢,٠٣٠
عمان	٦٩٥	٨٦٨	٩١١	٩٥٩	٩٦١	٩٠٢
قطر	٤٣٥	٤٦١	٧٢٤	٧٩٦	٧٧٩	٧٥٥
الكويت	٩٦٥	٢,١٣٠	٢,٠٠٠	٢,١٠٥	٢,٠٦٩	١,٨٧١
ليبيا	١,٤٢٥	١,٤٣٩	١,٤٢٥	١,٤٧٥	١,٤٢٥	١,٣٧٦
مصر	٩٠٥	٩٢٤	٨٢٧	٧٨١	٧٥٨	٧٥١
اليمن	١٨٠	٣٥١	٤٠٥	٤٥٠	٤٧١	٤٧٣
٢ ـ مجموع دول أوبك	٢٤٥٥٥	٢٧٥٥٩	٢٩٤٣٢	٣٠٩٧٤	٣٠١٠٥	٢٨٢٤٠
ومنها: إندونيسيا	١٥٤٠	١٥٧٨	١٤٠٨	١٤٥٦	١٣٨٩	١٢٧٨
إيران	٣٢٥٥	٣٦٩٥	٣٥٥٠	٣٧٦٦	٣٦٨٠	٣٣٦٦
فنزويلا	٢٢٤٥	٢٩٥٩	٣٢٤٨	٣٣٢١	٣٢١٠	٢٩٤٢
نيجيريا	١٨١٠	١٩٩٨	٢٠٢٨	٢١٠٤	٢١٩٩	٢٠١٣
٣ ـ بعض الدول والمناطق الأخرى	٣٢٧٤٥	٣٠٦٠٣	٣١٣٤٩	٣٢٠٩٣	٣٢٦٩١	٣٣٧٧٢
الولايات المتحدة الأمريكية	٨٩١٥	٨٣٢٢	٧٧٣١	٧٧٣٣	٧٦٧٠	٧٦٩٨
كندا	١٩٦٥	٢٤٠٢	٢٦٠٤	٢٧٢١	٢٧١٢	٢٨٨٠
المكسيك	٢٩٧٥	٣٠٦٥	٣٣٤٣	٣٤٥٠	٣٥٦٠	٣٥٨٥
أوروبا وأوراسيا[٢]	١٦١١٥	١٣٨٢٥	١٤٤٥٨	١٤٩٣٧	١٥٤٤٣	١٦٢٢٢
ومنها: أ ـ المملكة المتحدة	١٩١٥	٢٧٤٩	٢٨٩٢	٢٦٥٧	٢٤٧٦	٢٤٦٣
ب ـ النرويج	١٧٤٠	٢٩٠٢	٣١٣٩	٣٣٤٦	٣٤١٨	٣٣٣٠

يتبع

تابع

ج – روسيا	١٠٤٠٥	٦٢٨٨	٦١٧٨	٦٥٢٦	٧٠٥٦	٧٦٩٨
الصين	٢٧٧٥	٢٩٨٩	٣٢١٣	٣٢٥٢	٣٣٠٦	٣٣٨٧
٤ ـ بقية دول العالم والمناطق غير المذكورة	٥,٧٠٢	٦,٨٢٦	٨,١٢٩	٨,٥٠٢	٨,٤٧٠	٩,١٤٥
٥ ـ العالم	٦٥,٤١٠	٦٧,٩٦٨	٧١,٨٩٨	٧٤,٥٧٤	٧٤,٣٥٠	٧٣,٩٣٥
نسبة أوبك من العالم (بالمئة)	٣٨	٤١	٤١	٤٢	٤٠	٣٨
نسبة الوطن العربي من العالم (بالمئة)	٢٨	٣٠	٣١	٣١	٣١	٢٩

ملاحظات عامة:

يلاحظ أحياناً اختلاف بسيط في الجدول بين الأرقام الدالة على المجاميع وتلك التي يمكن الحصول عليها عن طريق الجمع، ويعود هذا الاختلاف إلى عملية التقريب.

(١) تمت إضافة إنتاج حقل أبو سعفة منذ عام ١٩٩٤ إلى إنتاج البحرين.

(٢) تشمل الدول الأوروبية التالية: النمسا، بلجيكا، تشكيا، الدانمارك، فنلندا، فرنسا، ألمانيا، اليونان، هنغاريا، إيسلندا، أيرلندا، إيطاليا، اللوكسمبورغ، هولندا، النروج، بولندا، البرتغال، سلوفاكيا، إسبانيا، السويد، سويسرا، تركيا، والمملكة المتحدة؛ وكذلك تشمل دول الإتحاد السوفياتي سابقاً وهي: أرمينيا، أذربيجان، بللاروسيا، إستونيا، جورجيا، كازاخستان، كرقيستان، لاتفيا، ليتوانيا، مولدوفا، روسيا، طاجيكستان، تركمانستان، أوكرانيا، وأوزبكستان.

(*) تقديري.

(–) تعني هذه العلامة أن البيانات غير متوافرة.

المصادر: *BP Statistical Review of World Energy* (London: British Petroleum Co., 2003), p. 6; *BP Statistical Review of World Energy* (London: British Petroleum Co., 2001), p. 7, and

منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول: التقرير الإحصائي السنوي، ٢٠٠٠ (الكويت: المنظمة، ٢٠٠٠)، الجدول رقم (١١)، ص ٢٢، وتقرير الأمين العام السنوي التاسع والعشرون، ١٤٢٢/١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م (الكويت: المنظمة، ٢٠٠٢)، الجدول رقم (٢ ـ ٨)، ص ١١٦ ـ ١١٧.

الجدول رقم (٢)
إنتاج الغاز الطبيعي[١] في الوطن العربي والعالم للسنوات ١٩٩٠ و١٩٩٥ و١٩٩٩-٢٠٠٢
(مليار متر مكعب في نهاية كل عام)

السنة / البلد	١٩٩٠	١٩٩٥	١٩٩٩	٢٠٠٠	٢٠٠١	٢٠٠٢
١ ـ مجموع الوطن العربي	١٤٠,٠	١٩٠,٣	٢٤٩,٢	*٢٦٢,٩	٢٦٦,٩	٢٧٣,٢
ومنه: الإمارات العربية المتحدة	٢٠,١	٣١,٣	٣٨,٥	٣٨,٤	٤٥,٠	٤٦,٠
البحرين	٥,٨	٧,٢	٨,٧	٨,٨	٩,١	٩,٢
تونس	٠,٣	٠,٤	٢,٤	٢,٤	٢,٤	ـ
الجزائر	٤٩,٣	٥٨,٧	٨٦,٠	٨٤,٤	٧٨,٢	٨٠,٤
السعودية	٣٣,٥	٤٢,٩	٤٦,٢	٤٩,٨	٥٣,٧	٥٦,٤
سوريا	١,٥	٢,٩	٧,٨	٧,٤	٧,٥	
العراق	٤,٠	٣,٢	٤,٠	٥,١	٤,٤	
عمان	٢,٦	٤,١	٥,٥	٨,٤	١٤,٠	١٤,٨
قطر	٦,٣	١٣,٥	٢٢,١	٢٤,٩	٢٧,٩	٢٩,٣
الكويت	٤,٢	٩,٣	٨,٦	٩,٦	٩,٥	٨,٧
ليبيا	٥,٦	٥,٨	٤,٧	٥,٤	٥,٦	٥,٧
مصر	٦,٨	١١,٠	١٤,٧	١٨,٣	٢١,٥	٢٢,٧
٢ ـ مجموع دول أوبك[٢]	٢١٧,٥	٢٩٥,٧	٣٧٠,٩	٣٨٦,٧	٤٠١,٤	٤٠٦,٦
ومنها: إندونيسيا	٤٥,٣	٦٣,٤	٧١,٠	٦٨,٥	٦٦,٣	٧٠,٦
إيران	٢٣,٢	٣٥,٣	٥٦,٤	٦٠,٢	٦٣,٣	٦٤,٥
فنزويلا	٢٢,٠	٢٧,٥	٢٧,٤	٢٧,٩	٢٩,١	٢٧,٣
نيجيريا	٤,٠	٤,٨	٦,٠	١٢,٥	١٨,٤	١٧,٧
٣ ـ بعض الدول والمناطق الأخرى	١٧٠٠,٣	١٧٤٤,٠	١٨٤٨,٢	١٨٩٩,٥	١٩٢٣,٦	١٩٣٦,٠
الولايات المتحدة الأمريكية	٥١٤,٢	٥٣٤,٣	٥٤١,٦	٥٥١,٤	٥٥٧,٧	٥٤٧,٧
كندا	٩٩,٣	١٥٨,٧	١٧٧,٤	١٨٣,٢	١٨٦,٨	١٨٣,٥
المكسيك	٢٦,٨	٢٦,٦	٣٧,٢	٣٥,٨	٣٥,٣	٣٤,٨
الأرجنتين	١٧,٨	٢٥,٠	٣٤,٦	٣٧,٤	٣٧,١	٣٦,١
أوروبا وأوراسيا	٩٧٧,٢	٩٠٤,٠	٩٣٤,٨	٩٥٩,٥	٩٦٨,٢	٩٨٨,١
ومنها: أ ـ روسيا	٥٩٧,٩	٥٥٥,٤	٥٥١,٠	٥٤٥,٠	٥٤٢,٤	٥٥٤,٩
ب ـ المملكة المتحدة	٤٥,٥	٧٠,٨	٩٩,١	١٠٨,٣	١٠٥,٨	١٠٣,١
ج ـ هولندا	٦٠,٦	٦٧,٠	٥٩,٣	٥٧,٣	٦١,٩	٥٩,٩
د ـ أوزبكستان	٣٨,١	٤٥,٣	٥١,٩	٥٢,٦	٥٣,٥	٥٣,٨
هـ ـ تركمانستان	٨١,٩	٣٠,١	٢١,٣	٤٣,٨	٤٧,٩	٤٩,٩
ماليزيا	١٧,٨	٢٨,٩	٤٠,٨	٤٥,٣	٤٧,٣	٥٠,٣

يتبع

تابع

أستراليا	٢٠,٦	٢٩,٣	٣١,٦	٣٢,٨	٣٣,٦	٣٤,٥
الهند	١٢,٤	١٩,٦	٢٥,٩	٢٦,٩	٢٧,٣	٢٨,٤
الصين	١٤,٢	١٧,٦	٢٤,٣	٢٧,٢	٣٠,٣	٣٢,٦
٤ ـ بقية دول العالم والمناطق غير المذكورة	٥٩,٠	٧٥,٩	٩٣,٤	١٠٤,٢	١٢٥,٧	١٣٨,٣
٥ ـ العالم	١٩٩٣,٨	٢١٤١,٢	٢٣٥١,٦	٢٤٣٥,٧	٢٤٩٣,٣	٢٥٢٧,٦
نسبة الولايات المتحدة من العالم (بالمئة)	٢٦	٢٥	٢٣	٢٣	٢٢	٢٢
نسبة روسيا من العالم (بالمئة)	٣٠	٢٦	٢٣	٢٢	٢٢	٢٢
نسبة أوبك من العالم (بالمئة)	١١	١٤	١٦	١٦	١٦	١٦
نسبة الوطن العربي من العالم (بالمئة)	٧	٩	١١	١١	١١	١١

ملاحظات عامة:

(١) لا يشمل الغاز المكرر أو المشتعل.

(٢) بالنسبة إلى مجموع دول أوبك لعام ٢٠٠١ فهو لا يشمل العراق.

المصادر: انظر: المصادر نفسها، ص ٢٢؛ ٢٣؛ الجدول رقم ٢٤، ص ٩٣، والجدول رقم (٢-١٠)، ص ١١٩-١٢٠ على التوالي.

الجدول رقم (٣)
الاحتياطي المؤكد من النفط الخام في الوطن العربي والعالم للسنوات ١٩٨٢ و١٩٩٢ و٢٠٠١ و ٢٠٠٢

البلد / السنة	١٩٨٢	١٩٩٢	٢٠٠١	٢٠٠٢	الحصة من الإجمالي (بالمئة)	نسبة الإحتياطي إلى الإنتاج (مرة)
	(مليار برميل في نهاية كل عام)				٢٠٠٢	
١ ـ مجموع الوطن العربي	٣٤٩,٨	٦٠٨,٨	٦٣٨,٦	٦٣٨,٦	٦٤,٦	٨٢
ومنه: الإمارات العربية المتحدة	٣٢,٤	٩٨,١	٩٧,٨	٩٧,٨	١٣,٠	١٠٠ +
البحرين	٠,٢	٠,١	٠,١	٠,١	٠,٠	١
تونس	١,٩	١,٧	٠,٣	٠,٣	٠,٠	١١
الجزائر	٩,٤	٩,٢	٩,٢	٩,٢	٠,٩	١٧
السعودية	١٦٥,٣	٢٦٠,٢	٢٦١,٨	٢٦١,٨	٢٥,٠	٨٦
سوريا	١,٥	١,٧	٢,٥	٢,٥	٠,٢	١٢
العراق	٤١,٠	١٠٠,٠	١١٢,٥	١١٢,٥	١٠,٧	١٠٠ +
عمان	٢,٧	٤,٥	٥,٥	٥,٥	٠,٥	١٧
قطر	٣,٤	٣,٧	١٥,٢	١٥,٢	١,٥	٥٨
الكويت	٦٧,٢	٩٦,٥	٩٦,٥	٩٦,٥	٩,٢	١٠٠ +
ليبيا	٢١,٥	٢٢,٨	٢٩,٥	٢٩,٥	٢,٨	٥٩
مصر	٣,٣	٦,٢	٣,٧	٣,٧	٠,٤	١٤
اليمن	ـ	٤,٠	٤,٠	٤,٠	٠,٤	٢٣
٢ ـ مجموع دول اوبك	٤٤٣,٣	٧٦٩,٩	٨١٨,٨	٨١٩,٠	٧٨,٢	٨٢
ومنها: إندونيسيا	٩,٦	٥,٨	٥,٠	٥,٠	٠,٥	١١
إيران	٥٥,٣	٩٢,٩	٨٩,٧	٨٩,٧	٨,٦	٧٤
فنزويلا	٢١,٥	٦٢,٧	٧٧,٧	٧٧,٨	٧,٤	٧٤
نيجيريا	١٦,٨	١٧,٩	٢٤,٠	٢٤,٠	٢,٣	٣٣
٣ ـ بعض الدول والمناطق الأخرى	٢٠٠,٠	١٨٩,٩	١٧١,٥	١٦٥,٧	١٥,٨	١٤
الولايات المتحدة الأمريكية	٣٥,١	٣٢,١	٣٠,٠	٣٠,٤	٢,٩	١١
كندا	٨,٣	٧,٥	٦,٥	٦,٩	٠,٧	٩
المكسيك	٤٨,٣	٥١,٣	٢٦,٩	١٢,٦	١,٢	١٠
أوروبا وأوراسيا	٨٨,٨	٧٥,٠	٨٤,١	٩٧,٥	٩,٣	١٧
ومنها: أ ـ روسيا	ـ	٤٨,٥	٤٨,٦	٦٠,٠	٥,٧	٢٢
ب ـ النرويج	٦,٨	٨,٨	٩,٤	١٠,٣	١,٠	٩
ج ـ كازاخستان	ـ	٥,٢	٨,٠	٩,٠	٠,٩	٢٦
هـ ـ أذربيجان	ـ	١,٣	٧,٠	٧,٠	٠,٧	٦٣

يتبع

تابع

الصين	١٩,٥	٢٤,٠	٢٤,٠	١٨,٣	١,٧	١٥
٤ ـ بقية دول العالم والمناطق غير المذكورة	٢٣,٧	٢٨,٧	٤٣,٨	٤٦,٩	٤٣,٥	١٣
٥ ـ العالم	٦٧٦,٧	١٠٠٦,٧	١٠٥٠,٣	١٠٤٧,٧	١٤٢,٧	٤١
نسبة أوبك من العالم (بالمئة)	٦٥,٥	٧٦,٥	٧٨,٠	٧٨,٢	٥٤,٨	
نسبة الوطن العربي من العالم (بالمئة)	٥١,٧	٦٠,٥	٦٠,٨	٦١,٠	٤٥,٣	

ملاحظات عامة:

(+ ١٠٠) أكثر من مئة عام.

المصادر: انظر: *BP Statistical Review of World Energy* (2003), p. 4; منظمة الدول العربية المصدرة للبترول، **تقرير الأمين العام السنوي التاسع والعشرون، ١٤٢٢/١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢م**، الجدول رقم (٢-٦)، ص ١١٢-١١٣، وجامعة الدول العربية: الأمانة العامة [وآخرون]: **التقرير الاقتصادي العربي الموحد، ١٩٨٧**، تحرير صندوق النقد العربي (تونس: الأمانة العامة، ١٩٨٧)، الملحق رقم (٦ ـ ٩)، ص ٣١٨، **والتقرير الاقتصادي العربي الموحد، ١٩٩٧**، (القاهرة: الأمانة العامة، ١٩٩٧)، الملحق رقم (٥ ـ ١٤)، ص ٣٠٢.

الجدول رقم (٤)
الاحتياطي المؤكد من الغاز الطبيعي في الوطن العربي والعالم للسنوات ١٩٨٢ و١٩٩٢ و٢٠٠١ و٢٠٠٢

البلد / السنة	١٩٨٢	١٩٩٢	٢٠٠١	٢٠٠٢	الحصة من الإجمالي (بالمئة)	نسبة الإحتياطي إلى الإنتاج (مرة)
	(تريليون متر مكعب في نهاية كل سنة)				٢٠٠٢	
١ ـ مجموع الوطن العربي	١٢,٢١	٢٨,٧٤	٤٠,٣٤	٤٠,٢٦	٢٥,٩	+ ١٠٠
ومنه: الإمارات العربية المتحدة	٠,٨١	٥,٧٩	٦,٠١	٦,٠١	٣,٩	+ ١٠٠
البحرين	٠,٢٢	٠,١٦	٠,٠٩	٠,٠٩	٠,١	١٠,٠
تونس	٠,١٢	٠,٠٩	٠,٠٨	(*)٠,٠٨	٠,٠	(١)٣٣,٣
الجزائر	٣,١٥	٣,٦٢	٤,٥٢	٤,٥٢	٢,٩	٥٦,٣
السعودية	٣,٤٣	٥,١٨	٦,٢٢	٦,٣٦	٤,١	+ ١٠٠
سوريا	٠,٠٤	٠,٢٥	٠,٢٤	(*)٠,٣٧	٠,٠	(١)٤٩,٣
العراق	٠,٨٢	٣,١٠	٣,١١	٣,١١	٢,٠	+ ١٠٠
عمان	٠,٠٨	٠,٤٨	٠,٨٣	٠,٨٣	٠,٥	٥٦,٢
قطر	١,٧٦	٦,٤٣	١٤,٤٠	١٤,٤٠	٩,٢	+ ١٠٠
الكويت	٠,٩٧	١,٥٠	١,٤٩	١,٤٩	١,٠	+ ١٠٠
ليبيا	٠,٦١	١,٣١	١,٣١	١,٣١	٠,٨	+ ١٠٠
مصر	٠,٢٠	٠,٤٤	١,٥٦	١,٦٦	١,١	٧٣,١
اليمن	ـ	٠,٣٩	٠,٤٨	٠,٤٨	٠,٣	+ ١٠٠
٢ ـ مجموع دول أوبك	٢٨,٥١	٥٥,٥٣	٧٠,٣٧	٧٠,٥٢	٤٥,٤٠	+ ١٠٠
ومنها: إندونيسيا	٠,٨٤	١,٨٢	٢,٦٢	٢,٦٢	١,٧	٣٧,١
إيران	١٣,٦٧	١٩,٨٠	٢٣,٠٠	٢٣,٠٠	١٤,٨	+ ١٠٠
فنزويلا	١,٥٣	٣,٥٨	٤,١٨	٤,١٩	٢,٧	+ ١٠٠
نيجيريا	٠,٩٢	٣,٤٠	٣,٥١	٣,٥١	٢,٣	+ ١٠٠
٣ ـ بعض الدول والمناطق الأخرى	٥٢,٩٤	٧٤,٣١	٧٤,٥٩	٧٤,٣٦	٤٧,٨٠	٣٨,٤
الولايات المتحدة الأمريكية	٥,٧٨	٤,٧٣	٥,٠٢	٥,١٩	٣,٣	٩,٦
كندا	٢,٧٥	٢,٧١	١,٦٩	١,٧٠	١,١	٩,٣
المكسيك	٢,١٥	٢,٠١	٠,٨٤	٠,٢٥	٠,٢	٧,١
أوروبا وأوراسيا	٣٩,٩٦	٦١,٠٢	٦١,٠٠	٦١,٠٤	٣٩,٢	٥٨,٩
ومنها: أ ـ روسيا	ـ	٤٧,٤٠	٤٧,٥٧	٤٧,٥٧	٣٠,٥	٨١,٢
ب ـ النرويج	١,٦٤	٢,٠٠	١,٢٥	٢,١٩	١,٤	٣٣,٥
ج ـ تركمانستان	ـ	٢,٧٤	٢,٨٦	٢,٠١	١,٣	٣٨,٢
د ـ أوزبكستان	ـ	١,٨٤	١,٨٧	١,٨٧	١,٢	٣٣,٠

يتبع

تابع

هـ ـ كازاخستان	–	١,٨٥	١,٨٤	١,٨٤	١,٢	١٠٠+
و ـ هولندا	١,٤٧	١,٩٥	١,٧٧	١,٧٦	١,١	٢٥,٥
أستراليا	٠,٥٠	٠,٥٢	٢,٥٥	٢,٥٥	١,٦	٧٣,٩
ماليزيا	٠,٩٦	١,٩٢	٢,١٢	٢,١٢	١,٤	٤٢,٢
الصين	٠,٨٤	١,٤٠	١,٣٧	١,٥١	١,٠	٤٦,٣
٤ ـ بقية دول العالم والمناطق غير المذكورة	٣,٧٩	٦,٦٩	٧,٤٠	٧,٨٤	٤,٨	٣,١
٥ ـ العالم	٨٥,٩٠	١٣٨,٣٤	١٥٥,٦٤	١٥٥,٧٨	١٠٠,٠	٦٠,٧
نسبة أوبك من العالم (بالمئة)	٣٣,١٩	٤٠,١٤	٤٥,٢١	٤٥,٢٧	٤٥,٤	
نسبة الوطن العربي من العالم (بالمئة)	١٤,٢١	٢٠,٧٧	٢٥,٩٢	٢٥,٨٤	٢٥,٩	

ملاحظات عامة:

(١) بالمقارنة مع إنتاج عام ٢٠٠١.

(+ ١٠٠) أكثر من مئة عام.

المصادر: انظر: المصادر نفسها، ص ٢٠؛ الجدول رقم (٢–٧)، ص ١١٤–١١٥؛ الملحق رقم (٦–١١)، ص ٣٢٠، والملحق رقم (٥–١٥)، ص ٣٠٣.

الجدول رقم (٥)
السعر الفوري لسلة خامات أوبك، ١٩٩٢ ـ ٢٠٠٢
(دولار أمريكي/للبرميل)

السنة / الشهر	١٩٩٢	١٩٩٣	١٩٩٤	١٩٩٥	١٩٩٦	١٩٩٧	١٩٩٨	١٩٩٩	٢٠٠٠	٢٠٠١	٢٠٠٢
كانون الثاني/يناير	١٦,٧	١٦,٧	١٣,٧	١٦,٧	١٨,١	٢٣,٢	١٤,٤	١٠,٧	٢٤,٦	٢٤,١	١٨,٣
شباط/فبراير	١٦,٩	١٧,٧	١٣,٨	١٧,٣	١٧,٩	٢٠,٥	١٣,٥	١٠,٠	٢٦,٨	٢٥,٤	١٩,٠
آذار/مارس	١٦,٧	١٨,٢	١٣,٣	١٧,٢	١٩,٤	١٨,٦	١٢,٤	١٢,٣	٢٦,٧	٢٣,٧	٢٢,٦
نيسان/ابريل	١٧,٨	١٨,١	١٤,٥	١٨,٣	٢٠,٢	١٧,٥	١٢,٨	١٥,٠	٢٢,٩	٢٤,٥	٢٤,٨
ايار/مايو	١٨,٧	١٧,٩	١٥,٧	١٨,١	١٨,٩	١٨,٨	١٣,١	١٥,٥	٢٦,٩	٢٦,٣	٢٤,٨
حزيران/يونيو	٢٠,١	١٧,١	١٦,٥	١٧,٠	١٨,٤	١٧,٤	١١,٧	١٥,٦	٢٩,١	٢٦,١	٢٣,٨
تموز/يوليو	١٩,٧	١٦,٠	١٧,٤	١٥,٦	١٩,٣	١٧,٩	١٢,١	١٨,٣	٢٧,٩	٢٣,٧	٢٥,٢
آب/اغسطس	١٩,٢	١٥,٩	١٦,٩	١٦,٠	١٩,٩	١٨,١	١١,٩	١٩,٧	٢٩,١	٢٤,٥	٢٥,٩
ايلول/سبتمبر	١٩,٤	١٥,٢	١٥,٧	١٦,٤	٢١,٧	١٨,٢	١٢,٩	٢٢,٢	٣١,٥	٢٤,٤	٢٧,٤
تشرين الأول/اكتوبر	١٩,٦	١٥,٨	١٦,١	١٥,٩	٢٣,٣	١٩,٥	١٢,٤	٢١,٦	٣٠,٤	١٩,٦	٢٧,٣
تشرين الثاني/نوفمبر	١٨,٧	١٤,٥	١٦,٧	١٦,٥	٢٢,٢	١٨,٨	١١,٢	٢٣,٨	٣١,٢	١٧,٧	٢٤,٣
كانون الأول/ديسمبر	١٧,٧	١٢,٩	١٥,٨	١٧,٨	٢٣,٥	١٦,٨	٩,٧	٢٤,٨	٢٤,١	١٧,٦	٢٨,٤
المعدل السنوي(*)	١٨,٤	١٦,٣	١٥,٥	١٦,٩	٢٠,٣	١٨,٧	١٢,٣	١٧,٥	٢٧,٦	٢٣,١	٢٤,٣

ملاحظة:

(*) وهو المعدل البسيط لأشهر السنوات المذكورة، أي جمع معدلات الأشهر مقسوماً على ١٢.

المصادر: أنظر: منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول: **تقرير الأمين العام السنوي التاسع والعشرون، ١٤٢٢/١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م**، الجدول رقم (٢ ـ ١٠)، ص ٤٧؛ **تقرير الأمين العام السنوي الثامن والعشرون، ١٤٢١/١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م** (الكويت: المنظمة، ٢٠٠١)، الجدول رقم (١ ـ ١٤)، ص ٤٩؛ **تقرير الأمين العام السنوي السابع والعشرون، ١٤٢٠/١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م** (الكويت: المنظمة، ٢٠٠٠)، الجدول رقم (١ ـ ١٦)، ص ٥٧؛ **تقرير الأمين العام السنوي السادس والعشرون، ١٤١٩/١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م** (الكويت: المنظمة، ٢٠٠٠)، الجدول رقم (١-٢٢)، ص ٦١؛ **تقرير الأمين العام السنوي الخامس والعشرون، ١٤١٨/١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م** (الكويت: المنظمة، ١٩٩٩)، الجدول رقم (١ ـ ١٥)، ص ٤٤؛ **تقرير الأمين العام السنوي الرابع والعشرون، ١٤١٧/١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م** (الكويت: المنظمة، ١٩٩٨)، الجدول رقم (١ ـ ٩)، ص ٣٥، **وتقرير الأمين العام السنوي الثالث والعشرون، ١٤١٦/١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م** (الكويت: المنظمة، ١٩٩٧)، الجدول رقم (١ ـ ١)، ص ٤٠.

الجدول رقم (٦)
عوائد الصادرات النفطية في الوطن العربي للسنوات ١٩٨٥ و١٩٩٠-٢٠٠٢
(مليون دولار أمريكي)

البلد / السنة	١٩٨٥	١٩٩٠	١٩٩١	١٩٩٢	١٩٩٣	١٩٩٤	١٩٩٥	١٩٩٦	١٩٩٧	١٩٩٨	١٩٩٩	٢٠٠٠	٢٠٠١(١)	٢٠٠٢(*)
الإمارات العربية المتحدة	٦٠٦٠	١٥٦٠٠	١٤٧٦٥	١٤٤٩٠	١٢٠٨٥	١٢٣٠٠	١٣٣٥٠	١٤٩٨٠	١٥٢٧٠	١٠٢٦٠	١٥٠٢١	٢٦١٧٨	٢٢٤١٤	١٤٦٧٢
البحرين	٩٩٧	٨٤٦	٧٠٩	٧٦٥	٩٢٠	١٠١٠	١٨٥٤	١٣٢٠	١٢٠٠	٨٠٠	١٧٠٦	٢٥٨٩	٢٠٥٤	١٨٠٦
تونس	٤٥٥	١١٨	١٣٢	٢٧٥	١٠٠	٣٨١	١٠٠	٤٦١	٣٧٧	٢٨٢	٤١٠	(٢)_	(٢)_	(٢)_
الجزائر	٩٣٠٨	٨٨٥٤	٩٥٩٠	٨١٦٥	٧٩٨٠	٨٦٠٠	٩٤٠٠	٩١٦٠	٨٨٠٠	٥٩٧٠	٧٥٥٦	١٢٩٢٠	١١٧٩٠	١١٢٠٠
السعودية	٢٤٤١٣	٤٠١٢٨	٤٣٦٠٣	٤٦٥٢٠	٣٨٦١٠	٣٧٥٣٠	٤٢٧٠٠	٥٠٠٥٠	٤٨٢٢٠	٣١٩٨٠	٤٤٩٣٤	٧٤٥٨٥	٦٢٩٨١	٥٥٩٣١
السودان												٩٤٥	١٤٩٥	–
سوريا	٧٩٥	١٨٣٢	١٨٤٣	٢١٥٠	١٨٧٥	١٨٠٥	١٩٠٠	٢٣٠٥	١٩٧٠	١٣٢٠	١٩١٦	٢٧٤٣	٢١٦٣	٢٤٨٤
العراق	١٠٦٨٥	٩٤٦٣	٣٨٠	٣٢٥	٣٦٥	٣٦٥	٣٧٠	٦٨٠	٤٥٩٠	٦٧٩٠	١٢١٠٤	١٨١٥٠	١٢٦٧٦	١٣٢٥١
عمان	٤٤٧٨	٥٠٤٦	٤٣١٦	٤٧٦٠	٤٢٠٠	٣٩٠٠	٤٧٥٠	٦٠٠٠	٦١٨٠	٣٨٦٠	٥٦٨٥	٨٨٠٠	٧٦٩٧	–
قطر	٣٠٦٨	٢٩٦٠	٢١٨٧	٣٢٠٠	٢٥٩٥	٢٤٢٠	٢٦٠٠	٣٨٠٠	٤٦٦٠	٣١١٠	٤٧٧٥	٧٨٣٤	٦٩٦٤	٥٤٦١
الكويت	٧٦٣١	٦٣٢٤	٨٧٥	٦٢٢٥	٩٧٢٣	١٠٤٥٩	١٢٠٥٢	١٤١٣٢	١٣٤٦٧	٨٤٧١	١١٠٢٧	١٨١٩٣	١٤٩٧٦	١٤٦٠١
ليبيا	٦٢١٥	٩٨٠٠	١٠٠٢٥	٩٣٠٠	٧٦٠٥	٧١٤٠	٧٧٠٠	٩٥٤٠	٨٩١٠	٦١٤٠	٧٧٣٤	١٣٢٤٦	١٠٦٨٨	١٠٠٥٤
مصر	٧٨٠	١٣٩٦	١٢٨٦	١٢٥٥	١١٧٥	١٢٩٠	٢١٧٦	٢٢٢٦	٢٥٧٧	١٧٢٨	٢٥٥٥	٢٥٨٨	١٩١٧	٢٠١٥
اليمن	–	٦٢١	٥٩١	٨٠٠	٨٠٠	١٣٠٠	١٤٠٠	١٨٠٠	٢٠٤٠	١٤٢٠	٢٦٢٠	٣١٠٠	٣٣٢١	–
الوطن العربي	٧٤٨٨٥	١٠٢٩٨٨	٩٠٣٠٣	٩٨١٣٠	٨٨٠٣٣	٨٨٥٠٠	١٠٠٣٥٢	١١٦٤٥٤	١١٨٢٦١	٨٧١٣١	١١٨٠٤٣	١٩١٨٧١	١٦١١٣٦	١٣١٤٧٥

ملاحظات عامة:

(١) تقديرية لكل من السودان وعمان واليمن.

(٢) تشير البيانات الأولية إلى أن حجم الاستهلاك يفوق حجم الإنتاج من النفط الخام.

المصادر: أنظر: منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول، **تقرير الأمين العام السنوي التاسع والعشرون، ١٤٢٢/١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م**، الجدول رقم (١-١٥)، ص ٥٢؛ جامعة الدول العربية، الأمانة العامة [وآخرون]: **التقرير الاقتصادي العربي الموحد، ٢٠٠٢** (القاهرة: الأمانة العامة، ٢٠٠٣)، الملحق رقم (٥-٥)، ص ٢٨٣؛ **التقرير الاقتصادي العربي الموحد، ٢٠٠١** (القاهرة: الأمانة العامة، ٢٠٠١)، الملحق رقم (٦ - ٦)، ص ٣١٤؛ **التقرير الاقتصادي العربي الموحد، ١٩٩٩** (القاهرة: الأمانة العامة، ١٩٩٩)، الملحق رقم (٥ - ٥)، ص ٢٦١؛ **التقرير الاقتصادي العربي الموحد، ١٩٩٨** (القاهرة: الأمانة العامة، ١٩٩٨)، الملحق رقم (٥ - ٤)، ص ٢٦٢؛ **التقرير الاقتصادي العربي الموحد، ١٩٩٧**، الملحق رقم (٥ - ٦)، ص ٢٩٤؛ **التقرير الاقتصادي العربي الموحد، ١٩٩٥** (القاهرة: الأمانة العامة، ١٩٩٥)، الملحق رقم (٤ - ٥)، ص ٢٥٩، **والتقرير الاقتصادي العربي الموحد، ١٩٩٠** (القاهرة: الأمانة العامة، ١٩٩٠) الملحق رقم (٤ - ١٥)، ص ٢٨٥.

الجدول رقم (٧)
استهلاك الطاقة في العالم للسنوات ١٩٩٠ و١٩٩٥ و٢٠٠٠ و٢٠٠٢
(مليون طن مكافىء نفط)

البلد / السنة	إجمالي الطاقة			٢٠٠٢					
	١٩٩٠	١٩٩٥	٢٠٠٠	النفط	الغاز الطبيعي	الفحم الحجري	الطاقة النووية	الطاقة الكهرومائية	المجموع
١ ـ شمال أمريكا	٢٢٣٣,٣	٢٥٠٤,٢	٢٧٣٨,٣	١٠٦٤,٩	٧١١,٢	٥٩١,٥	٢٠٥,٠	١٤٢,٤	٢٧١٥,٠
ومنها: الولايات المتحدة الأمريكية	١٩٣٢,٢	٢١١٩,١	٢٣١٤,٣	٨٩٤,٣	٦٠٠,٧	٥٥٣,٨	١٨٥,٨	٥٨,٢	٢٢٩٢,٨
كندا	٣٠٢,١	٢٧٥,٢	٢٨٩,٧	٨٩,٧	٧٢,٦	٣٠,٧	١٧,٠	٧٨,٦	٢٨٨,٦
المكسيك	٩٩,٠	١٠٩,٩	١٣٤,٣	٨٠,٩	٣٧,٩	٧,٠	٢,٢	٥,٦	١٣٣,٦
٢ ـ امريكا الجنوبية والوسطى	٢٦٩,٦	٣٨٥,٠	٤٥٠,٤	٢١٤,٨	٨٨,٢	١٧,٨	٤,٧	١٢٢,٧	٤٤٨,٢
ومنها: البرازيل	٨٩,٧	١٤٢,٣	١٧٦,٤	٨٥,٤	١٢,٣	١٢,٠	٣,٤	٦٤,٤	١٧٧,٥
فنزويلا	٤١,٥	٥٦,٤	٦١,٩	٢٢,٩	٢٤,٦	٠,٠	–	١٤,٠	٦١,٥
٣ ـ اوروبا وأوراسيا	٣١٣٩,٥	٢٧٧٨,٠	٢٨١٨,٤	٩٢٥,٢	٩٣٩,٥	٥٠٦,١	٢٨٠,٠	١٧٨,٩	٢٨٢٩,٧
ومنها: فرنسا	٢٢٠,٩	٢٣٤,٧	٢٥٤,٨	٩٢,٨	٣٨,٥	١٢,٧	٩٨,٩	١٥,٠	٢٥٧,٩
المانيا	٢٥١,٨	٣٣٣,١	٣٣٠,٥	١٢٧,٢	٧٤,٣	٨٤,٦	٣٧,٣	٥,٩	٣٢٩,٣
إيطاليا	١٤٩,٨	١٦٢,٤	١٧٦,٤	٩٢,٩	٥٧,٢	١٣,٨	–	١٠,٩	١٧٤,٨
روسيا	٨٥٣,٣	٦٦٨,١	٦٣٦,٠	١٢٢,٩	٣٤٩,٦	٩٨,٥	٣٢,٠	٣٧,٢	٦٤٠,٢
اسبانيا	٨٩,٠	١٠٠,٥	١٢٩,٢	٧٣,٥	١٨,٨	٢١,٩	١٤,٣	٦,١	١٣٤,٦
أوكرانيا	٢٧٣,٤	١٤٧,٨	١٣٦,٧	١٢,٩	٦٢,٨	٣٨,٣	١٧,٧	٢,٢	١٣٣,٩
المملكة المتحدة	٢١٢,٦	٢١٤,٤	٢٢٤,٠	٧٧,٢	٨٥,١	٣٦,٥	١٩,٩	١,٧	٢٢٠,٤
٤ ـ الشرق الأوسط	٢٥٦,٤	٣٢٩,٢	٣٨٥,٥	٢٠٧,٤	١٨٥,١	٨,٤	–	١,٩	٤٠٢,٨

يتبع

تابع

٥ ـ افريقيا	٢١٢,٢	٢٤٦,١	٢٧٧,٩	١١٨,٦	٦٠,٧	٩٠,٦	٢,٩	١٨,٥	٢٩١,٣
٦ ـ آسيا باسيفيك	١٧٧٤,٧	٢٣٢٥,٨	٢٤٢١,٧	٩٩١,٦	٢٩٧,٣	١١٨٣,٥	١١٨,٠	١٢٧,٧	٢٧١٨,١
ومنها: الصين	٦٧٩,٨	٩٠٨,٧	٨٥٢,٥	٢٥٨,٨	٢٩,١	٦٦٨,٨	٥,٩	٥٥,٨	١٠١٨,٤
الهند	١٨٢,٧	٢٥٢,٣	٣١٢,٠	٩٧,٧	٢٥,٤	١٨٠,٨	٤,٤	١٦,٩	٣٢٥,٢
إندونيسيا	٥٢,٣	٧٣,٥	٩٥,٣	٥١,٢	٣١,٣	١٧,٨	–	٢,١	١٠٢,٤
اليابان	٤٢٨,٣	٤٩٣,٨	٥١٥,٩	٢٤٢,٦	٦٩,٧	١٠٥,٣	٧١,٣	٢٠,٥	٥٠٩,٤
كوريا الجنوبية	٩١,١	١٤٨,٦	١٩١,١	١٠٥,٠	٢٣,٦	٤٩,١	٢٧,٠	١,٢	٢٠٥,٩
مجموع العالم	٧٨٨٥,٧	٨٥٦٨,٣	٩٠٩٢,٢	٣٥٢٢,٥	٢٢٨٢,٠	٢٣٩٧,٩	٦١٠,٦	٥٩٢,١	٩٤٠٥,٠

ملاحظات عامة:

يلاحظ أحياناً اختلاف بسيط في الجدول بين الأرقام الدالة على المجاميع وتلك التي يمكن الحصول عليها عن طريق الجمع، ويعود هذا الإختلاف إلى عملية التقريب.

(–) تعني هذه العلامة أن البيانات غير متوافرة.

(*) تقديرات.

المصدران: *BP Statistical Review of World Energy* (2001), p. 37; and *BP Statistical Review of World Energy* (2003), pp. 37-38,

الجدول رقم (٨)
استهلاك الطاقة في الوطن العربي ١٩٩٠-٢٠٠٢
(ألف برميل مكافىء نفط يومياً)

السنة / المصدر	١٩٩٠	١٩٩١	١٩٩٢	١٩٩٣	١٩٩٤	١٩٩٥	١٩٩٦	١٩٩٧	١٩٩٨	١٩٩٩	٢٠٠٠	٢٠٠١	٢٠٠١
المنتجات النفطية(١)	٢٧٤٢	٢٦٩٣	٢٤٥٢	٣٠٦٢	٣٠٤٩	٣١١١	٣١٧٥	٣٣٤٦	٣٥٥٣	٣٦٧٩	٣٧٨٨	٣٨٥٤	٣٩١٤
الغاز الطبيعي	١٥٥٥	١٤٧٢	١٦٥٣	١٧٧٨	٢٠٣٤	٢٠٧٩	٢٣٠٢	٢٥٠٥	٢٤٢٦	٢٦٤٦	٢٨٤٢	٢٩١٩	٣٠٠٢
الطاقة الكهرومائية	١١٤	٩٨	١١٤	١٣٢	١٤٣	١٤٦	١٦٢	١٦٥	١٦٠	١٤٣	١٤٢	١٤٤	١٤٦
الفحم	٤٦	٥٠	٢٢	٥٠	٥٥	٦٩	٧٢	٧١	٧٧	٧٦	٨٥	٨٦	٨٨
مجموع الوطن العربي	٤٤٥٧	٤٣١٣	٤٢٤١	٥٠٢٢	٥٢٨١	٥٤٠٥	٥٧١١	٦٠٨٨	٦٢١٦	٦٥٤٥	٦٨٥٧	٧٠٠٤	٧١٥١

ملاحظة:

(١) المنتجات النفطية تشتمل على النفط الخام المستخدم كوقود في محطات الكهرباء.

المصادر: منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول: **تقرير الأمين العام السنوي التاسع والعشرون، ١٤٢٢/١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢م**، الجدول رقم (١-١٧)، ص ٥٤؛ **تقرير الأمين العام السنوي الثامن والعشرون، ١٤٢١/١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م**، الجدول رقم (١ ـ ٢١)، ص ٥٦؛ **تقرير الأمين العام السنوي السابع والعشرون، ١٤٢٠/١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م**، الجدول رقم (١ ـ ٢٣)، ص ٦٤؛ **تقرير الأمين العام السنوي السادس والعشرون، ١٤١٩/١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م**، الجدول رقم (١ ـ ٢٨)، ص ٦٧؛ **تقرير الأمين العام السنوي الخامس والعشرون، ١٤١٨/١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م**، الجدول رقم (١ ـ ٢٣)، ص ٥٠؛ **تقرير الأمين العام السنوي الرابع والعشرون، ١٤١٧/١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م**، الجدول رقم (١ ـ ١٦)، ص ٤٢؛ **تقرير الأمين العام السنوي الثالث والعشرون، ١٤١٦/١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م**، الجدول رقم (١ ـ ١٩)، ص ٥٥؛ **تقرير الأمين العام السنوي الثاني والعشرون، ١٤١٥/١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م**، (الكويت: المنظمة، ١٩٩٦)، الجدول رقم (١ ـ ٢٦)، ص ٧٦، **وتقرير الأمين العام السنوي الحادي والعشرون، ١٤١٤/١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م**، (الكويت: المنظمة، ١٩٩٥)، الجدول رقم (١ ـ ٢٣)، ص ٥٨ .

من العـــالم العـــــربي... الى كـــــل العـــــالم

اينمـــا كنـــت اطلـــب واســـتلم

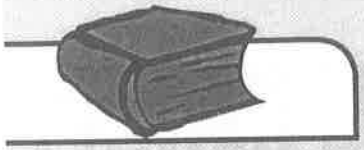

الـــــــــكتب

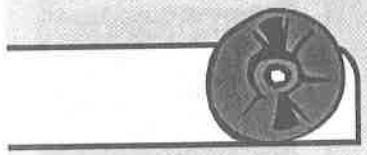

الـــــــــموسيقى

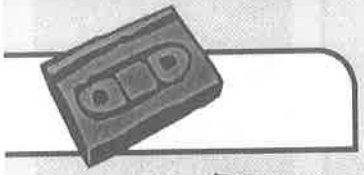

الأفـــــــــلام

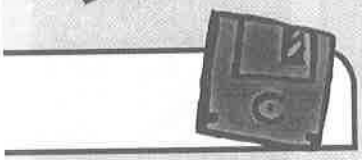

برامج الكـــمبيوتر

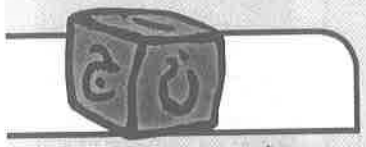

الألعاب التـــثقيفية

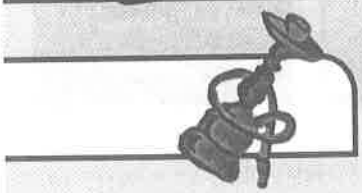

الأعمال الـــحرفية

بأفضـــل ســـعر واســـرع وقـــت

ادبـــب و فـــــن • كـــوم www.adabwafan.com

صـدر عـن

مركز الأبحاث العلمية

والدراسات الاستراتيجية للشرق الأوسط

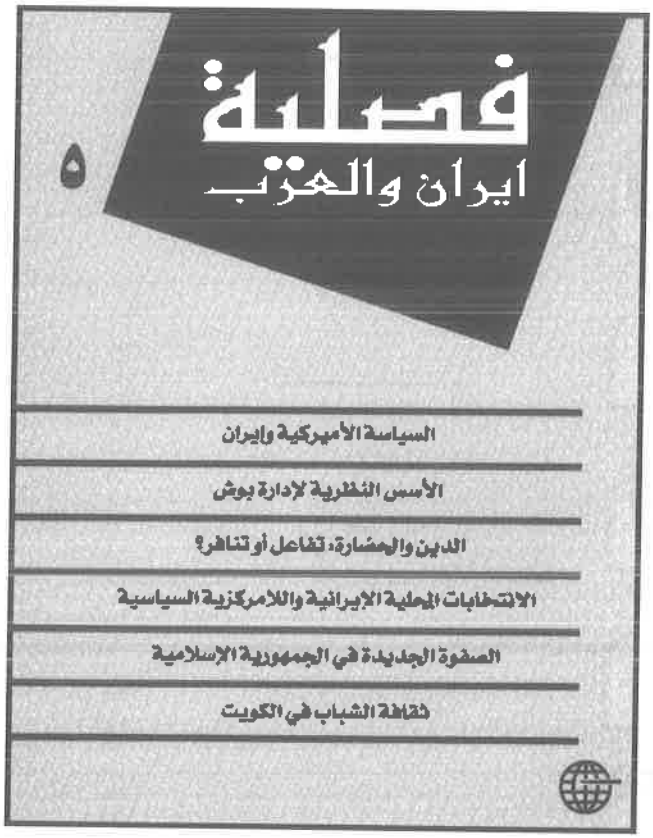

يُطلب من المكتبات

أو من المركز مباشرة على العنوان التالي:

بئر حسن ـ شارع السفارات ـ هاتف وفاكس: ٠١/٨٣٣٦٩٨ ـ ص.ب ١١٣/٥٦٦٩ ـ بيروت ـ لبنان

مجلة الدراسات الفلسطينية

صدر العدد 55 من

القضية الفلسطينية
في الكتابة التاريخية العربية
ماهر الشريف

ندوة/مساهمات

خريطة الطريق
وهموم الوضع الفلسطيني
ممدوح نوفل • جورج جقمان • أحمد غنيم
إسماعيل أبو شنب • علي الجرباوي
عبد الرحيم ملوح • حسن عصفور

جدار الفصل العنصري الإسرائيلي
غانية ملحيس

العنف السياسي ضد المرأة الفلسطينية
إعداد: فيحاء عبد الهادي

الاستيطان في منطقة القدس
نظمي الجعبة

الاشتراك السنوي (بما فيه أجور البريد الجوي)

دول عربية	دول أخرى
أفراد ٢٥ دولاراً	أفراد ٤٠ دولاراً
مؤسسات ٤٠ دولاراً	مؤسسات ٦٠ دولاراً

ترسل الطلبات إلى مؤسسة الدراسات الفلسطينية
شارع أنيس النصولي ـ متفرع من فردان
ص.ب. ٧١٦٤ ـ ١١، الرمز البريدي: ١١٠٧ ٢٢٣٠
بيروت ـ لبنان
هاتف/فاكس ٨٦٨٣٨٧ ـ ٨١٤١٩٣
e-mail: sales@palestine-studies.org

صدر حديثاً عن

مركز دراسات الوحدة العربية

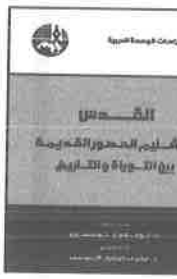

الدبلوماسية العربية في عالم متغير

ندوة فكرية

(١٨٦ ص ـ ٦$)

الوساطة في الخلافات العربية المعاصرة

د. نهلة ياسين حمدان

(٣٤٢ ص ـ ١٠$)

القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ

تحرير: د. توماس ل. تومبسون، بالتعاون مع:
د. سلمى الخضراء الجيوسي (٣٨١ ص ـ ١٢$)

إشكالية المستقبل في الوعي العربي

د. هادي نعمان الهيتي

(٢٥٧ ص ـ ٨$)

أوروبا وفلسطين من الحروب الصليبية حتى اليوم

د. بشارة خضر

(٦٩٦ ص ـ ١٨$)

موريتانيا بين الانتماء العربي والتوجه الأفريقي: دراسة في إشكالية الهوية السياسية ١٩٦٠ ـ ١٩٦٣

د. محمد سعيد بن أحمدو

(٣٥٦ ص ـ ١٠$)

اليهود الشرقيون في إسرائيل الواقع واحتمالات المستقبل

مجموعة من الباحثين

(١٩٥ ص ـ ٦$)

تأثير الفكر الناصري على الخليج العربي ١٩٥٢ ـ ١٩٧١

نور الدين بن الحبيب حجلاوي

(٣٥٤ ص ـ ١٠$)

في الوحدة والتداعي: دراسة في أسباب تعثر مشاريع النهضة العربية

د. يوسف مكي

(٢٦١ ص ـ ٨$)

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» ـ شارع ليون ـ ص.ب: ٦٠٠١ ـ ١١٣
الحمراء ـ بيروت ٢٠٩٠ ١١٠٣ ـ لبنان
هاتف: ٨٦٩١٦٤ ـ ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧ ـ برقياً: مرعربي
فاكس: ٨٦٥٥٤٨ (٩٦١١)
بريد إلكتروني: info@caus.org.lb
انترنت: http://www.caus.org.lb

يصدر قريباً
عن
مركز دراسات الوحدة العربية

سادة العالم الجدد

الدكتور جان زيغلر

الثقافة العربية
أسئلة التطور والمستقبل

مجموعة من الباحثين

الإسلاميون
والمسألة السياسية

مجموعة من الباحثين

AL MUSTAQBAL AL ARABI

(The Arab Future)

No. 297 November 2003

ISSN 1024 - 9834
Published Monthly by Centre for Arab Unity Studies
Address: "Al Mustaqbal Al Arabi"
"Sadat Tower" Bldg. - Lyon Street - P.O. Box: 113-6001
Hamra - Beirut 1103 2090 - Lebanon
Tel: 869164 - 801582 - 801587 - Cable: MARARABI - Beirut
Fax: (9611) 865548
e-mail: info@caus.org.lb
Web Site: http://www.caus.org.lb

Annual Subscription

- Individuals:	
- Arab Countries	$ 60
- Europe	$ 80
- U.S.A. & Elsewhere	$ 90
- Institutions:	
- Arab Countries	$100
- Elsewhere	$120
Lifetime Subscription:	
- Individuals	$500
- Institutions	$750

سعر البيع

• لبنان	٣٠٠٠ ل.ل.	• الكويت	١,٥ دينار	• اليمن	١٧٥ ريالاً	• الجزائر	٢٠٠ دينار
• سوريا	٧٥ ل.س.	• الإمارات	١٥ درهماً	• عُمان	ريال واحد	• تونس	٢ دينار
• الأردن	٢ دينار	• البحرين	١,٥ دينار	• مصر	٥ جنيهات	• المغرب	١٥ درهماً
• العراق	١٥٠٠ دينار	• قطر	١٥ ريالاً	• السودان	١٥٠٠ جنيه	• موريتانيا	٢٠٠ أوقية
		• السعودية	١٥ ريالاً	• ليبيا	٣ دينار		

Price List

• Cyprus	C£ 3.00	• Greece	6€	• Switzerland	Sfr 10
• France	6€	• Italy	3€	• U.S.A. and other Countries	$ 8
• Germany	4€	• UK	£ 3		